المملكة الأردنية الهاشمية
جمعية المحافظة على القرآن الكريم
مركز حراء القرآني
فرع عمان الثالث

٧
الدورة الشرعية
مركز حراء

رياض الأنس في بيان أصول تزكية النفس

إعداد وجمع
الشيخ إبراهيم محمد العلي رحمه الله

تقديم
الدكتور أحمد الزرقي

بسم الله الرحمن الرحيم

رياض الأنس في بيان أصول تزكية النفس

الطبعة الثانية

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة
المكتبة الوطنية
(٢٠٠٤/٧/١٧٠٣)

٢١١

العلي، إبراهيم محمد

رياض الأنس في بيان أصول تزكية النفس/ إبراهيم محمد العلي _ عمان جمعية المحافظة على القرآن الكريم، ٢٠٠٤.

(   ) ص.

ر. أ: (٢٠٠٤/٧/١٧٠٣)

المواصفات: /الثقافة الإسلامية//الآداب الإسلامية//الإسلام/

❖ تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

❖ رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر: ٢٠٠٤/٧/١٦٨٥

اللؤلؤة للتصميم
٠٩٦٢ ٦ ٥٦٥٩٩٩٩



إعداد وجمع

الشيخ إبراهيم محمد العلي

رحمه الله

تقديم

الدكتور أحمد الرقب



جمعية المحافظة على القرآن الكريم
فرع عمان الثالث - مركز حراء القرآني

المقدمات

تقديم

د. أحمد الرقب

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته، حمدًا يوافي نعمه، ويكافئ مزيده، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

والصلاة والسلام على مصباح الدجى، وعلم الورى، وقائد ليوث الوغى، وبدر التمام وتمام البدور، وهدأة البال، وحيرة الخاطر، وضياء العيون، محمد بن عبد الله سيد الأولين والآخرين. اللهم صلِّ وسلم على عبدك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا عدد ما أحاط به علمك، وخط به قلمك، وأحصاه كتابك، وارضَ اللهم عن ساداتنا أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعن الصحابة أجمعين وعن التابعين وتابعيهم إلى يوم الدين وبعد.

فهذه بعض الوقفات كتبتها على عجل بين يدي هذا الكتاب المبارك، سائلاً الله -سبحانه وتعالى- أنْ يثقل بها موازين الحسنات، ويستر بها الزلات، فإنَّ الكتابة في موضوع التزكية -ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم- يحتاج إلى طراز فريد من الناس، ارتقوا بإخلاصهم وأعمالهم درجات عاليات، صفت قلوبهم وخرجوا من حظ نفوسهم .. زينوا بواطنهم بالإيمان واليقين، فتزينت ظواهرهم بالنور والحنين... جمعوا بين العلم والعمل، والفرائض والنوافل، والقيام والصيام، والذكر والفكر، والصبر والشكر، والبكاء والدموع، والخشوع والخضوع، والسجود والركوع، والحِلْم والغيرة على حدود الله تعالى، أنيسهم القرآن، وحاديهم الشوق إلى الجنان، وكثرة الصلوات والتسليمات على النبي العدنان... إذا رؤوا ذكر الله الرحيم الرحمن، وإذا صمتوا كان في صمتهم أعظم البيان، وإذا تكلموا أسروا القلوب من كل مكان .. سيرهم عطرة، ووجوههم نضرة، آثارهم تشهد عليهم برًّا، وأعمالهم تشهد لهم فضلاً... بيوتهم تدل عليهم قناعة وزهدًا، علماء فقهاء حلماء حكماء أنقياء أتقياء أخفياء غرباء، فطوبى لهم بإذن الله تعالى وحسن مآب.

فما أحوجنا -نحن أبناء هذه الصحوة المباركة- أنْ نشدَّ العزيمة، ونستفز الهمة، ونلحق بالقافلة، ونفوز بالسبْق، فاليوم عمل ولا جزاء، وغدًا جزاء ولا عمل.

في معنى التزكية:

للراغب -عليه سحائب الرحمة والرضوان- بحث نفيس في مادة (زكا)[1] يقول: أصل الزكاة النمو الحاصل من البركة الصادرة عنه سبحانه، ويعتبر ذلك بالأمور الدنيوية والأخروية، وتزكية النفس أي تنميتها بالخيرات والبركات، وبذكاء النفس وطهارتها يصير الإنسان، بحيث يستحق في الدنيا الأوصاف المحمودة وفي الأجر والمثوبة، وهو أن يتحرى الإنسان ما فيه تطهيره، وذلك ينسب تارة إلى العبد لكونه مكتسباً لذلك نحو قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩]، وتارة ينسب إلى الله تعالى لكونه فاعلاً لذلك في الحقيقة نحو قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٩]، وتارة ينسب إلى النبي ﷺ لكونه واسطة في وصول ذلك إليهم نحو قوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[التوبة: ١٠٣]، ﴿يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ...﴾[البقرة: ١٥١]، وتارة إلى العبادات التي هي آلة في ذلك نحو قوله تعالى:﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً﴾ [مريم: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٩]، أي مزكى بالخلقة، وذلك طريق ما ذكر من الاجتباء وهو أن يجعل بعض عباده عالماً، طاهرَ الخلق، لا بالتعلم والممارسة بل بتوفيق إلهي. كما يكون لجلّ الأنبياء والمرسلين ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾[المؤمنون: ٤]، أي يفعلون ما يفعلون من العبادة، ليزكيهم الله تعالى، أو ليزكّوا أنفسهم، والمعنيان واحد.

وفي تزكية الإنسان نفسه ضربان:

أحدهما: بالفعل وهو محمود وإليه قصد بقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩]، وقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤].

والثاني: بالقول، كتزكية العدْل غيره، وذلك مذموم أن يفعل الإنسان بنفسه وقد نهى الله تعالى عن ذلك: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢]، أ.هـ. كلام الراغب.

(١) المفردات في غريب القرآن، ص٣١٣، بتصرف يسير جداً.

مادة (زكا) في القرآن الكريم[1]:

وردت هذه المادة في نحو تسعة وعشرين موضعاً من القرآن الكريم دون عدّ (الزكاة) والتي ذكرت في نحو اثنين وثلاثين موضعًا، ويلحظ المتدبر للآيات في المادة المذكورة ما يلي:

١) أنّ فعل التزكية -كما ذكر الراغب قبل قليل- يأتي مسندًا إلى العبد تارة وإلى الله -سبحانه وتعالى- تارة.. الخ، وهذا يعني أن تحصيل زكاة النفس يحتاج إلى جدّ ومثابرة، هذا من جهة ومن جهة أخرى يحتاج إلى مزيد لطف وعون وفضل منه -سبحانه وتعالى- فلا يعتمد الإنسان على نفسه دون طلب العون من ربه.

٢) أنّ معظم الأفعال الواردة هي من باب الفعل المضارع، دلالة على أنّ تزكية النفس عملية قائمة بذاتها تظهر على صاحبها قلباً وقالباً وعملاً وسلوكاً وأنّها عزيمة متجددة متكررة لا تتوقف تشمل الدنيا والآخرة كما سيظهر بعونه تعالى.

٣) والملحوظ أيضًا أنّ غالب الأفعال الواردة مذكور في السور المكية إشارة إلى عمق هذا المصطلح وأهميته في صياغة الشخصية المسلمة من بادئ الأمر.

من وسائل التزكية في القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

فالقرآن شفاء للأنفس، وترياق للعلل والأمراض، لو أحسن الناس تلاوته وتدبره، وهذه بعض الوسائل المعينة على تزكية النفس، وتكميلها بالفضائل، والسير بها نحو المعالي.

- **التوحيد الخالص لله سبحانه (ويزكيهم) أي:**
  - يطهرهم من الشرك[2].

(١) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ٣٣١/٣٣٢.
(٢) الرازي ٦٧/٤.

- يجعلهم مقيمين على طاعة الله تعالى والإخلاص له.
- ويعلمهم ما إذا تمسكوا به صاروا أذكياء[١].

- **تلاوة القرآن:** ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٦٤، الجمعة: ٢] والقرآن ربيع القلوب وسلوة الأنفس (واعلم أنّه من أعظم النّعم لأنّه معجزة باقية، ولأنّه يتلى فيتأدى به العبادات، ولأنّه يتلى فيستفاد منه جميع العلوم، ولأنّه يتلى فيستفاد منه جميع الأخلاق الحميدة. فكأنّه يحصل من تلاوته كل خيرات الدنيا والآخرة)[٢].

- **العلم:** ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ١٢٩، عمران١٦٤، الجمعة:٢] (وهذا ليس بتكرار؛ لأن تلاوة القرآن غير تعليمه إياهم)[٣].

والحكمة العلم بسائر الشريعة التي يشتمل القرآن على تفصيلها، وعلى هذا قول الشافعي -رحمه الله- أنّ الحكمة بسنة الرسول ﷺ[٤]، وما أجمل ما أوجزه الإمام مالك -رحمه الله- في معنى الحكمة حينما قال: الحكمة: معرفة الدين والفقه فيه والاتباع له[٥].

- **الاقتداء بالرسول ﷺ واقتفاء أثره فيما جلّ ودق:** ونفهم هذا من إسناد التزكية إليه ﷺ ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩].

وما أحوج أبناء الصحوة اليوم إلى ثلة من الربانيين يعلمون جليل العلم ودقيقه.

- **الذكر والشكر له سبحانه:** فبعد أن امتنّ سبحانه على عباده بإرسال النبي الأمّي محمد ﷺ ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ...﴾[البقرة: ١٥١] ذكر سبحانه ما يعين على ذلك ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾

---

(١) المصدر السابق ٤/١٤٣.
(٢) المصدر السابق ٤/١٤٣.
(٣) المصدر السابق ٤/١٤٣.
(٤) المصدر السابق ٤/١٤٣.
(٥) المصدر السابق ٤/٦٧.

[البقرة: ١٥٢] والطريف في الأمر ذلك التناسق البديع بين الآيتين المذكورتين هنا من سورة البقرة، والآيات المذكورة في سورة الجمعة ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [الجمعة: ٢] وبعد فاصل قصير ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[الجمعة: ٩-١٠].

ومما يلفت النظر ما جاء في نفس سياق الآيات من سورة البقرة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱسْتَعِينُوا بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ١٥٣]، والحديث عن صلاة الجمعة في سورة الجمعة ظاهر للعيان ولا ريب أن الصلاة مبناها على الذكر والشكر.

وفي سورة الأعلى قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤-١٥].

- **العمل وحمْل الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى:**

فقد خاطب سبحانه وتعالى يحيى عليه السلام: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ۝ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ١٢-١٣].

ومعنى (زكاة) أي جعلناه مباركاً للناس يهديهم إلى الخير، وقيل زكيناه لحسن الثناء عليه كتزكية الشهود[١].

- **بذل المال وإنفاقه في سبيل الله تعالى:**

قال سبحانه ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ...﴾[الليل:١٧-٢١]، وسيجنبها الأتقى، أي سيزحزح عن النار التقي النقي الأتقى، ثم فسره الذي يؤتي ماله

---

(١) فتح القدير، ٣/٤١٠.

يتزكى، أي يصرف ماله في طاعة ربه؛ ليزكي نفسه وماله وما وهبه الله تعالى من دين ودنيا.

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾ [الليل: ١٩]، أي ليس بذله ماله في مكافأة من أسدى إليه معروفاً، وإنما دفعه لذلك ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الليل: ٢٠]، أي طمعًا في أنْ يحصل له رؤيته في الدار الآخرة في روضات الجنات ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ أي ولسوف يرضى من اتصف بهذه الصفات، وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق، حتى إنّ بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك. ولاشك أنه داخل فيها وأولى الأمة بعمومها، فإنّ لفظها العموم وهو قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى...﴾ ولكنه مقدم الأمة وسابقهم في جميع هذه الأوصاف وسائر الأوصاف الحميدة؛ فإنه كان صديقًا تقيًا كريمًا جوادًا باذلاً الأموال في طاعة مولاه، ونصرة رسول الله ﷺ، فكم من دراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم، ولم يكن لأحد من الناس عنده منّة يحتاج إلى أنْ يكافئه بها، ولكنْ كان فضله وإحسانه على الرؤساء والسادات من سائر القبائل؟؟ [1]

وفي الصحيحين أنّ رسول الله ﷺ قال: **(من أنفق زوجين في سبيل الله تعالى دعته خزنة الجنة يا عبد الله هذا خير**، فقال أبو بكر: يا رسول الله: ما على من يدعى منها ضرورة، فهل يدعى منها كلها أحد؟ قال: **نعم، وأرجو أنْ تكون منهم)**.

- **الدعاء الخالص لله سبحانه:**

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[الشمس: ٧-١٠].

– يحتمل أنْ يكون المعنى: قد أفلح من زكى نفسه أي بطاعة الله تعالى، وطهرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل.

(١) تفسير ابن كثير ٤/٤٧٤

– ويحتمل أنْ يكون المعنى:قد أفلح من زكى الله تعالى نفسه، وقد خاب من دسى الله تعالى نفسه[1].

وعلى كلا الاحتمالين، فالأمر يحتاج إلى دعاء مستمر بطلب العون منه سبحانه، عن عائشة –رضي الله عنها– أنها فقدت النبي ﷺ من مضجعه فلمسته بيدها، فوقعت عليه وهو ساجد يقول: (رب أعط نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها).

وعن زيد بن أرقم كان رسول الله ﷺ يقول: **(اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والهرم والجبن والبخل وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع، وعلم لا ينفع، ودعوة لا يستجاب لها)**.

قال زيد: (كان رسول الله ﷺ يعلّمناهنّ ونحن نعلموكهنّ).

- **آداب وأخلاق وأذواق في مجتمع الأزكياء:**

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠].

فالمؤمنون مأمورون بغض البصر؛ لأنّ تمسكهم بذلك أزكى لهم وأطهر؛ لأنه من باب ما يزكون به ويستحقون الثناء والمدح[2].

وذكر أنّ من حفظ بصره أورثه الله تعالى نوراً في بصيرته أو في قلبه.

ومما يستدعي الانتباه التعقيب القرآني على بعض القضايا الاجتماعية والآداب بذكر التزكية.

(١) تفسير ابن كثير ٤/٤٧٠

(٢) الرازي – بتصرف يسير – ٢٣/٢٠٥

﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢٨].

قال قتادة: قال بعض المهاجرين: لقد طلبت عمري كله هذه الآية، فما أدركتها أنْ أستأذن على بعض إخواني فيقولون لي ارجع فأرجع وأنا مغتبط.(١)

وتأمل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٢]، أي اتباعكم شرع الله تعالى في رد الموليات إلى أزواجهن، وترك الحمية في ذلك أزكى لكم، وأطهر لقلوبكم.(٢)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢١].

أي لولا فضله سبحانه، يرزق من يشاء التوبة والرجوع إليه، ويزكي النفوس من شركها وفجورها ودنسها وما فيها من أخلاق رديئة كلٌّ بحسبه، لما حصّل أحدٌ لنفسه زكاة ولا خيرًا.(٣)

- **التقديم والتأخير في فعل التزكية:**

- ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩].

(١) ابن كثير ٣/٢٦٤
(٢) ابن كثير ١/٢٤٨
(٣) ابن كثير ٣/٢٥٩

- ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١].
- ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ...﴾ [آل عمران: ١٦٤].
- ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجمعة: ٢-٣].

والناظر في الآيات الكريمة، يرى أنّ فعل التزكية (يزكيهم) تأخر في دعاء إبراهيم عليه السلام في الآية الأولى بينما توسط بين التلاوة والتعليم في الآيات الأخريات، ولا ريب أنّ وراء ذلك سرًّا بديعًا وحكمة بالغة.

قال أبو السعود: (وإنما وسط بينهما التزكية التي هي عبارة عن تكميل النفس بحسب القوة العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للإيذان بأنّ كلاًّ من الأمور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر.

فلو روعي ترتيب الوجود كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو ... وَيُزَكِّيهِمْ ۚ ..﴾ لتبادر إلى الفهم كون الكل نعمة واحدة وهو السّر في التعبير عن القرآن بالآيات وأخرى بالكتاب والحكمة رمزًا إلى أنه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة. ولا يقدح فيه شمول الحكمة لما في تضاعيف الأحاديث الشريفة والشرائع).(١)

وعند العَود إلى آية سورة البقرة نجد أنها ختمت بهذين الاسمين الكريمين ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ...وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

(١) أبو السعود ١/١٦٢.

وكذلك الأمر بالنسبة لآية سورة الجمعة وإن تأخر قليلاً لكنه في نفس السياق ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً ...﴾، ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ ولا ريب (أن وصف الحكمة مقتضٍ لإفاضة ما تقتضيه الحكمة من الأمور التي من جملتها بعث الرسول ﷺ، ووصف العزّة مستدعٍ لامتناع وجود المانع بالمرة).[1]

فـــ((العزيز) القوي الغالب على أمره فلا يُنال بضيم، ولا يغلب على أمر، و(الحكيم) هو الذي يضع الأشياء أحسن موضع ويتقن العمل ويحسن الصنع، والقرآن ذكر هذين الوصفين هنا إزالة ما ربما يعلق بالذهن أو يسبق إلى الوهم ومن أن هذه الأمور التي دعي بها للعرب منافية لطبائعهم وبعيدة عن أحوالهم ومعايشهم، فإنهم جمدوا على بداوتهم، وألفوا غلظتهم وخشونتهم، فكأن سائلاً يسأل: من يقدر أنْ يغير طباع هذه الأمة المعروفة بالخشونة والقسوة، فيجعلها من أهل العلم والمدنية والحكمة؟ لولا أن علم أنّ المدعو والمسؤول هو العزيز الذي لا مردّ لأمره، والحكيم الذي لا معقب لحكمه.[2]

- **هذا الكتاب... ودعوة للسادة العلماء والباحثين.**

كان الشيخ إبراهيم العلي -عليه سحائب الرحمة والرضوان- نجمًا فوق العادة من النجوم الزاهدة التي أبلت بلاءً حسنًا في مركز حراء العامر -جمعية المحافظة على القرآن الكريم- وألقى عددًا من المحاضرات القيمة في مادة التزكية والتهذيب، لاقت قبولاً واستحسانًا، ورغب إليه كثيرٌ من طلبة العلم أنْ يخرج هذه المحاضرات في كتاب.. فشمّر عن ساعد الجدّ، وأنهى كتابه قبل وفاته -رحمه الله- بأيامٍ قليلة وسماه: رياض الأنس في بيان أصول تزكية النفس.

ومما يذكر بالفضل للشيخ، أنّه وقف هذا الكتاب لصالح جمعية المحافظة على القرآن الكريم/ مركز حراء، وهذه دعوة إلى السادة العلماء والباحثين ممن كتب الله تعالى لكتبهم القبول والانتشار أنْ يعقدوا هذا العقد المبارك؛ فيقفوا ما شاءوا من كتبهم لصالح هذه

(١) أبو السعود ١/١٦٢.
(٢) المنار ١/٤٧٣.

الجمعية المباركة وغيرها؛ امتثالاً لقول النبي ﷺ : (**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**)، لعلي قد أطلت عليكم في هذه المقدمة .. دونكم الكتاب استمتعوا بقراءته واقتنصوا فوائده.

(اللهم ارزقنا علمًا نافعًا، وقلبًا خاشعًا، ورزقًا واسعًا، وعينًا من خشيتك دامعة، واجز اللهم الشيخ إبراهيم خيرَ الجزاء وافسح له في جنات النعيم، وبارك في أهله وذريته، إنك أكرم مسؤول وخير مأمول).

والحمد لله ربّ العالمين

د. أحمد الرقب
صفر الخير ١٤٢٦هـ
آذار ٢٠٠٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستهديه، ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله تعالى فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله وبعد:

لقد أرسل الله تعالى محمداً ﷺ خاتماً للأنبياء والمرسلين، وهاديًا للبشرية جمعاء، ومخرجاً الذين اتبعوه واهتدوا بهديه من الظلمات إلى النور بإذن الله ﷻ، ورفع أمته إلى مقام الخيرية على كل الأمم، من زمن آدم عليه السلام، وإلى أنْ يرث الله تعالى الأرض ومن عليها حيث قال عز وجل في محكم التنزيل: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران/ ١١٠].

وقد قام ﷺ بما أمره به الله تعالى إنذاراً وتبليغاً، وتعليماً وتربيةً، وتبشيراً وترغيباً،وجهاداً لأعداء الله تعالى وقتالاً ،لم يتوان لحظة واحدة عن القيام بما أمره الله تعالى به، وكان ﷺ قدوة لأمته في كل جوانب الحياة، وكان عظيماً في كل ما فعله وقاله، فقد كانت حياته متناسقة الجوانب، متوازنة متكاملة، جمعت الجوانب المختلفة، ونسقت بين خيوطها المتشابكة، ووازنت بين اتجاهات قد تكون عند غيره متعارضة أو متناقضة، فجمع ﷺ بين تلك الجوانب ،وأمسك بكل تلك الخيوط، فجاءت حياته وسيرته المباركة مشعل هداية لمن أراد الاستنارة، وسلك طريق الرشاد، وأكرمه الله تعالى بنعمة الإقتداء به ﷺ.

ولما كانت التزكية تعتبر من مقاصد القرآن الأساسية، فإنّ الله تعالى جعل الفلاح مطلب العاملين، وقد رتبه الله (تعالى) على تزكية النفس وتربيتها وتطهيرها، فقال ﷻ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤]، وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩، ١٠].

لأجل هذا فقد بعث الله تعالى رسوله ﷺ معلماً ومربياً ومزكيا ومهذبا لنفوس الناس، حيث قال الله تعالى في بيان مهمته: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]، فكان ﷺ يتعاهد نفوس أصحابه بالتربية والتزكية.

ولما كانت التزكية أضخم معارك الحياة التي تدور في أعماق النفس البشرية، خاصة ونحن نعيش الآن في قرن مليء بالصراعات والحركة السريعة، نعيش حياة معاناة، نعاني من طلب الرزق أحيانا، ومن الأسرة أحيانا، حتى من الترفيه أحيانا، فنحن في حياة تعب وكدر، فحين نخوض هذه المعركة في أعماق أنفسنا فنحن نحقق: شيئا معنويا لا يرى بالعين، ولا يقاس بالكم، ولا تحتويه الخزائن، ولا يشترى بالمال، فحين ننتصر في معركتنا هذه ينقشع ظلام الليل من حياتنا، وندرك أنا وصلنا إلى انتصار لا حدود له، ننتصر على داخلنا، ونتغير من داخلنا.

ولأهمية هذا الموضوع فقد قمت بجمع مجموعة هامة من الموضوعات التي تشكل أهم أصول علم التزكية والتهذيب، كتبتها ورتبتها وجمعتها على عجل، وذلك كمنهاج للدورات الشرعية التي تعقد في مركز حراء القرآني/ جبل عمان، جزى الله تعالى القائمين عليه وعلى الجمعية الأم - جمعية المحافظة على القرآن الكريم - كل الخير على جهودهم الموصولة في خدمة كتاب الله تعالى، ورجاء أن يستفيد منها طلبة العلم الشرعي المشاركين في هذه الدورات، فإنْ وفقت في إعدادها فلله الفضل والمنة، وإنْ أخطأت فيكفيني أنني بذلت وسعي، والله يغفر لي.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

إبراهيم محمد العلي (رحمه الله)
عمان: ٢٤/ربيع ثاني /١٤٢٥ هـ
١٣/حزيران /٢٠٠٤م

إنَّ من علامات صدقنا في جهاد عدونا الخارجي أنْ نصدق في جهادنا لأنفسنا، هذا الجهاد الذي يصفي أكدارها.... ويطهرها من المطامع الدنيوية.... ولنتذكر أنَّ قوة الإرادة هي الحصن الحصين الذي يقوي دفاعاتنا ضد رغباتنا وشهواتنا، ويضعف مداخل عدونا الأبدي – الشيطان – فيجعله ينكفئ خاسئًا ذليلاً.



تزكية النفس

التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل ورعاية مودة الأخوة

تعريفها:

تطهير النفس وتربيتها وتزكيتها من الشرك وما يتفرع عنه، وتحقيقها بالتوحيد وما يتفرع عنه، وتخلقها بأسماء الله الحسنى مع العبودية الكاملة، وكل ذلك من خلال متابعة النبي ﷺ.

يقول ابن القيم -رحمه الله-: (هو سبك العبودية في كير الامتحان، طلباً لإخراج ما فيها من الخبث والغش).

وقد عرفها الأستاذ أبو الحسن الندوي -رحمه الله-: (نسمي العلم الذي يتكفل بتزكية النفوس وتهذيبها وتحليتها بالفضائل الشرعية، وتخليتها عن الرذائل النفسية والخلقية، ويدعو إلى كمال الإيمان والحصول على درجة الإحسان، والتخلق بالأخلاق النبوية، واتباع الرسول في صفاته الباطنية وكيفياته الإيمانية... (التزكية) أو (الإحسان) أو (فقه الباطن) [١].

وقال الأستاذ سعيد حوى -رحمه الله -: (زكاة النفس تطهيرها من أمراض وآفات، وتحققها بمقامات، وتخلقها بأسماء وصفات، فالتزكية في النهاية: تطهر وتحقق وتخلق)[٢].

(١) ربانية لا رهبانية (١).
(٢) المستخلص (٣).

أهميتها:

تعتبر التزكية من مقاصد القرآن الأساسية، فإنّ الله تعالى جعل الفلاح مطلب العاملين، وقد رتبه الله تعالى على تزكية النفس وتربيتها وتطهيرها، فقال ﷻ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤]، وقال ﷻ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠].

والتزكية أضخم معارك الحياة التي تدور في أعماق النفس البشرية، ونحن نعيش في قرن مليء بالصراعات والحركة السريعة، نعيش حياة معاناة، نعاني من طلب الرزق حيناً، ومن الأسرة أحيانًا، ومن الترفيه أحياناً أخرى، فنحن في حياة تعب وكدر، فحين نخوض هذه المعركة في أعماق أنفسنا فنحن نحقق: شيئا معنويا لا يرى بالعين، ولا يقاس بالكم، ولا تحتويه الخزائن، ولا يشترى بالمال، فحين ننتصر في معركتنا هذه ينقشع ظلام الليل من حياتنا، وندرك أنا وصلنا إلى انتصار لا حدود له، ننتصر على داخلنا، ونتغير من داخلنا.

وقد بعث الله تعالى رسوله ﷺ معلماً ومربياً، فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]، فكان ﷺ يتعاهد نفوس أصحابه بالتربية والتزكية.

لقد كانت رسالات الأنبياء جميعا- صلوات الله- عليهم دعوة إلى التزكية حيث دعا موسى فرعون لتزكية نفسه ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ [النازعات: ١٨].

وتعتبر تزكية النفس وتهذيبها من أهم الفرائض العينية، وأوجب الأوامر الإلهية، قال السيوطي -رحمه الله-: (وأما علم القلب ومعرفة أمراضه من الحسد والعجب والرياء ونحوها، فقال الغزالي -رحمه الله-: أنها فرض عين). (١)

(١) الأشباه والنظائر: ص ٢٠٤

أبرز مظاهر الضعف الموجبة للتزكية:

إنّ مظاهر الضعف الإيماني الموجبة للتزكية كثيرة أذكر منها:

- التكاسل عن الطاعات، والشعور بالضعف والثقل أثناء أدائها، والغفلة عن الذكر، وقراءة القرآن.
- الشعور بقسوة القلب، وضعف تأثره بالقرآن والمواعظ.
- التساهل في ارتكاب المعاصي وإلفها.
- عدم استشعار المسؤولية والأمانة، وضعف هم الدعوة في القلب.
- انفصام عرى الأُخُوَّة بين المتحابين.
- الاهتمام بالدنيا، والانشغال بها عن فعل الخير.
- كثرة الكلام الذي لا طائل تحته، وكثرة الجدال والمراء، والحديث عن الأمجاد، والمشكلات، والانشغال بذلك عن العمل الجاد والمثمر المفيد للأمة.
- ضعف جذوة الإيمان، وانطفاء الغيرة على محارم الله تعالى.
- ضياع الوقت، وعدم الإفادة منه.
- عدم الاستعداد للالتزام بشيء، والتهرب من كل عمل جدي.
- الفوضوية في العمل.
- خداع النفس؛ بأن يتوهّم بأنه يعمل، لكنه في الحقيقة فارغ، أو عمله بلا هدف.
- النقد لكل عمل إيجابي.
- التسويف، والتأجيل، وكثرة الأماني.
- عدم ذكر الموت، وعدم زيارة القبور بين حين وآخر.

أركان التزكية:

التطهر (التخلية):

من أعظم قواعد تربية النفس: تخليتها من اتباع الهوى؛ فإنّ اتباع الهوى موجب لأمراض لا حصر لها، وعلة المرض لا تعالج إلا بضدها، فالطريق لمعالجة القلوب: سلوك مسلك المضادة لكل ما تهواه النفس وتميل إليه، وقد جمع الله تعالى ذلك كله في كلمة

واحدة، فقال ﷻ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١]، وقال سبحانه وتعالى :﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا..﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وتتلخص عملية التطهير والتمهيد للتزكية في الأمور التالية :

- تطهير القلب من الشرك وما يتفرع عنه، فشجرة الشرك تتفرع عنها أغصان كثيرة من العبودية لغير الله تعالى، إلى الانحرافات في الطرق الضالة، إلى الأخلاق الفاسدة من عجب وكبر، وحسد وطاعة للطواغيت.
- تنوير القلب من الظلمات؛ ليعيش في أنوار الهداية الربانية، ويرى الأمور والأشياء على ضوء ذلك: والظلمات متنوعة كظلمات النفاق والكفر والفسوق والبدعة، وظلمات الحيرة والاضطراب، وظلمات المعاصي والذنوب والآثام، ولذلك فالصمم عن سماع الحق وقبوله، والعمى عن رؤية الطريق إلى الله تعالى وعدم ولوجه، والصمت عن نصرة الحق و إعلان قبوله من مظاهر ظلمة القلب.
- تطهير النفس من الشهوات المحرمة، ومن الطرق المحرمة لقضاء الشهوات، فللنفس شهواتها الحسية كحب الطعام والشراب، ومنها المعنوي كحب الانتقام، والرغبة في الانتصار، وحب الجاه والظهور، والرغبة في التفرد، وبعض هذه الشهوات مباح إذا سلك الإنسان لقضائها طريقًا مشروعًا، كالزواج لقضاء الشهوة الجنسية، وبعضها محرم في أصله أو في الطريق التي يسلكها الإنسان لقضائه.
- تطهيرها من الأمراض والآفات، فالنفس والقلب يمرضان كما تمرض الأجسام فتصاب النفس بأمراض العجب والكبر والغرور والحسد والحقد والغل ولذلك تحتاج إلى التزكية. ﷻ
- تطهيرها من الضلال والانحراف، لأنّ النفس تتأثر بالبيئة وبالتلقين، وبالهواجس، والوساوس، ونتيجة لذلك تتابع الشيطان.

التحقق (تحقيق مقامات الإيمان واليقين) :

ومن تزكية النفس تحققها بمقتضيات الفطرة، وأول مقتضيات الفطرة العبودية،

لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾[1].

فهذه هي الفطرة: العبودية لله، والمظهر الرئيسي لهذه العبودية قبول هداية الله ﷻ التي بعث بها الرسل عليهم السلام، فالفطرة تحقق النفس بالعبودية لله التي هي أثر عن معرفة الله ﷻ: والتي تستتبع الخوف من الله تعالى، والرجاء له، وتقواه، وشكره وعبادته، والإخلاص له، والصدق معه، والصبر على بلواه وتكاليفه، والمحبة له، والزهد فيما يشغل عنه، ومن هنا يوجد ما يسمى بمقامات الإيمان واليقين، وهو ما يجب أن تتحقق به النفس.

التخلق والإقتداء (التحلية) :

ثم يتعين بعد ذلك: تحلية النفس وتعويدها على الخير، حتى تألفه ويكون سجية لها، قال ﷺ: **(إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم، ومن يتحرّ الخير يُعطَه، ومن يتق الشر يوقه)**[2].

ولنعلم أنّ الأعمال لها أثر يمتد حتى يصل إلى القلب، فكما أنّ كل صفة تظهر في القلب يفيض أثرها على الجوارح: فإنّ كل فعل يجري على الجوارح قد يرتفع منه أثر إلى القلب، والأمر فيه دَوْر، وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح.[3]

ولله تعالى المثل الأعلى، وله الأسماء الحسنى، فقد خلق الإنسان، ونفخ فيه من روحه، أي نفخ فيه روحًا مخلوقة نسبها إلى ذاته سبحانه وتعالى تشريفًا لها، وبهذه النفخة وجد عند الإنسان استعداد للتخلق بأسماء الله تعالى، ووجد عنده الاستعداد للرحمة والانتقام والكبرياء والعلو، والإنسان في هذا المقام مكلف بأمرين :

١) أنْ يجاهد نفسه فلا ينسب لنفسه شيئًا من خصائص الربوبية، قال ﷺ في الحديث القدسي الصحيح عن الله تعالى:**(الكبرياء ردائي والعز إزاري، فمن نازعني فيهما قصمته)**[4].

٢) أنْ يضبط نفسه في الأسماء التي يجوز أو يجب التخلق بها، على مقتضى العبودية

(١) سورة الأعراف ١٧٢
(٢) صحيح الجامع، ح/٤٦١
(٣) تهذيب موعظة المؤمنين، ص ٢٢١ — ٢٢٥
(٤) البخاري في الأدب مفرد (٥٥٢)، ومسلم (٢٦٢٠)، وأبو داود (٤٠٩٠)، وابن ماجه (٤١٧٤).

والتكليف فالرحمة والكرم والجود والرأفة والانتقام والعزة مما يجب أن يكون الإنسان فيه على مقتضى التكليف، والسائر إلى الله تعالى يتحقق بمثل هذه المعاني، ويتخلق بها وفق ما أمره الله تعالى وهو أول معنى من معاني التخلق.

فالتزكية في بدايتها ونهايتها، لا تخرج عن مقام العبودية، وأعلى الخَلق في مقام العبودية هم رسل الله تعالى، وعلى رأسهم سيدنا محمد ﷺ.

فالعبودية الكاملة هي الإقتداء به، وغاية التزكية ونهايتها وراثة رسول الله ﷺ بأن نأخذ الكتاب والسنة بقوة، فهمًا وعملاً، وأنْ نتحقق بالحال التي كانت له ﷺ، من خشوع وتوكل وغير ذلك وهو المعنى الثاني من معاني التخلق والإقتداء.

الترقية :

والخطوة الهامة في طريق السير إلى الله تعالى أن تتوافر في راغب التزكية همة ترقيه إلى المعالي، وتطلب منه المزيد من الارتقاء والسمو، ولا ترضى منه إلا معالي الأمور، وإذا أراد الله تعالى بعبد خيرًا رزقه بصيرة تهديه، وهمة ترقيه، وهذان الأمران يسرعان في قطعه المسافة بينه وبين الوصول إلى الغاية الكبرى وهي مرضاة الله تعالى.

وفي ذلك يقول الإمام الغزالي -رحمه الله -: (فالكيس يقطع من المسافة بصحة العزيمة، وعلو الهمة، وتجريد القصد، وصحة النية، مع العمل القليل أضعاف ما يقطعه الفارغ من ذلك، مع التعب الكثير، والسفر الشاق، فإن العزيمة والمحبة تذهب المشقة وتطيب السير؛ **والتقدم والسبق إلى الله سبحانه وتعالى إنما هو بالهمم، وصدق الرغبة، والعزيمة**، فيتقدم صاحب الهمة مع سكون صاحب العمل الكثير بمراحل، فإن ساواه في همته تقدم عليه بعمله)(1).

وفي ذلك أيضا يقول مصطفى صادق الرافعي -رحمه الله -: (لا يرمي الحر الكريم إلا أن يبلغ الأمد الأبعد في كل ما يحاوله، فلا يألو أن يبذل جهده إلى غاية الطاقة ومبلغ القدرة، مستمدًا قوة من بعد قوة، محققًا السحر القادر الذي في نفسه، متلقيًا منه وسائل الإعجاز في أعماله، مرسلاً في نبوغه من توهج دمه أضواء كأضواء النجم تثبت لكل ذي عينين أنّه النجم لا شيء آخر)(2).

---

(1) إحياء علوم الدين (١/١٣١)، الفوائد لابن القيم (١٤٠).

(2) وحي القلم (١/٦٥).

وفي ذلك يقول ابن القيم -رحمه الله-: (طالب النفوذ إلى الله تعالى والدار الآخرة، بل وإلى كل علم وصناعة ورئاسة، بحيث يكون رأسًا في ذلك مقتدى به فيه، يحتاج أن يكون شجاعًا مقدامًا، حاكمًا على وهمه، غير مقهور تحت سلطان تخيله، زاهدًا في كل ما سوى مطلوبه، عاشقًا لما توجه إليه، عارفًا بطريق الوصول إليه، والطرق القواطع عنه، مقدام الهمة، ثابت الجأش، لا يثنيه عن مطلوبه لوم لائم، ولا عذل عاذل، كثير السكون، دائم الفكر، غير مائل مع لذة المدح ولا ألم الذم، قائمًا بما يحتاج إليه من أسباب معونته، لا تستفزه المعارضات، شعاره الصبر، وراحته التعب، محبًا لمكارم الأخلاق، حافظًا لوقته، لا يخالط الناس إلا على حذر، كالطائر الذي يلتقط الحبّ بينهم، قائمًا على نفسه بالرغبة والرهبة، طامعًا في نتائج الاختصاص على بني جنسه، غير مرسل شيئًا من حواسه عبثًا، ولا مسرحا خواطره في مراتب الكون، وملاك ذلك هجر العوائد، وقطع العلائق الحائلة بينك وبين المطلوب) (1).

وسائل التزكية وميادينها :

العقيدة والإيمان :

ومن أبرز جوانب التزكية في هذا الباب الأمور التالية:

- إخلاص العبودية لله والبراء من الشرك ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]فكلما كمل إخلاصه كملت عبوديته ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[يوسف: ٢٤].
- قوة الحب لله والمتابعة لرسول الله ﷺ ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ﴾ [آل عمران: ٣١].

---

(1) الفوائد (١٩١).

- قوة الطمع والرجاء في فضل الله تعالى ودعائه مما يولد العبودية لله: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].
- التفكر في عظمة الله تعالى.
- الإكثار من ذكر الله تعالى فإنَّه أفضل الأعمال بعد أداء الفرائض.

السلوك والأخلاق :

- أداء الفرائض، والإكثار من النوافل.
- الإحسان إلى الناس، وإرادة الخير لهم.
- تحسين الأخلاق لتكون كما يحب الله تعالى ويرضى، بأنْ نترك كُلَّ وَصْفٍ مَذْمُومٍ شَرْعًا أَوْ عَقْلاً أَوْ عُرْفًا، كَغِلٍّ، وَحِقْدٍ، وَحَسَدٍ، وَنَكَدٍ، وَغَضَبٍ، وَعُجْبٍ، وَخُيَلاءَ، وَرِيَاءٍ، وَهَوًى، وَغَرَضِ سُوءٍ، وَقَصْدٍ رَدِيءٍ، وَمَكْرٍ، وَخَدِيعَةٍ وَمُجَانَبَةِ كُلِّ مَكْرُوهٍ لِلَّهِ تَعَالَى.
- العلم والدعوة والجهاد.

ضرورة التزكية :

إنَّ إصلاح النفوس وتزكيتها دأبُ السائرين إلى الله تعالى: الأنبياء وأتباعهم، فقد كان ﷺ يكابد من دعوة قومه الشدائد، فإذا أظلم الليل انتصب لربه راكعاً وساجداً، يسأله ويرجوه، ويخضع بين يديه ويتذلل له، وقد كان قيام الليل واجباً على المسلمين عاماً كاملاً، وذلك لما له من أثر في إصلاح القلب، وانطلاقة المسلم وثباته في آن معاً، مما يجعله ضرورة ملحة لا غنى عنها.

ومن ثَمَّ: كان واجب كل مسلم، -وخاصة المشتغلين بالعلم والدعوة- أن يجعل من أكبر همه إصلاح نفسه وتهذيبها، وتعاهدها في صلته مع الله تعالى، وأخلاقه وسلوكه مع الخلق، ويجعل من ذلك منطلقاً لدعوة الناس وإصلاحهم.

وتتبين ضرورتها من الأمور التالية :

١) هي زاد العلماء والدعاة والمجاهدين والمصلحين.

فهي ضرورية لحصول العلم والفهم، وتركها وإهمالها سبب في حرمان العلم

ونسيانه أو تعذر الفهم، ولأنها سبب لحب الناس لهم وإقبالهم عليهم مرتبط بها، وحتى لا يكونوا من الذين يقولون ولا يفعلون، وهي عون لهم لما يتعرضون له من إيذاء أو تضييق أو سجن أو غير ذلك من ألوان الابتلاء التي تصيبهم.

٢) لأنها فريضة واجبة، وتحقيق لبعض مظاهر العبودية.

٣) لأنها وسيلة تحقيق الألفة مع الخلائق.

❖ ما يعين عليها :

ومن الأمور التي تعين عليها:

❖❖ أنْ نغرس في أنفسنا ما نتجاوز به نجاحات الدنيا لنصل بأنفسنا إلى نجاح الدار الباقية الآخرة، إذ أنَّ قمة السمو للإنسان أنْ ينتقل من نجاح الدنيا إلى الآخرة فهي السعادة الحقيقية له، وهي القوة الخفية المحركة لاستمرار مشاركته.

﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

والفوز من فاز هناك ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

فالمحطة الدائمة والباقية هي محطة الآخرة ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى: ١٧].

❖❖ ومما يعين أيضًا عليها: أنْ نتخلص من العوامل الضاغطة والأحمال الثقيلة لنشارك في السباق الحقيقي :سباق نحو الجنان .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

فهو الاستعداد الحقيقي للسباق لتلذذ بما عند الله ﷻ من أجر.

فالسباق يحتاج إلى إقبال وسرعة؛ لتجاوز العقبات، فعلينا ألا نكون كالظبي الجفول يكثر الالتفات إلى ملذات الحياة الدنيا، وننسى الآخرة، فالظبي أشد سعياً من الكلب، ولكنه إذا أحس به التفت إليه فيضعف سعيه فيدركه الكلب فيأخذه فامض ولا تلتفت للوراء

ولا تلتفت ههنا أو هناك ولا تتطلع لغير السماء

وهناك أسباب أخرى أحدها: ألاّ يسوق نفسه إلى الله تعالى كرهًا، كالأجير المسخّر المكلّف، بل تكون دواعي قلبه وجواذبه منساقة إلى الله تعالى طوعاً ومحبة وإيثاراً، كجريان الماء في منحدره، وهذه حال المحبين الصادقين، فإنّ عبادتهم طوعاً ومحبة ورضى، ففيها قرة عيونهم، وسرور قلوبهم، ولذة أرواحهم، كما قال النبي ﷺ: **(وجعلت قرة عيني في الصلاة)**[1].

وكان يقول ﷺ: **(يا بلال أرحنا بالصلاة)**[2]، فقرة عين المحب ولذته، ونعيم روحه في طاعة محبوبه، بخلاف المطيع كرها، المتحمل للخدمة ثقلاً، الذي يرى أنّه لولا ذل قهره، وعقوبة سيده له لما أطاعه، فهو يتحمل طاعته كالمكره الذي قد أذله مكرهه وقاهره، بخلاف المحب الذي يعد طاعة محبوبه قوتا ونعيما، ولذة وسرورا، فهذا ليس الحامل له ذلّ الإكراه.

والثاني: التحفظ من مرض الفتور: فإذا ما تمت تخلية النفس من اتباع الهوى وتحليتها بفعل الخيرات والفضائل؛ وجب بعد ذلك أنْ يَنْصبّ الاهتمام على متابعة النفس في فعل الواجبات والمستحبات، وترك المحرمات والمكروهات، فإنّ النفس من طبعها الكسل والتراخي والفتور.

قال ﷺ: **(لكل عمل شرّة، ولكل شرة فترة، فمن كانت فترته إلى سنتي فقد أفلح، ومن كانت إلى غير ذلك فقد هلك)** [3].

(١) النسائي (٦١/٧)، أحمد (١٢٨/٣) عن أنس وهو صحيح.
(٢) أبو داود (٤٩٨٥)، أحمد (٣٦٤/٥) وهو صحيح.
(٣) أخرجه أحمد في المسند: ١٥٨/٢، ١٦٥، ١٨٨، ٢١٠، وإسناده صحيح.

قال ابن القيم - رحمه الله-: (تخلل الفترات للسالكين أمر لا بدّ منه، فمن كانت فترته إلى مقاربة وتسديد، ولم تخرجه من فرض، ولم تدخله في محرم، رُجي له أنْ يعود خيراً مما كان). [1]

الثالث: أنْ ينصرف قصده إلى التزكية على الاشتغال بمنازعات فضول العلم التي لا تجدي نفعا، بل تتسبب في قطع علاقاته الاجتماعية مع أهل العلم، لما تسببه من قسوة في القلب، وجفاء في الطبع، وغلظة في السلوك والتعامل، ومعنى ذلك الإقبال على الله تعالى بكلية القلب، وعدم الاشتغال بفضلات العلم، وتفاريع مسائله.

الرابع: الصحبة الصالحة: فلا يصحب إلا من يعينه على أمور دينه، فإنْ بلي بمن لا يعينه، فليدرأه[2] ما استطاع، ويدفعه دفع الصائل.

فقد جاء عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قال ﷺ: **(لا تُصْحَبْ إلاَّ مُؤْمِنًا، وَلا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إلاَّ تَقِيٌّ)** [3].

ومما يعين عليها إضافة لما ذكرناه الأمور التالية :

- **الدعاء والاستعانة**؛ فإن الله تعالى يجيب المضطر إذا دعاه، والمصاب بدينه الذي يخاف على نفسه: أعظم المضطرين، والله تعالى المستعان على كل خير، ولذا: أوصى النبي ﷺ معاذاً أنْ يقول دُبُرَ كل صلاة: **(اللهم أعني على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك)**. [4]
- **تعاهد الإيمان وتجديده**، والحرص على زيادته بكثرة العبادة؛ مما يكون زاداً للمؤمن، ومخففاً عنه عناء الطريق.
- **مراقبة الله تعالى، والإكثار من ذكره**، ومراقبته تستلزم خوفه وخشيته، وتعظيمه ومحبته، ورجاءه، والإيمان بعلمه وإحاطته وقدرته، أما الذكر: فهو قوت القلوب وبه تطمئن، وأعظم ذلك: الصلة بكتاب الله تعالى: تلاوة، وفهماً، وتدبراً وعملاً، وحكماً، وتحاكماً، فإنّ من لم ينضبط بالقرآن؛ أضله الهوى.

(١) مدارج السالكين، جـ٣، ص ١٢١
(٢) فليدرأه: يبعده ويقصره.
(٣) حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ أَبو دَاوُد برقم (٤٨٣٢)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٣٩٥) وَصَحَّحَهُ ابْن حِبَّانَ.
(٤) أخرجه أبو داود برقم:(١٥٢٢)، والنسائي: (٥٣/٣)، وأحمد: ٢٤٥/٥، ٢٤٧، والحديث صحيح.

❖ الإخلاص والتقوى؛ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال:٢٩].

❖ تصفية القلوب من الأحقاد، والغلّ، والحسد، وسوء الظن؛ مما يشرح الصدر ويُسلم القلب.

❖ طلب العلم، والمواظبة على الدروس وحلق الذكر والمحاضرات؛ فإن العلم طريق الخشية، وهو قوت القلوب.

❖ الوسطية والاعتدال في العبادة، وفي عمل الخير.

❖ تنظيم الوقت، ومحاسبة النفس.

❖ لزوم الجماعة، وتقوية روابط الأخوة.

❖ تعاهد الفاترين ومتابعتهم؛ لئلا يؤدي بهم الفتور إلى الانحراف.

❖ التربية الشاملة المتكاملة على منهاج النبوة.

❖ تنويع العبادات والعمل، من: الذكر، وقراءة القرآن، والصلاة، وقراءة الكتب المفيدة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وقضاء حوائج الناس، وإغاثة الملهوفين...

❖ الاقتداء بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والدعاة المخلصين في نشاطهم، وحرصهم على أوقاتهم وأعمالهم.

❖ علو الهمة ونيل المقصد والأخذ بالعزيمة، بأنْ يكون الهمّ: الجنة، والمقصود: مرضاة الله تعالى؛ بالسعي في العبادة حتى الموت.

❖ الإكثار من ذكر الموت، وخوف سوء الخاتمة، بزيارة المقابر، ورؤية المحتضرين فإن ذلك يورث: تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة.. ونسيان الموت: يورث أضدادها.

❖ جعل ذكر الجنة والنار من الإنسان على بال، وقراءة صفة كلٍّ منهما في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، فإنّ ذلك يشحذ الهمم ويذكي العزائم.

❖ الحرص على زيادة العمل، والاستمرار فيه، والحذر من التكاسل، خاصة فيما حافظ عليه من عمل، فإن من ترك سنة يوشك أن يترك واجباً.. وهكذا.

❖ الصبر والمصابرة؛ فإن طريق العلم والعبادة والدعوة إلى الله تعالى؛ طريق شاق وطويل وكثير المتاعب والمصاعب.

❖ **ضوابطها:**

١) التزكية لا تتم إلا بتوحيد الله تعالى وإخلاص العبودية لله وحده، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل ٣٦].

٢) التمسك بالسنة في أمور التعبد والتزكية: قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (لزوم السنة يحفظ من شر النفس والشيطان -بدون الطرق المبتدعة- فطريق السنة علم وقول وهدى، وفي البدعة جهل وظلم، وفيها اتباع الظن وما تهوى الأنفس)(١).

وفي ذلك يقول أحمد بن رسلان الشافعي في آخر متن الزبد:

وزن بميزان الشرع كلّ خاطر … فإنْ يكن مأموره فبادر
وإنْ يكن مما نهيت عنه … فهو من الشيطان فاحذرنه

وقال الجنيد بن محمد -رحمه الله-: قد ترد النكتة - الخاطرة- على قلبي فلا أقبلها إلا بشاهدَيْ عَدْل من الكتاب والسنة.

٣) التزكية لابد لها من علم يسبقها ويضبطها: وهو العلم الذي يولّد الخشية وحب التذكر، فهو حالة مصاحبة للتزكية قبلها ومعها وبعدها، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۝ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ۝ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ۝ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ﴾ [عبس ١-٤].

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾، ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ۝ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى﴾ [الأعلى ٩-١١].

ضرر الجهل بعلم التزكية وما يصاحبه:

يقول ابن القيم - رحمه الله -: (فإنّ الجهالة متى خالطت العبودية أوردها العبد

---

(١) الصراط (ص٥).

غير موردها، ووضعها في غير موضعها، وفعلها في غير مستحقها، وفعل أفعالا يعتقد أنها صلاح، وهي إفساد لخدمته وعبوديته، بأنْ يتحرك في موضع السكون، أو يسكن في موضع التحرك.....، أو يقدم في موضع إحجام، أو يحجم في موضع إقدام، أو يتقدم في موضع وقوف، أو يقف في موضع تقدم، ونحو ذلك من الحركات التي هي في حق الخدمة، كحركات الثقيل البغيض في حقوق الناس).

فالخدمة – العبادة وتزكية النفس – ما لم يصحبها علم ثان بآدابها وحقوقها، غير العلم بها نفسها، كانت في مظنة أن تبعد صاحبها وإنْ كان مراده بها التقرب، ولا يلزم حبوط ثوابها وأجرها، فهي إنْ لم تبعده عن الأجر والثواب أبعدته عن المنـزلة والقربة، ولا تنفصل مسائل هذه الجملة، إلا بمعرفة خاصة بالله تعالى وأمره، ومحبة تامة له ومعرفة بالنفس وما منها [1].

٤) التزكية امتثال حقيقي للعبادة وليست امتثالاً صورياً ونظرياً :

ولا يحصل هذا إلا من خلال المعرفة الحقيقية لطبيعة العبادة التي يؤديها، حتى يحسن أداءها على الوجه المرضي لله ﷻ، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ﴾ [الحج ١١].

٥) العبادة مبناها على التوقيف لا الاجتهاد:

فلا يستطيع العبد أن يعبد ربه تعالى إلا بما شرعه، فلا يخترع من العبادات ما لم يأذن به الله تعالى أو يعلمه النبي لأمته، ولذلك فإنّ العبادات لا يقبل فيها إلا النص الشرعي ولم تترك لاجتهاد الناس، ولذلك فحين سئل الفضيل بن عياض -رحمه الله- عن العمل المقبول عند الله تعالى أجاب قائلاً: (هو أخلصه وأصوبه) قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: (إنّ العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص: أنْ يكون لله، والصواب أنْ يكون على السنة)، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف ١١٠].

(١) المدارج منـزلة التهذيب.

❖ ثمراتها

السعادة :

١) الحياة الطيبة في الدنيا وأهم مظاهرها الأمور التالية :

- تحقق النجاة من المصائب والمكائد، والخروج من الأزمات والهموم.
- تحقق البركة في الرزق، والخروج من الأزمات الاقتصادية.
- تحقق لصاحبها القوة في الجسد، والراحة والسلامة.
- تحقق السعادة، والطمأنينة والأنس.
- تحقق الشرف، والذكر العظيم.
- تحقق الثبات على الطريق، والنجاة من الفتن والملاحم.

فالحياة الطيبة: هي حياة الإشراق والنور التي عاشها الجيل الأول حين ذاقوا حلاوة الطاعة والعبادة.

❖ فحين فقد ابن عباس -رضي الله عنهما- بصره لم يندب حظّه العاثر، وصرخ صرخة الرضا الداخلي فقال :

إنْ يأخذ الله من عينيّ نورهما ... ففي لساني وقلبي منهما نور
قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل ... وفي فمي صارم كالسيف مأثور [1]

❖ وهذا الإمام أحمد بن حنبل يعيش سعيداً مطمئناً، مع أن ثوبه مرقع، ويخيطه بيده، ويسكن في ثلاث غرف من الطين، ولا يجد كسرة الخبز مع الزيت، ويأكل اللحم مرة في الشهر، ولكن سعادته الداخلية ورضاه؛ جعلاه أكثر الناس صلة بالله تعالى وحققا له الإشراق والنور.

❖ وهذا ابن تيمية يؤخذ إلى السجن بقلعة دمشق، فيبتسم ابتسامة الرضا، ويلقن من يعيشون الحياة درسًا في الرضا والقبول: (ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، أينما ذهبت فهي معي لا تفارقني، إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة). [2]

٢) نيل رضا الله تعالى والسعادة في الآخرة.

(١) جدد حياتك : ص ١٥٨
(٢) أزمة روحية : ص ٣٦

موانع التزكية

- عدم الإخلاص في الأعمال، أو عدم مصاحبته؛ بأنْ يطرأ الرياء على الأعمال.
- ضعف العلم الشرعي؛ فيضعف علم فضائل الأعمال وثوابها، وفضل الصبر وأثره، ونحو ذلك.
- تعلق القلب بالدنيا ومظاهرها من الترف والتنعم ونسيان الآخرة.
- فتنة الزوجة والأولاد، فإنَّها ملهاة عن كثير من الطاعات، إذا لم ينتبه لها.
- عدم فهم الدين نفسه، وهذا غريب!، والأغرب: أن يفهم طبيعة الدين، ويتذوق حلاوة الإيمان، ثم ينصرف عن العمل في ميدانه.
- الوقوع في شيء من المعاصي والمنكرات، وأكل الحرام أو المشتبه بالحرام، والإسراف في المباحات.
- عدم وضوح الهدف الذي يدعو من أجله، وهو: طلب مرضاة الله تعالى، وتعبيد الناس لرب العالمين، وإقامة دين الله تعالى في الأرض.
- ضعف الإيمان بالهدف، أو الوسيلة الدعوية التي يسلكها.
- الغلو والتشدد، بحيث ينقلب ذلك سبباً للملل وترك العمل.
- العقبات والمعوقات الكثيرة في طريق الدعوة والداعية، وتلك سنة الله تعالى في الدعاة والدعوات.
- الفردية وإيثار العزلة، فيدركه الملل والسأم.
- الجمود في أساليب الدعوة، وعدم التفكير في وسائل وأساليب توصل المقصود إلى المدعوين، وتحافظ على أصول الدعوة وروحها، ومن ذلك مثلاً: التنويع في أساليب مخاطبة الناس، كلٌ حسب مستواه: بالكلمة المسموعة، والمقروءة بشتى صورها وأشكالها، ومنه: التنويع في كيفية إلقاء دروس العلم والقرآن من حيث المكان والوسائل.
- عدم استحضار عداوة الشيطان المستمرة.
- عدم استشعار تحدي الكفار للمسلمين، وأنَّهم يبذلون كل وسيلة لصد المسلمين عن دينهم والكيد لهم.

- الأوهام ووساوس الشيطان التي تزرع الخوف في القلوب، وتشكك الداعية في سلامة الطريق.
- أمراض القلوب: كالحسد، وسوء الظن، والغل، وحب الصدارة، والكبر...
- التقصير في العبادة وعمل اليوم والليلة من الرواتب والسنن والأذكار والورد اليومي...
- استبطاء النصر، واستعجال النتائج.
- عدم الاستقرار على برنامج أو عمل معين، وترك العمل قبل إتمامه، ثم الانتقال إلى غيره.. وهكذا....
- النظر إلى مَنْ دونه في العلم والعبادة، وذلك مثبط للهمم.
- الدخول على أهل الدنيا ومخالطتهم، وفيه مفاسد عظيمة، لا ينجو منها إلا من سلّمه الله تعالى.

ماذا عليك أن تفعل إذا أردت تحقيق فائدة التزكية :

❖ فكر بما ستكون عليه من صورة مشرقة في مستقبلك، ودعك من الذكريات المؤلمة السابقة، وهذا ما أراد النبي ﷺ أنْ ينميه في نفوس أصحابه حين قال لهم: (كما جاء من حديث تَميم الدَّاريِّ ﷺ: قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: **(لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلا وَبَرٍ، إلاَّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الإِسْلامَ، وَذُلاًّ يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ)**.

وَكَانَ تَمِيمٌ الدَّارِيُّ ﷺ يَقُولُ: (قَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ فِي أهل بَيْتِي، لَقَدْ أَصَابَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ الْخَيْرُ وَالشَّرَفُ وَالْعِزُّ، وَلَقَدْ أَصَابَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ كَافِرًا الذُّلُّ وَالصَّغَارُ وَالْجِزْيَةُ)[1].

وهو ما استطاع أنْ يصوره ويحققه في نفس عدي بن حاتم عن صورة الإسلام القادم فأسلم وآمن، وهي الصورة التي حققها في نفس سراقة بن مالك.

❖ فكر بشكل صحيح فلا يحول بين قلبك وبين عوامل الخير من أين جاءت ولا

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٠٣/٤) والحاكم في المستدرك (٤٣٠/٤ – ٤٣١) والطبراني في الكبير برقم: (١٢٨٠)، والبيهقي في السنن (٨١/٩)، وابن منده في الإيمان برقم (١٠٨٥) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وقال الهيثمي في (١١٤/٦) ورجال أحمد رجال الصحيح.

تضع بينك وبين الخير حاجزًا بناءً على صورة مسبقة، أو كلام مسبق.



البدايات الموفقة

الاستيقاظ من الغفلة :

أول البدايات لمن يريد السير إلى الله تعالى، وتزكية نفسه، أنْ يبادر إلى إيقاظ نفسه من الغفلة، وأنْ يقتنع أنه بحاجة إلى ترويض نفسه وتزكيتها، هذه اليقظة التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾ [سبأ: ٤٦].

- **فالقومة لله**: هي اليقظة من سنة الغفلة، والنهوض من ورطة الفترة والفتور، وهي أول مراحل استنارة قلب العبد بالحياة لرؤية نور التنبيه.

وهذه القومة إنما هي نتاج القرع المتواصل بآيات الله تعالى، واستحضار عظمة الخالق سبحانه، من خلال متابعة الخطاب الرباني البليغ والقوي للمؤمنين والذي يلمس من خلاله شغاف قلوبهم، بتتبع قراءة الآيات التالية: (الانشقاق٦-١٥)، (الانفطار٦-١٩)، (الحج ١-٢)، (فاطر ٥)، فمثل هذه الآيات القوية تحرك الإنسان.

- **أنْ تقوموا لله** :هذا النص الحاث على البداية القوية الموفقة، التي لا تنخدع بالشكليات (**فالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف**) [(١)]، وإنْ كان في كل منهما خير، إلا أنَّ صاحب البداية القوية ستكون النتائج بالنسبة له باهرة، ومن لم تكن له بدايات محرقة لن تكون له نهايات مشرقة.

وقديمًا قال أرسطو: الأشياء التي يجب علينا أنْ نتحملها لا نتعلمها إلا عندما نفعلها فعلاً.

فاكتشف حقيقتك من الداخل وأيقظها ببوارق المعرفة والعلم، وتحقق من عظيم فضل الله تعالى عليك.

- **قوموا**: لفظة من آية لها مدلولها الهام، ابدأ من نفسك فإنَّك تملكها، أنت ربان

(١) أخرجه مسلم برقم:٢٦٦٤

سفينتها، وابدأ بالقيام أنت وبادر، فإنك على ذلك قادر، وتذكر مع هذه اللفظة قول النبي لأصحابه: **(قوموا فانحروا ثم احلقوا)**[١] في صلح الحديبية، فلم يقم منهم أحد، فأشارت أم سلمة عليه أنْ يبدأ هو فقام وبدأ، فلما أى الناس ذلك قاموا حتى كاد يقتل بعضهم بعضًا غمّا، فالمعرفة وحدها لا تكفي، لذا يجب عليك أن تفعل.

و تتمثل هذه اليقظة بإدراك عظيم فضل الله تعالى على عباده، وكثرة النعم التي لا تعد ولا تحصى، مع التقصير في حق شكرها، وهذه تعرف من خلال تعظيم الحق وأوامره، ومعرفة بالنفس وقصورها، والتصديق بالوعد والوعيد.

ومدار السعادة وقطب رحاها على التصديق بالوعيد، مما يوجب للعبد نوعين عظيمين من العبودية: محبة المنعم، وكثرة ذكره، وتذكر الله تعالى وخضوعه له، ومحاسبته لنفسه على تقصيرها، حيث عجز عن شكر نعمه، فصار متحققا بـ**(أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت)**[٢].

وهذا الإدراك للنعم، والشعور بالتقصير، يوجب على العاقل أنْ يدرك الخطر الذي يتهدده، وأن يشعر لتدارك التقصير، والتخلص من الذنوب وعبوديتها عبر تمحيصها بالطاعات، والانتباه لمعرفة الزيادة والنقصان من الأيام، والتنصل من تضييعها، والنظر إلى الظن بها لتدارك فائتها، وتعمير باقيها.

ومعرفة الزيادة والنقصان من الأيام تستقيم بثلاثة أشياء: سماع العلم، وإجابة داعي الحرمة، وصحبة الصالحين، وملاك ذلك كله خلع العادات.

❖ التفكر في دروب الخير :

فإذا استيقظت فتفكر في نفسك، واطلب تحقيق الغاية العظمى، وصحح القصد، وحدد الهدف والغاية، فإن ذلك ينتج قلباً منوراً، سليماً مليئاً بالمحبة لله، ولما يزيدك معرفة ومحبة له، وتدرك أين أنت من عظيم فضله عليك، فحين ذلك تعرف نفسك على حقيقتها، وتحسن التعامل معها.

---

(١) أخرجه البخاري برقم :٢٧٣٤
(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦)، من حديث شداد بن أوس.

ورحم الله تعالى سحنون حيث قال: من تفرَّس في نفسه فعرفها؛ صحت له الفراسة في غيره وأحكمها [١].

وحين يطلب الوصول إلى الغاية العظمى: وهي الوصول إلى مرضاة الله تعالى، ويحث الخطى لنيل ذلك، يبدأ بالتفكير بالوسائل المقربة إلى مرضاته، ويبدأ طريق التمييز بين الحق والباطل، والتمييز بين النافع والضار، والتفكير في الطريق إلى حصول ما ينفع فيسلكها، والطريق إلى ما يضر فيتركها.

وقطب الدائرة في هذا كله، استحضار عظمة الله تعالى، واستحقاقه للعبادة وحده والذي يوجب بالضرورة استحضار عقيدة البراء والولاء، البراء من عبادة غير الله تعالى والولاء لله، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

وبهذه العقيدة يمحى من قلب العبد المسلم محبة ما سوى الله ﷻ علماً وقصداً وعبادة.

البصيرة الهادية :

فإذا رزق العبد صحة الفكرة، رزق البصيرة الهادية وهي النور الذي يقذفه الله تعالى في القلب، فيبصر به الوعد والوعيد، والجنة والنار، وما أعد الله تعالى في هذه لأوليائه، وفي هذه لأعدائه، ويرى بها حقيقة ما أخبرت به الرسل كأنه يشاهده رأي عين، فيتحقق مع ذلك انتفاعه بما دعت إليه الرسل، وتضرره بمخالفتهم.

والبصيرة ثلاث درجات من استكملها فقد استكمل البصيرة:

- **بصيرة في الأسماء والصفات:** بحيث لا يتأثر إيمانه بشبهة تعارض ما وصف الله تعالى به نفسه ووصفه به رسوله.

---

(١) الرقائق :ص٨

- **بصيرة في الأمر والنهي:** من خلال عدم معارضتها بتأويل أو تقليد أو هوى.
- **بصيرة في الوعد والوعيد:** بحيث يرى بها حقيقة ما أخبرت به الرسل كأنه يشاهده رأي عين.

ومن البصيرة ما ينبت **الفراسة الصادقة**، وهي نور يقذفه الله تعالى في القلب، يفرق به بين الحق والباطل، والصدق والكذب، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا..﴾ [الأنفال ٢٩].

وعلى حسب قوة البصيرة وضعفها؛ تكون الفراسة العلوية الشريفة المختصة بأهل الإيمان الصادقين العارفين بالله تعالى وأمره، فإنَّ فراستهم متصلة بالله تعالى، متعلقة بنور الوحي مع نور الإيمان، والتي يميزون بها بين ما يحبه الله تعالى وما يبغضه من الأعيان والأقوال والأعمال، ويميزون بين الخبيث والطيب، والحق والباطل، والصادق والكاذب، ففراسة هؤلاء دائمًا حائمة حول كشف طرق الرسول، وتعرفها، وتخليصها من بين سائر الطرق، وبين كشف عيوب النفس، وآفات الأعمال العائقة عن سلوك طريق المرسلين، فهذا أشرف أنواع البصيرة والفراسة وأنفعها للعبد في معاشه ومعاده.

البداية الحقيقية لتشكل النفس :

فإذا استيقظت، وتفكرت، ورزقت البصيرة النافذة الهادية، حين ذلك تبدأ البحث في خاصة نفسك في تصرفاتك، ومبادئك وقيمك، من تصاحب، وكيف تتصرف، وتبدأ بضبط كل هذا وفقا لمعايير تحقق لك الوصول.

- الخوف من الله تعالى ... اتصال مستمر به ... شعور برقابته عليك ... فهو الذي لا تستطيع مخادعته وإن خادعت البشر ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [المجادلة: ١٨].
- السير على منهاج النبوة الطاهر: المنهج الصافي... منهج القرآن المتحرك في الأرض البشرية... فهو بصائر العلم الأصيل للناس كافة وهو صياغة الماضي لتشكيل الحاضر، فعندها تبدأ التشكيل وتعرف من أنت وفقًا لهذين المعيارين.

- لا تحرم نفسك الحكمة ولا تحتقرها من أين جاءت فهي ضالة المؤمن، وهو أحق بها: رأى أبو حنيفة طفلاً يلعب بالطين، فقال له: (إياك والسقوط في الطين).
فقال الغلام الصغير: (إيَّاك أنت من السقوط لأنَّ سقوط العالِم سقوط العالَم).

فما كان من أبي حنيفة إلا أنْ اهتزت نفسه لهذه المقولَة، فكان لا يخرج فتوى بعد سماعه هذه المقولة إلا بعد مدارستها شهرًا كاملاً مع تلامذته، فطفل يعلِّم إمامًا؟!

القلب المسارع إلى الخير :

أيــا صاح هذا الركب قد سار مسرعًا ... ونحــن قعــود مــا الذي أنت صانع
أترضــى أنْ تبقــى المخلــف بعدهم ... صــريع الأمــاني والغــرام ينــازع

ولتعلم أنَّه ليس بكثرة العمل والعبادة فقط يكون العبد من أوائل من يطرقون باب الجنة، فرب درهم سبق مائة ألف درهم، ولكن العبرة منوطة بأربعة أمور: **صحة العقيدة، وتجرد القصد، وصحة النية، وعلو الهمة.**

وفي ذلك يقول الإمام الغزالي – رحمه الله–: (فالكيس يقطع من المسافة بصحة العزيمة،وعلو الهمة، وتجريد القصد، وصحة النية، مع العمل القليل أضعاف أضعاف ما يقطعه الفارغ من ذلك، مع التعب الكثير، والسفر الشاق، فإنَّ العزيمة والمحبة تذهب المشقة وتطيب السير ؛ والتقدم والسبق إلى الله سبحانه وتعالى إنَّما هو بالهمم، وصدق الرغبة، والعزيمة، فيتقدم صاحب الهمة مع سكون صاحب العمل الكثير بمراحل، فإنْ ساواه في همته تقدم عليه بعمله) [(١)].

اغتنام الفرص :

دقــات قلــب المــرء قائلــة لــه ... إنَّ الحــياة دقائــق وثــواني
فارفــع لنفســك بعد موتك ذكرها ... فالذكــر للإنســان عمــر ثــاني

إنَّ اقتناص الفرص واغتنام الأوقات شأن من يوفقه الله تعالى لطاعته، فتراه يقتنص ساعات غفلة الناس ليكتب مع الذاكرين، فينال بذلك شرف السبق والتفرد في عبادة الله تعالى، وكان من أولئك النفر الذين مارسوا فن اقتناص الفرص التابعي الجليل محمد بن

---

(١) إحياء علوم الدين (١٣١/١)، الفوائد لابن القيم (١٤٠).

سيرين – رحمه الله – الذي كان إذا رُؤي ذُكر الله تعالى فقد كان يدخل السوق نصف النهار فيكبر الله تعالى ويسبحه ويذكره ويقول :(إنّها ساعة غفلة الناس) (١).

فعلى المسلم أن يدير وقته ويحدد أولوياته، فترتيب أولويات الحياة أهم من إدارة الوقت، فالأولويات أولاً، ثم الأعمال الملحة ثانيًا، ثم الأعمال الصغيرة التي تهم الآخرين ثالثًا.

لنجعل من عاداتنا عبادات :

إنّ من فقه المؤمن العابد أنْ يحول عاداته ومباحاته إلى طاعات، وذلك بتغيير النية قبل العمل حتى يستفيد من أعماله المباحة، ومن أولئك النفر الذين ابتكروا هذا المنهج الصحابي الجليل معاذ بن جبل ﵁ فقد تناظر يوما مع أبي موسى الأشعري ﵁ في قيام الليل، فقال أبو موسى: **(أنا أقوم أول الليل وأنام آخره)**، فقال معاذ: **(وأنا أنام أول الليل وأقوم آخره، فاحتسب نومتي كما احتسب قومتي)** (٢).

وهذا منهج عظيم قلما ينتبه إليه أحد، فتذكر النية وتحويلها عند فعل المباحات أمر صعب وخصوصًا إذا كان المباح مما تهواه النفس وتحبه، ولهذا فقد جاء عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﵁ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلاَّ أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ)** (٣).

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – في الفتح :

واستنبط منه النووي – رحمه الله – أن الحظ إذا وافق الحق لا يقدح في ثوابه لأنّ وضع اللقمة في فِيّ الزوجة يقع غالبا في حالة المداعبة ، ولشهوة النفس في ذلك مدخل ظاهر، ومع ذلك إذا وُجه القَصْدُ في تلك الحالة إلى ابتغاء الثواب حصل له بفضل الله تعالى.

(١) البداية والنهاية (٤٧/٩).
(٢) تاريخ بغداد ج٢ ص (٣٧٥).
(٣) أخرجه البخاري برقم: (٥٤).

قلت(١): وجاء ما هو أصرح في هذا المراد من وضع اللقمة، وهو ما أخرجه مسلم عن أبي ذر فذكر حديثا فيه (وفي بضع أحدكم صدقة. قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويؤجر؟ قال: **نعم، أرأيتم لو وضعها في حرام؟**) الحديث. قال: وإذا كان هذا بهذا المحل –وما فيه من حظ النفس – فما الظن بغيره مما لا حظ للنفس فيه ؟ قال: وتمثيله باللقمة مبالغة في تحقيق هذه القاعدة، لأنّه إذا ثبت الأجر في لقمة واحدة لزوجة غير مضطرة فما الظن بمن أطعم لقمًا لمحتاج، أو عمل من الطاعات ما مشقته فوق مشقة ثمن اللقمة الذي هو من الحقارة بالمحل الأدنى.

وتمام هذا أنْ يقال: (وإذا كان هذا في حق الزوجة مع مشاركة الزوج لها في النفع بما يطعمها لأنّ ذلك يؤثر في حسن بدنها وهو ينتفع منها بذلك، وأيضًا فالأغلب أنّ الإنفاق على الزوجة يقع بداعية النفس، بخلاف غيرها فإنّه يحتاج إلى مجاهدتها. والله تعالى أعلم)(٢).

ولهذا إذا قصد بالمباحات التقوّي على الطاعات، أو التوصل إليها كانت عبادة كالأكل والنوم واكتساب المال (٣).

لنكثر من النيات الصالحة :

النية الصادقة هي رأس الأمر وعموده، وأساسه وأصله الذي يبنى عليه، فإنّه روح العمل، وقائده وسائقه، والعمل تابع لها يبنى عليها، يصح بصحتها، ويفسد بفسادها وبها يستجلب التوفيق، وبعدمها يحصل الخذلان، وبحسبها تتفاوت الدرجات في الدنيا والآخرة.(٤)

ومن أكبر نعم الله تعالى على العبد المسلم المجازاة بالنية، ولذلك فإنّه يستطيع الإكثار من نيات الخير التي ترضي الله تعالى، ويدخر بذلك ثوابًا جزيلاً على عمل صالح لم يعمله، ولكن نواه، وكان يعتزم القيام به لو تمكن من ذلك.

(١) قائل قلت هو ابن حجر.
(٢) فتح الباري (١٣٨/١).
(٣) مقاصد المكلفين للدكتور عمر الأشقر (٤٩٥).
(٤) إعلام الموقعين :١٩٩/٤

قال أحد السلف – أبو صفوان –: **ما ضعف بدن قط عن نية** [١].

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل لأبيه :أوصني يا أبتِ. فقال: (**يا بني: انوِ الخير فإنك لا تزال بخير ما نويت الخير**) [٢].

وجاء عن إبراهيم النخعي – رحمه الله –: (**لم يكن عبد الرحمن بن يزيد النخعي يعمل شيئاً إلا بنية،حتى إنه كان يشرب الماء بنية**) [٣].

وكان الأسود بن الأسود – رحمه الله – : (**لا يأكل الخبز إلا بنية**، فقيل لإسحاق الراوي عنه: (وأي شيء في النية في أكل الخبز؟)، قال: (كان يأكل فإذا ثقل عن الصلاة خفف بها، فإذا خفف ضعف فأكل ليقوى، فكان أكله لها وتركه لها). ومعنى يخف أي ينشط وتسهل عليه يلتذ بها) [٤].

الزيادة في العبادة وليس النقصان منها :

إنَّ أصحاب الإنجازات في تطور ملحوظ في الاهتمامات وفي السلوكيات، على كافة الصعد والمجالات، فهم يغذون نفصهم بالتعليم المستمر، ولهذا فقد كان من سمات الصالحين التي يذكرون بها أنّهم دائمًا في زيادة، زيادة في الإيمان، والخلق والعبادة، ولهذا فقد نالت الأجيال الأولى شرف السبق في هذه الأمور، وضربوا أروع الأمثلة في ذلك :

فقد جاء عن أبي مسلم الخولاني – رحمه الله – أنّه قال: (لو قيل لي أن جهنم تسعر ما استطعت أنْ أزيد في عملي) [٥].

وجاء عن إبراهيم الحربي أنّه قال: (لقد صحبت أحمد بن حنبل عشرين سنة صيفاً وشتاءً، وحراً وبرداً، وليلاً ونهارًا، فما لقيته في يوم إلا وهو زائد عليه بالأمس) [٦].

(١) الحلية (٥٤/٧).
(٢) مناقب أحمد (ص٢٠٠).
(٣) معرفة العلل والرجال لأحمد (٧٣/١).
(٤) بستان العارفين (ص٣٢).
(٥) حلية الأولياء (١٢٤/٢).
(٦) مناقب أحمد (ص١٤٠).

وقال هُشيم تلميذ منصور بن زاذان: كان لو قيل له: إنّ ملك الموت على الباب، ما كان عنده زيادة في العمل. [١]

وقال عبد الرحمن بن مهدي: لو قيل لحماد بن سلمة :إنّك تموت غدًا، ما قدر أنْ يزيد في العمل شيئًا.

وجاء عن سفيان الثوري في ترجمة منصورٍ بن المعتمر السلمي قوله :لو رأيت منصورًا يصلي لقلت يموت الساعة. [٢]

وجاء عن أنس بن عياض قال: (رأيت صفوان بن سليم ولو قيل له: (غدًا القيامة ما كان عنده مزيد على ما هو عليه من العبادة)) [٣].

وجاء في ترجمة محمد بن سوقة العابد الكوفي: قال سفيان بن عيينة: كان في الكوفة ثلاثة لو قيل لأحدهم إنّك تموت غدًا، ما كان يقدر أنْ يزيد في عمله، محمد بن سوقة، عمرو بن قيس الملائي، وأبو حيان يحيى بن سعيد التميمي، وكان محمد بن سوقة لا يحسن أن يعصي الله تعالى) [٤]

فمن أراد السمو والرفعة؛ فليتقدم وليترك أثرًا بالغًا يسعد به الآخرين:

وكــن رجــلاً مــن أتــوا بعــده   يقولــون: مــر وهــذا الأثــر

ولا تكن الأخرى كما قال مصطفى صادق الرافعي – رحمه الله–: (**إن لم تزد شيئًا على الحياة كنت أنت زائداً على الدنيا**) [٥]

فاجعل لنفسك قيمة في الأرض لتسعد بها نفسك عند الله تعالى، وتسعد بها غيرك بعد الوفاة.

(١) تذكرة الحفاظ :١٤١/١
(٢) تذكرة الحفاظ :١٤٢/١-١٤٣
(٣) سير أعلام النبلاء (٣٦٦/٥)، تذكرة الحفاظ (١٣٤/١).
(٤) تهذيب التهذيب :٢٠٩/٩
(٥) وحي القلم :٨٠/٢

سباق عصرنا التثبت والوقوف لكثرة الشبهات :

لكل عصر صفة وسمة في رحلة السير إلى الله تعالى، فقد كانت المسارعة في أمور الخير هي صفة ملازمة للجيل الأول، وأما صفة أهل عصرنا في هذه الرحلة التثبت والتوقف لكثرة الشبهات، فقد جاء عن عبد الله بن مسعود ﵁ أنه قال:

(أنتم في زمان خيركم فيه المسارع في الأمور، وسيأتي بعدكم زمان يكون خيرهم فيه المتثبت المتوقف لكثرة الشبها) (١).

فزماننا هذا الخيّر فيه من كان متثبّتًا، متوقفا قبل البدء في العمل، وإن كان العمل صالحا، وذلك لكثرة الشبهات، وقوة الشهوات، فلا يستطيع الإنسان التمييز بين الحق والباطل إلا بعد أن يسأل جماعة من العلماء حتى يرتاح قلبه لهذا العمل، ولذلك فحسن الهدي خير من العمل الكثير، فقد جاء عن ابن مسعود ﵁ أنه قال: (سن الهدي في آخر الزمان خير من كثير من العمل) (٢).

من سمات عصرنا الاهتمام بالمظاهر وقلة الاهتمام بالباطن :

إنّ أغلب الناس في هذا الزمان يهتمون بمظاهرهم الخارجية وتزيينها، ولا يهتمون بتزكية قلوبهم وبواطنهم، ولذلك فإنّ المتحدثين والمهتمين بأمور التزكية وشأن القلوب قلة من الناس، وأما المهتمين بالحديث عن الأمور الأخرى فكثير.

يقول الإمام أبو حامد الغزالي – رحمه الله –: (إنّه كان في البصرة مائة وعشرون متكلمًا في الوعظ والتذكير، ولم يكن من يتكلم في علم اليقين، وأحوال القلوب وصفات الباطن إلا ثلاثة: منهم سهل التستري، والصبيحي، وعبد الرحيم، وكان يجلس إلى أولئك الخلق الكثير الذي لا يحصى، وإلى هؤلاء عدد يسير قلما يجاوز العشرة، لأنّ النفيس العزيز لا يصلح إلا لأهل الخصوص، وما يبذل للعموم فأمره قريب) (٣).

(١) إحياء علوم الدين (١/١٣٦).
(٢) المرجع السابق.
(٣) المرجع السابق (١/١٣٣).

قُدْ سفينتك نحو برّ الأمان تَقُدْ غيرك :

إذا أحسنت قيادة نفسك من الداخل بوعي وثبات، ملتزما بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد ١١]، فإنّك تستطيع قيادة غيرك.

فمن قاد نفسه قاد العالم، فأنت صاحب قدرات هائلة شعارك :

أنــا البحر في أحشائه الـــدر كـــامن   فهل سألوا الغواص عـــن صـــدفاتي.

إنّ من أسهل الأمور أنْ تنظم للآخرين حياتهم، وتترك الفوضى في قلبك ونفسك.

واحذر لغة المتقاعسين، وألفاظ المستسلمين، فأنت قادر على سياسة أنفسك، وقيادة سفينة حياتك، فعند ذلك ستشرق النفوس، وتتولد في النفس طاقات جبارة.

ولنحذر من خداع أنفسنا بتحكيم لغة المتقاعسين في حياتنا، ثم نبدأ باختراع الأدلة لاثبات هذه المصطلحات، فيتولد شعور في نفوسنا أنّنا غيرُ مسؤولين، فيصدق فينا قول القائل :

أفنيت يا مسكـــين عمرك   بالـــتأوه والحـــزنْ
وقعـــدت مكـــتوف الـــيد   يـــن تقـــول حاربني الزمـــنْ
مـــا لم تقـــم بالعـــبء   فمـــن يقـــوم بـــه إذنْ
كـــم قلـــت: أمـــراض الـــبلاد   وأنـــت مـــن أمراضـــها
والشـــؤم علـــتها فهـــل   فتشـــت عـــن أعراضـــها ؟

خاتمة البدايات: حسن سياسة النفس:

إنّ من فقه السير إلى الله تعالى حسن سياسة النفس حتى تستمر على انطلاقها إلى الله تعالى، ولذلك فإنّ للنفس حالتين لا ثالث لهما، حالة النشاط والقوة، وحالة الفتور والإدبار، ولكل منهما فقه خاص للتعامل مع النفس فقد جاء عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ

قَالَ ﷺ: (... فَإِنَّ لِكُلِّ عَابِدٍ شِرَّةً، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةً، فَإِمَّا إِلَى سُنَّةٍ، وَإِمَّا إِلَى بِدْعَةٍ، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّةٍ فَقَدْ اهْتَدَى، وَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ) [1].

وفي ذلك يقول ابن القيم -رحمه الله -: (إنَّ للقلوب شهوةً وأدبارًا، فاغتنموها عند شهوتها وإقبالها، ودعوها عند فترتها وأدبارها) [2].

وعن ابن مسعود ﷺ: (إنَّ لهذه القلوب شهوةً وإقبالاً، وإنَّ لها فترة وإدباراً، فخذوها عند شهوتها وإقبالها، وذروها عند إدبارها) [3]

فعلينا أنْ نحسن سياسة أنفسنا ففي حالة الإقبال نكثر من الأعمال الصالحة والعبادات، ونلزمها بنوافل الأعمال والسنن، ونأمرها بأداء التكاليف ليلاً ونهارًا، وفي حالة فتورها نلزمها الفرائض الواجبة من العبادات، ونعاملها برفق ولين حتى تقبل، فإنْ أقبلت شددنا عليها مرة أخرى.

ولهذا فعلينا إعطاء القلوب ما تحتمله من الاجتهاد، ونلزمها درب الاستقامة، ولا نغفل عنها عند فتورها وتوانيها وعدم اجتهادها، لأن الغفلة عنها يخرجها عن درب الاستقامة، وفي ذلك يقول الشاعر محمد إقبال -رحمه الله- :

لحظـة يـا صـاحبي إنْ تغفـل   ألـف مـيل زاد بُعـد المنـزل
رام نقـش الشـوك يـومًا رجـل   فاختفـى عـن ناظـريه المحمـل

والنصيحة الغالية في هذا الموطن: **لا تكن مع نفسك كالعصا فتكسر، أو كالليمون فتعصر، وإنما كن حكيمًا في تعاملك معها، ووجهها حين إدبارها إلى عمل سهل و يسير، ولا يحتاج إلى مجهود لبذله، ولكنه في نفس الوقت عمل إيجابي، فيه أجر من الله تعالى.**

(١) أخرجه أحمد: ٢/١٥٨، ١٦٥، ١٨٨، ٢١٠. وإسناده صحيح.
(٢) الفوائد (١٤٧).
(٣) شرح السنة :٤/٥٩، روضة العقلاء: ص ١٧-١٨ الحلية :١/١٣

الفصل الأول
ميدان المقامات القلبية

الإيمان
وأثره في تغيير النفس وتهذيبها

الإيمان هو الذي يعطي الإنسان القوة المذخورة، ويزرع الغايات الكبار، ويبعث الهمم ويدفع إلى الريادة في كل الميادين، فهو يحيي من موات، ويبعث من جمود، وينير العقول والأذهان، ويبعث العزيمة في النفس على مقارعة الباطل في سبيل الدفاع عن الحق، وهو الذي يدفع صاحبه على التغير نحو الأفضل.

قوة الإيمان :

ومنه قوة الثبات على الحق والدفاع عنه والاستمساك به، قال تعالى: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف:٤٣].

وهي القوة التي تورث الصبر في الأزمات حتى يأتي النصر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[آل عمران ٢٠٠].

﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب :٢٢] .

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران :١٤٦].

﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة :٢٤٩].

وقال ﷺ لابن عبّاس: (يَا غُلامُ إنّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتِ الأَقْلامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ)(١).

أنواع الناس مع الإيمان :

قال ابن القيم – رحمه الله – :

(فإنّ كمال الإنسان مداره على أصلين: معرفة الحق من الباطل، وإيثاره الحق على الباطل، والعزم على إقرار الحق وإزهاق الباطل، ثم العمل بكل طاقته للسيادة والخيرية وصدق الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾[البينة:٦].

وقد جاء في الأثر: (اللهم أرني الحق حقًا وارزقني اتباعه، وأرني الباطل باطلاً وارزقني اجتنابه)، فهؤلاء هم الذين رزقوا علمًا، وأعينوا بقوة العزيمة على العمل، وهم الموصوفون في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَـٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام :١٢٢]، فبالحياة الإيمانية والأنوار الإلهية تنال العزيمة، وبالنور ينال العلم، وأئمة هذا القسم هم أولو العزم من الرسل.

وما تفاوتت منازل الخلق عند الله تعالى في الدنيا والآخرة، إلا بقدر تفاوت منازلهم في هذين الأمرين، وهما اللذان أثنى الله تعالى بهما – سبحانه وتعالى– على أنبيائه – عليهم الصلاة والسلام– في قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَـٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى

(١) أخرجه الترمذي برقم:٢٥١٦، وقال هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وأحمد في المسند :١/٢٩٣ وأبو يعلى برقم: ٢٥٥٦ والحديث صحيح.

ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَـٰرِ ﴾ [ص: ٤٥] فالأيدي: القوة في تنفيذ الحق، والأبصار: البصائر في الدين، فوصفهم بكمال إدراك الحق، وكمال تنفيذه، وانقسم الناس في هذا المقام أربعة أقسام.

القسم الأول: فهؤلاء أشرف الأقسام من الخلق، وأكرمهم على الله تعالى.

القسم الثاني: عكس هؤلاء من لا بصيرة له في الدين، ولا قوة على تنفيذ الحق، وهم أكثر هذا الخلق الذين رؤيتهم قذى العيون، وحمّى الأرواح، وسقم القلوب، يضيقون الديار ،ويغلّون الأسعار، ولا يستفاد من صحبتهم إلا العار والشنار.

القسم الثالث: من له بصيرة في الهدى ومعرفة به، لكنه ضعيف لا قوة له على تنفيذه، ولا الدعوة إليه، وهذا حال المؤمن الضعيف، والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله تعالى منه.

القسم الرابع :من له قوة وهمة وعزيمة، لكنه ضعيف البصيرة في الدين لا يكاد يميز بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، بل يحسب كل سوداء تمرة، وكل بيضاء شحمة، يحسب الورم شحمًا، والدواء النافع سمًا.

وليس في هؤلاء من يصلح للإمامة في الدين، ولا هو موضع لها سوى القسم الأول، قال الله تعالى:﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة :٢٤]، فاخبر سبحانه أنهم بالصبر واليقين، نالوا الإمامة في الدين، والإمامة قوة وعزيمة، وهؤلاء هم الذين استثناهم الله سبحانه وتعالى من جملة الخاسرين، وأقسم بالعصر – الذي هو زمن سعي الخاسرين والرابحين– على أن من عاداهم فهو من الخاسرين، فقال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝﴾.(١)

وقال رحمه الله:

(١)الجواب الكافي :ص٦٣

(فمن الناس من يكون له القوة العلمية الكاشفة عن الطريق ومنازلها وأعلامها وعوارضها ومعاثرها، وتكون هذه القوة أغلب القوتين عليه، ويكون ضعيفًا في القوة العملية يبصر الحقائق، ولا يعمل بموجبها، ويرى المتالف والمخاوف والمعاطب، ولا يتوقاها، فهو فقيه ما لم يحضر العمل، وإذا حضر العمل شارك الجهال في التخلف وفارقهم في العلم، وهذا هو الغالب على أكثر النفوس المشتغلة بالعلم، والمعصوم من عصمه الله تعالى وحضه على العمل وفتح بصيرته فعرف عواقب الأمور.

ومن الناس من تكون له القوة العملية الإرادية، وتكون أغلب القوتين عليه، وتقتضي هذه القوة السير والسلوك والزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، والجد والتشمير في العمل، ويكون أعمى البصر عند ورود الشبهات في العقائد، والانحرافات في الأعمال والأقوال والمقامات، كما كان الأول ضعيف العقل عند ورود الشهوات فداء هذا من جهله، وداء الأول من فساد إرادته، وضعف عقله، وهذا حال أكثر أرباب الفقر والتصوف السالكين على غير طريق العلم، بل على طريق الذوق والوجد والعادة، ويرى أحدهم أعمى عن مطلوبه، لا يدري من يعبد ؟ ولا بماذا يعبده ؟ فتارة يعبده بذوقه ووجده، وتارة يعبده بعادة قومه وأصحابه من لبس معين، أو كشف رأس أو حلق لحية ونحوها، وتارة يعبده بالأوضاع التي وضعها بعض المتحذلقين، وليس له أصل في الدين وتارة يعبده بما تحبه نفسه وهواه كائنًا ما كان، وهنا طرق ومتاهات لا يحصيها إلا رب العباد.

فهؤلاء كلهم عمي عن ربهم وعن شريعته ودينه، لا يعرفون شريعته ودينه الذي بعث به رسله، وأنزل به كتبه، ولا يقبل من أحد دينًا سواه، كما أنهم لا يعرفون صفات ربهم التي تعرف بها إلى عباده على ألسنة رسله، ودعاهم إلى معرفته ومحبته من طريقها، فلا معرفة بالرب ولا عبادة له.

ومن كانت له هاتان القوتان: استقام له سيره إلى الله تعالى، ورجي له النفوذ، وقوي على رد القواطع والموانع بحول الله تعالى وقوته، فإن القواطع كثيرة، شأنها شديد لا يخلص من حبائلها إلا الواحد بعد الواحد، ولولا القواطع والآفات لكانت الطريق معمورة بالسالكين، ولو شاء الله تعالى لأزالها، وذهب بها، ولكن الله تعالى يفعل ما يريد، والوقت كالسيف إنْ لم تقطعه قطعك، فإذا كان السير ضعيفًا، والهمة ضعيفة، والعلم بالطريق

ضعيفًا، والقواطع الخارجة والداخلة كثيرة شديدة، فإنّه جهد البلاء، ودرك الشقاء، وشماتة الأعداء، إلا أنْ يتداركه الله تعالى برحمة منه من حيث لا يحتسب، فيأخذ بيده ويخلصه من أيدي القواطع، والله ولي التوفيق) [(١)]

محل قوة الإنسان القلب :

القوة عمل قلبي، والقلب لا سلطان عليه - بعد الله تعالى- لغير صاحبه، وكما أنّ الطائر يطير بجناحيه، كذلك العبد يطير بهمته وعزيمته، فتحلق به إلى أعلى الآفاق، طليقة من القيود التي تكبل الأجساد

إنْ يسلب القوم العدا ملكي وتسلمني الجموع
فالقلب بين ضلوعه لم تسلم القلب الضلوع

وجاء عن ابن قتيبة - رحمه الله- أنّه ذكر عن بعض الحكماء :

(ذو الهمة إن حطّ، فنفسه تأبى إلا علوًا، كالشعلة من النار يصوبها صاحبه، وتأبى إلا ارتفاعًا) [(٢)]

قال ابن القيم: (فاعلم أنّ العبد إنّما يقطع منازل السير إلى الله تعالى بقلبه وهمته لا ببدنه، والتقوى في الحقيقة تقوى القلوب، لا تقوى الجوارح، قال تعالى:

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢].

وقال الله تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [الحج:٣٧]، وقال النبيﷺ: (**التقوى هاهنا**) وأشار إلى صدره، فالكيس يقطع من المسافة بصحة العزيمة، وعلو الهمة، وتجريد القصد، وصحة النية، مع العمل القليل أضعاف أضعاف ما يقطعه الفارغ من ذلك مع التعب الكثير، والسفر الشاق، فانّ العزيمة والمحبة تذهب المشقة وتطيب السير، والتقدم والسبق إلى الله سبحانه وتعالى إنما هو بالهمم، وصدق الرغبة والعزيمة، فيتقدم صاحب الهمة مع سكونه، صاحب العمل الكثير بمراحل، فإنْ ساواه في همته تقدم عليه بعمله، وهذا موضع يحتاج إلى تفصيل يوافق فيه الإسلام

(١) طريق الهجرتين: ٢٨٧-٢٨٨
(٢) عيون الأخبار: ٣/٢٣١

والإحسان فاكمل الهدى هدى رسول الله وكان موفيًا كل واحد منهما حقه، فكان مع كماله وإرادته وأحواله مع الله تعالى يقوم حتى تتورم قدماه، ويصوم حتى يقال لا يفطر، ويجاهد في سبيل الله تعالى، ويخالط أصحابه، ولا يحتجب عنهم، ولا يترك شيئًا من النوافل والأوراد لتلك الواردات التي تعجز عن حملها قوى البشر). (١)

حياة القلب بالعلم والعزيمة :

إنّ ضعف الإرادة والطلب من ضعف حياة القلب، وكلما كان القلب أتم حياةً كانت همته أعلى، وإرادته ومحبته أقوى، فإنّ الإرادة والمحبة تتبع الشعور المراد بالمحبوب، وسلامة القلب من الآفة التي تحول بينه وبين طلبه وإرادته، فضعف الطلب وفتور الهمة إما من نقصان الشعور والإحساس، وإما من وجود الآفة المضعفة للحياة فقوة الشعور وقوة الإرادة دليل على قوة الحياة، وضعفها دليل على ضعفها، وكما أنّ علو الهمة وصدق الإرادة، والطلب من كمال الحياة، فهو سبب في حصول أكمل الحياة وأطيبها، فإنّ الحياة الطيبة إنّما تنال بالهمة العالية، والمحبة الصادقة، والإرادة الخالصة فعلى قدر ذلك تكون الحياة الطيبة، وأخس الناس حياة أخسهم همة، وأضعفهم محبة وطلبًا، وحياة البهائم خير من حياته، كما قال القائل :

نهارك يا مغرور سهو وغفلةٌ ... وليلك نوم والردى لك لازمُ
وتكدح فيما سوف تنكر غبّه ... كذلك في الدنيا تعيش البهائمُ
تُسَرُّ بما يفنى، وتفرح بالمنى ... كما غر باللذات في النوم حالمُ

التفوق بالنية الصادقة والهمة العالية :

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ ﷻ قَالَ: قَالَ: (.... فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً....)(٢).

عَنْ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ) (٣)

---

(١) الفوائد:١٤١-١٤٢

(٢) أخرجه البخاري برقم:٦٤٩١، مسلم :١٣١

(٣) أخرجه مسلم برقم:١٩٠٩، وأبو داود برقم:١٥٢٠،والنسائي :٣١٦٢

وأخبر النبي ﷺ عن الذي تجهز للجهاد، ثم أدركه الموت قبل ذلك، أنّ أجره على قدر نيته، فقد جاء عَنْ جَابِرِ بْنِ عَتِيكٍ :أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَاءَ يَعُودُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ ثَابِتٍ فَوَجَدَهُ قَدْ غُلِبَ عَلَيْهِ فَصَاحَ بِهِ فَلَمْ يُجِبْهُ فَاسْتَرْجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: قَدْ غُلِبْنَا عَلَيْكَ أَبَا الرَّبِيعِ فَصِحْنَ النِّسَاءُ وَبَكَيْنَ فَجَعَلَ ابْنُ عَتِيكٍ يُسَكِّتُهُنَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: دَعْهُنَّ فَإِذَا وَجَبَ فَلَا تَبْكِيَنَّ بَاكِيَةٌ، قَالُوا: وَمَا الْوُجُوبُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الْمَوْتُ، قَالَتْ ابْنَتُهُ: إِنْ كُنْتُ لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ شَهِيدًا قَدْ كُنْتَ قَضَيْتَ جِهَازَكَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ قَدْ أَوْقَعَ أَجْرَهُ عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ نِيَّتِهِ وَمَا تَعُدُّونَ الشَّهَادَةَ، قَالُوا: الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﷻ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الشَّهَادَةُ سَبْعٌ سِوَى الْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﷻ الْمَطْعُونُ شَهِيدٌ وَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ وَالْغَرِيقُ شَهِيدٌ وَصَاحِبُ الْهَدْمِ شَهِيدٌ وَصَاحِبُ ذَاتِ الْجَنْبِ شَهِيدٌ وَصَاحِبُ الْحَرَقِ شَهِيدٌ وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجُمْعٍ شَهِيدَةٌ). (١)

وقد جاء عن النبي ﷺ في حق قوم تخلفوا عن غزوة تبوك من الحريصين على الخروج معه، ولكن منعهم العذر من ذلك ،قوله: من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ، قَالَ: وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ). (٢)

عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- أَخْبَرَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَا مِنْ امْرِئٍ تَكُونُ لَهُ صَلَاةٌ بِلَيْلٍ فَغَلَبَهُ عَلَيْهَا نَوْمٌ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَجْرَ صَلَاتِهِ وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ.(٣).

فليس الشأن فيمن يقوم الليل، وإنّما الشأن فيمن ينام على فراشه، ثم يصبح، وقد سبق الركب بعلو همته، وطهارة قلبه، وقوة يقينه، وشدة إخلاصه، وفي ذلك قال القائل :

من لي بمثل سيرك المدلل ... تمشي رويدا وتجيء في الأول

وما أحسن قول الشاعر مخاطبًا الحجيج، وقد انطلقوا للحج :

يا راحلين إلى البيت العتيق لقد ... سرتم جسومًا وسرنا نحن أرواحا
إنا أقمنا على عذر وعن قدر ... ومن أقام على عذر فقد راحا

---

(١) أخرجه النسائي برقم:١٨٤٦، وأبو داود برقم:٣١١١، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري برقم:٤٤٢٣، وابن ماجة برقم:٣٧٦٤.

(٣) أخرجه النسائي برقم:١٧٨٤، وأبو داود برقم:١٣١٤وهو صحيح.

وقد يسبق المؤمن بهمته العالية كما بين ذلك الصادق المصدوق في قوله فيما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفٍ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّه وَكَيْفَ، قَالَ: رَجُلٌ لَهُ دِرْهَمَانِ فَأَخَذَ أَحَدَهُمَا فَتَصَدَّقَ بِهِ وَرَجُلٌ لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ فَأَخَذَ مِنْ عُرْضِ مَالِهِ مِائَةَ أَلْفٍ فَتَصَدَّقَ بِهَا. (١)

قوة العزيمة تمنح صاحبها القوة على طلب معالي الأمور :

إنّ همة المؤمن العالية لا تسمح له بإعطاء الدنية، ولا تقنع بالسفا سف، ولا ترضى إلا بمعالي الأمور :

قلت للصقر وهو في الجو عال ... اهبط الأرض فالهواء جديب
قال لي الصقر: في جناحي وعزمي ... وعنان السماء مرعى خصيب

هذا المرعى الذي يجهله أصحاب النفوس الخسيسة، الذين أثقلتهم مطامع الأرض وأهواء النفس، ولا يدركون أن طعم الموت في كل الأحوال هو نفس الطعم :

إذا ما كنت في أمر مروم ... فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمر حقير ... كطعم الموت في أمر عظيم

وقال صفي الدين الحلي :

لا يظهر العجز منا دون نيل مُنى ... ولو رأينا المنايا في أمانينا

وقال البار ودي :

فانهض إلى صهوات المجد معتليا ... فالباز لم يأو إلا عالي القللِ
ودع من الأمور أدناه لأبعده ... في لجة البحر ما يغني عن الو شل
قد يظفر الفاتك الألوي بحاجته ... ويقعد العجز بالهيابة الوكل

فعالي الهمة يعلم أنه إذا لم يزد شيئًا على الدنيا فهو زائد عليها، ومن ثم فهو لا يرضى بأن يحتل هامش الحياة، بل لابد أن يكون في صلبها ومتنها عضوًا مؤثرًا

وما للمرء خير في حياةٍ ... إذا ما عدَّ من سَقَطِ المتاع

وقال علي بن محمد الكاتب البستي :

إذا ما مضى يوم ولم أصطنع يدًا ... ولم أقتبس علما فما هو من عمري

(١) أخرجه النسائي برقم:٢٥٢٨ وإسناده حسن.

فكبير الهمة نوع من البشر تتحدى همته - بحول الله تعالى- ما يراه غيره مستحيلاً، وينجز بتوفيق الله تعالى إياه ما ينوء بالعصبة أولي القوة، ويقتحم بتوكله على الله تعالى الصعاب والأهوال لا يلوي على شيء:

له همم لا منتهى لكبارها ... وهمته الصغرى أجلّ من الدّهر

ولهذا قيل: ليس في علوّ الهمة إفراط في الحقيقة، لأنّ الهممَ العاليةَ طموحةٌ وثابةٌ، دائمة الترقي والصعود، لا تعرف الدعة والسكون.

فكن رجلا رجله في الثرى ... وهامة همته في الثريا

بل إنّ همته تتجاوز الثريا، ولا تقنع بدون أعلى درجات الجنة.

قال عمر بن عبد العزيز - رحمه الله- لدكين لما جاءه: (يا دكين إنّ لي نفسًا تواقة، لم تزل تتوق إلى الإمارة، فلما نلتها تاقت إلى الجنة).

ومن ذلك قول يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ..﴾ [يوسف:١٠١].

قال الإمام ابن الجوزي - رحمه الله-: (من أعمل فكره الصافي، دله طلب أشرف المقامات، ونهاه عن الرضى بالنقص في كل حال، وقال أبو الطيب المتنبي :

ولم أرَ في عيوبِ النَّاسِ عَيْبًا ... كَنَقْصِ القَادِرِينَ عَلَى التَّمامِ

كبر العزيمة والهمة تدل على عظمة الإيمان :

أصحاب الهمة الإيمانية العالية يتسابقون إلى المكارم، لا يكلون ولا يملون، ولا يقنطون؛ لأنهم يعلمون أنه لا يقنط من رحمة ربه إلا الضالون

وجد القنوطُ إلى الرجال سبيله ... وإليك ما وجد القنوطُ سبيلا
ولَرُبَّ فردٍ في سُموٌ فعاله ... وعُلُوِّه خُلُقًا يعادل جيلا

وأصحاب الهمة العالية في الناس كالعملة النادرة، يصدق فيهم قول رسول الله ﷺ: (تَجِدُونَ النَّاسَ كَإِبِلٍ مِائَةٍ، لَا يَجِدُ الرَّجُلُ فِيهَا رَاحِلَةً). (١).

وهم في الناس ثلة من الأولين وقليل من الآخرين، وقد كانوا إذا عُدُّوا قليلاً فقد صاروا أعزّ من القليل، الواحد منهم بأمة، والفرد منهم بألف.

(١) أخرجه البخاري برقم:٦٤٩٨، ومسلم برقم:٢٤٥٧، والترمذي برقم:٢٨٧٢، وابن ماجة برقم:٣٩٩٠

يعد بألف من رجال زمانه ... لكنه في الألمعية واحد

ولذا عظمت المصيبة بفقدهم، وعمت الرزيّة بموتهم :

تعلم ما الرزية فَقْد مال ... ولا شاة تموتُ ولا بعيرُ
ولكنّ الرزية فَقْدُ حرٍّ ... يموت بموته بشرٌ كثيرُ

وقال بعض السلف :موت العالم ثلمة في الإسلام، لا يسدها شيء.

ومما قيل في رثاء عمر بن عبد العزيز – رحمه الله – :

عمت صنائعه، فعم هلاكه ... فالناسُ فيه كلهم مأجورُ
والناس مأتمهم عليه واحد ... في كل دار رنة وزفيرُ
يثني عليك لسان من لم توله ... خيرا، لأنك بالثناء جديرُ
ردت صنائعه عليه حياته ... فكأنه من نشرها منشورُ

وقال الأصمعي: لما صاف قتيبة بن مسلم للترك، وهاله أمرهم، سأل عن محمد بن واسع، فقيل: هو ذاك في الميمنة جامح على فرسه، يبصبص بإصبعه نحو السماء.

قال: تلك الإصبع أحب إلي من مائة ألف سيف شهير، وشاب طرير.

الصبر على تحصيل الغاية من دلالات الإيمان :

إن عالي الهمة يجود بالنفس والنفيس في سبيل تحصيل غايته، وتحقيق بغيته، لأنه يعلم أنّ المكارم منوطة بالمكاره، ولذلك فإنّ المصالح والخيرات، واللذات والكمالات كلها لا تنال إلا بحظ من المشقة، ولا يعبر إليها إلا على جسر من التعب :

بصرت بالراحة الكبرى فلم أرها ... تُنال إلا على جسرٍ من التعبِ

وقال آخر:

لولا المشقة ساد الناسُ كلُّهم ... الجودُ يُفقِرُ، والإقدامُ قتّالُ

وقال آخر :

فقل لمرجي معالي الأمور ... بغير اجتهاد: رجوت المحالا

وفي ذلك يقول الإمام ابن القيم – رحمه الله–: (وقد أجمع عقلاء كل أمة على أنّ النعيم لا يدرك بالنعيم، وإنّ من آثر الراحة، فاتته الراحة، وإنّ بحسب ركوب الأهوال، واحتمال المشاق تكون الفرحة واللذة، فلا فرحة لمن لا هم له، ولا لذة لمن لا صبر له، ولا

نعيم لمن لا شقاء له، ولا راحة لمن لا تعب له، بل إذا تعب العبد قليلاً، استراح طويلاً، وإذا تحمل مشقة الصبر ساعة قاده لحياة الأبد، وكل ما فيه أهل النعيم المقيم فهو صبر ساعة، والله تعالى المستعان ولا قوة إلا بالله).

وكلما كانت النفوس أشرف، والهمة أعلى، كان تعب البدن أوفر، وحظه من الراحة أقل، كما قال المتنبي:

وإذا كانت النفوسُ كبارًا ... تعبَتْ في مُرادِها الأجسَامُ

◆◆◆◆◆

وقال ابن الرومي:

قلب يظل على أفكاره ويد ... تمضي الأمور ونفس لهوها التعب

وقال مسلم في صحيحه: قال يحيى بن أبي كثير: (لا ينال العلم براحة البدن).

ولا ريب عند كل عاقل أنّ كمال الراحة بحسب التعب، وكمال النعيم بحسب تحمل المشاق في طريقه، وإنما تخلص الراحة واللذة والنعيم في دار السلام، فأما في هذه الدار فكلاّ ولـمّا. (1)

وحق على من كانت غايته عظيمة، أنْ يصبر في سبيل تحقيقها على المشاق ويحرص على تجاوز المصاعب في سبيل الوصول إليها :

لا تحسب المجد تمرا أنت آكله ... لا تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

ولتعلم أنّ تعب عالي الهمة راحة في المعنى، وراحة قصير الهمة تعب وشين، ومصداقه ما قال عبد الله بن جعفر :

أرى نفسي تتوق إلى أمور ... ويقصر دون مبلغهن حالي
فنفسي لا تطاوعني ببخل ... ومالي لا يبلغني فعالي

وقيل للربيع بن خثيم: (لو أرحت نفسك ؟ قال: راحتها أريد).

قال أحمد بن داود أبو سعيد الواسطي:

دخلت على أحمد الحبس قبل الضرب، فقلت له في بعض كلامي :

(يا أبا عبد الله: عليك عيال، ولك صبيان، وأنت معذور – كأني أسهل عليه الإجابة – فقال لي أحمد بن حنبل: إنْ كان هذا عقلك يا أبا سعيد فقد استرحت).

---

(1) مفتاح دار السعادة: ٢/١٥-١٦

وعالي الهمة ينطلق بثقة نحو غايته فيقتحم الأهوال، ويستهين بالصعاب، ولذلك قال معاوية ﷺ: من طلب عظيمًا، خاطر بعظيمته.

ذريني وأهوال الزمان أعانها ... فأهوالها العظمى تليها رغائبه.

وقال آخر :

ذريني أنل ما لا ينال من العلا ... فصعب العلا في الصعب، والسهل في السهل
تريدين إدراك المعالي رخيصة ... ولا بد دون الشهد من إبر النحل

وعالي الهمة دائم الترحال في طلب مبتغاه حيث لاح له :

إذا لم أجد في بلدة ما أريده ... فعندي لأخرى عزمة وركاب

وعالي الهمة لا يزال يطير إلى المعالي بجناح الهمة، لا يلوي على شيء ،ولا يستفزه لوم اللائمين، ولا تثبيط القاعدين :

سبقت العالمين إلى المعالي ... بصائب فكرة، وعلو همة
ولاح بحكمتي نور الهدى في ... ليل للضلالة مُدْلَهِمَّة
يريد الجاهلون ليطفئوه ... ويأبى الله إلا أن يتمه

وعالي الهمة قد لا يتسنى له إدراك بغيته، وتحقيق غايته، لأمور خارجة عن إرادته فلا يفل ذلك من عزيمته، ولا يحط من همته، بل يعزي نفسه أنّه أدى ما عليه، وأعذر إلى نفسه:

سأضرب في طول البلاد وعرضها ... أنال مرادي أو أموت غريبا
فإن تلفت نفسي فلله درها ... وإن سلمت كان الرجوع قريبا

وقال آخر :

عجبت لهم قالوا: تماديت في المنى ... وفي المثل العليا، وفي المرتقى الصعب
فاقصر، ولا تجهد يراعك إنما ... ستبذر حبا في ثرى ليس بالخصب
فقلت لهم: مهلاً، فما اليأس شيمتي ... سأبذر حبي، والثمار من الرب
إذا أنا أبلغت الرسالة جاهدًا ... ولم أجد السميع المجيب فما ذنبي ؟

منزلة الإخلاص

مغزى الإخلاص: تنقية العمل من الشوائب

تعريف الإخلاص :

الإخلاص تجريد قصد التقرب إلى الله تعالى عن جميع الشوائب.

وهو أمر عزيز، صعب على النفس؛ لأنَّ كل حظ من حظوظ الدنيا تستريح إليه النفس، ويميل إليه القلب، ويخفّ العمل بسببه، قَلّ أم كثُر، إذا تطرق إلى العمل: تكدّر به صَفْوُه، وزال به الإخلاص؛ فلذلك قيل: من سلم له لحظة من عمره خالصة لوجه الله تعالى نجا!!.

قال أيوب السختياني - رحمه الله-: (تخليص النيات على العمال: أشد عليهم من جميع الأعمال)!..

فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر ... وبيني وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين ... وكل الذي فوق التراب تراب

وقد تنوعت عباراتهم في الإخلاص والصدق فيه والقصد واحد :

(الإخلاص مسك القلب، ماء حياته، ومدار الفلاح عليه).

قال أبو عثمان المغربي: (الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق).

وقيل: (هو إفراد الحق سبحانه بالقصد في الطاعة).

وقيل: الإخلاص استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن والرياء، أن يكون ظاهره خيرًا من باطنه، والصدق في الإخلاص: أنْ يكون باطنه أعمر من ظاهره.

ومن كلام الفضيل: (ترك العمل من أجل الناس: رياء، والعمل من أجل الناس: شرك، والإخلاص: أن يعافيك الله تعالى منهما).

قال الجنيد: (الإخلاص سر بين الله تعالى وبين العبد لا يعلّمه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده، ولا هوى فيميله).

حاجة الدعاة إلى الإخلاص :

من أحوج الناس إلى الإخلاص: الدعاة إلى الله تعالى ؛ لأنّ أعمالهم أخروية تفتقر إلى النية والإخلاص في كل جـزئياتها وإلا ضاعت سدى، ولأنهم أفقر الناس إلى ربهم وأحوجهم إلى عونه وتوفيقه؛ لأنّ أعداءهم كثر، ولا ناصر لهم إلا الله تعالى، ولا ينجو إلا المخلصون.

وفي ميادين الدعوة إلى الله تعالى لا يثبت إلا المخلصون، فلماذا؟:

- لأنّ الله سبحانه وتعالى يثبتهم ويعصمهم مـن الشيـطان ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر:٤٠]، وفي القراءة الأخرى (المخلصين) (٢).
- يورثهم إخلاصهم صبراً ؛ فيعينهم صبرهم على الثبات.
- إذا ادلهمت الخطوب لجأوا إلى الله تعالى، وإذا أقفرت السبل تذكروا جزاء الآخرة.
- كلما فتروا شحذ الإخلاص هممهم.
- قد ارتاحوا من هموم الدنيا ونَصَبها، إذ تَوحّد هَمّهم.
- يبارك الله تعالى في جهودهم المتواضعة فتثمر الكثير، فيزداد حماسهم.
- يحافظون على نتائج دعوتهم، ويمضون قدماً.

وإذا تأملنا سير الدعاة على مر القرون وجدنا أنّ أعظم الناس اهتماماً بالدعوة: المخلصون، وهم الذين يثبتهم الله تعالى، ويرفع ذكرهم، ويحيي دعوتهم، ويبارك في جهودهم، ويجعل العقبى لهم.

وسِيَر الأنبياء ومَنْ بعدهم شاهدة على ذلك، فالأنبياء أكمل الناس إخلاصاً، وأكثر الناس اهتماماً بالدعوة، وأعظم الناس انتصاراً!.

شروط قبول العمل :

❖ صحة المنطلق هي نقطة البداية: فاستحضار النية وتحقيق الإخلاص والتوجه بالأعمال كلها إلى الله سبحانه وتعالى، وطلب الأجر منه وحده، وعدم الالتفات إلى الناس، وعدم قصدهم بالأعمال وترك ريائهم لأنه شرك بالله تعالى يحبط الأعمال، تعد نقطة البداية الصحيحة.

❖ صحة البداية شرط لصحة النهاية: فمن صحت بدايته، استقامت طريقته، وصحت نهايته، ومن فسدت بدايته اعوجت طريقته، وساءت نهايته، ولذلك وجب على المسلم دوام استحضار النية وتجديد الإخلاص في كل عمل.

❖ ولذلك فإنّ للعمل المقبول مواصفات لابد من التحقق بها، ويحدد لنا هذه المواصفات الفضيل بن عياض -رحمه الله- حيث يقول: (هو أخلصه وأصوبه قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إنّ العمل إذا كان خالصًا ولم يكن **صوابًا لم يقبل وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا: لم يقبل حتى يكون خالصًا صوابًا**).

والخالص: أنْ يكون لله، والصواب أنْ يكون على السنة، ثم قرأ قولـه تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠].

الإخلاص والإحسان :

يقول ابن رجب -رحمه الله- : مقام الإخلاص وهو أنْ يعمل العبد على استحضار مشاهدة الله تعالى إياه، وإطلاعه وقربه منه، فإذا استحضر العبد هذا في عمله، وعمل عليه فهو مخلص لله تعالى؛ لأنّ استحضاره ذلك في عمله يمنعه من الالتفات إلى غير الله تعالى وإرادته بالعمل.

والثاني: مقام المشاهدة: وهو أنْ يعمل العبد على مقتضى مشاهدته لله تعالى بقلبه، وهو أنْ يتنور القلب بالإيمان، وتنفذ البصيرة في العرفان، حتى يصير الغيب كالشهادة، وهذا هو حقيقة مقام الإحسان المشار إليه في حديث جبريل عليه السلام.

علامات الإخلاص :

إنّ للإخلاص علامات تظهر على صاحبها، يعرفها كلّ في نفسه وجوداً وعدماً ومنها:

١) اتهام النفس بالتقصير وعدم العجب وتزكية النفس.

٢) العمل بصمت والحرص على إخفاء الأعمال: كما جاء في حديث السبعة الذين

يظلهم بظله (المتصدق باليمين خفية عن الشمال) [١].

٣) البعد عن الشهرة: وأفضل المسلمين من أخفى نفسه وأبعدها عن الشهرة عَنْ أَبِي أُمَامَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (إِنَّ أَغْبَطَ أَوْلِيَائِي عِنْدِي لَمُؤْمِنٌ خَفِيفُ الْحَاذِ، ذُو حَظٍّ مِنْ الصَّلَاةِ، أَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ، وَأَطَاعَهُ فِي السِّرِّ، وَكَانَ غَامِضًا فِي النَّاسِ لَا يُشَارُ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ، وَكَانَ رِزْقُهُ كَفَافًا، فَصَبَرَ عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ نَقَرَ بِيَدِهِ فَقَالَ: عُجِّلَتْ مَنِيَّتُهُ، قَلَّتْ بَوَاكِيهِ، قَلَّ تُرَاثُهُ) [٢].

عَنْ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ) [٣].

قال الشاعر:

مـــن أحمل النفـــس أحياها وروحها ... ولم يبت طاويًا منـــها علـــى ضـــجر
إنّ الرياح إذا اشتدت عـــواصـــفها ... فليس ترمي سوى العـــالي من الشجـــر

٤) ألا يطلب المدح لنفسه ولا يبخل به على غيره: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ لا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ) [٤]

٥) الفرح بكل كفاءة وتشجيع كل فاعل خير: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ الْمَسْجِدَ أَوْ شَابًّا، فَفَقَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلَ عَنْهَا أَوْ عَنْهُ، فَقَالُوا: مَاتَ، قَالَ: أَفَلَا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي، قَالَ: فَكَأَنَّهُمْ صَغَّرُوا أَمْرَهَا أَوْ أَمْرَهُ، فَقَالَ: دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ، فَدَلُّوهُ فَصَلَّى عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا، وَإِنَّ اللَّهَ ﷻ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ) [٥].

٦) الاستمرارية في العمل مهما تقلبت الأحوال وتغيرت الظروف. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ، طُوبَى لِعَبْدٍ

---

(١) البخاري (٦٢٩)، مسلم (١٠٣١).
(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٤٧)، وأحمد (٥/٢٥٢)، والحديث حسن.
(٣) أخرجه مسلم (٢٩٦٥).
(٤) أخرجه الترمذي (١٩٥٤)، وأبو داود (٤٨١١)، والحديث حسن صحيح.
(٥) أخرجه مسلم (٩٥٦)، والبخاري (٤٤٦).

آخذ بعنان فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنْ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ) [١].

٧) السعي لإرضاء الله تعالى لا لإرضاء الناس أو نفسه: عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (مَنْ الْتَمَسَ رِضَا اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ، كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ، وَمَنْ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ، وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ)[٢].

يـــا ربي حمـــدًا لـــيس غـــيرك يحمـــد ... يـــا مـــن لـــه كـــل الخلائـــق تصمد
أبـــواب كـــل ممـــلك قـــد أوصدت ... ورأيـــت بابـــك واســـعًا لا يوصـــد

٨) الحرص على العمل النافع وتقديم ما هو أنفع لدينه.

٩) الاستقامة على الدين: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ)[٣].

١٠) الصبر، والتحمل، واحتساب الأجر، وعدم التذمر والتشكي.

١١) الحماس للعمل لدين الله تعالى، والحرص على الدعوة إليه بدافع ذاتي وليس بمقتضى العمل الوظيفي فحسب.

١٢) المبادرة الذاتية المنضبطة، والفاعلية، والإيجابية، وعدم انتظار التكليف من أحد، بعد التكليف من خالق الأرض والسماء تبارك وتعالى.

١٣) إحسان العمل وإتقانه في السر، أعظم من إتقانه في العلن.

ثمرات وفضائل الإخلاص:

أما فضائل الإخلاص وثمراته فهي كثيرة أوردها مجملة فيما يلي :

فالإخلاص تحقيق لما أمر الله تعالى به، وبه يصح العمل ويتأهل للقبول.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٨٧).
(٢) أخرجه الترمذي برقم (٢٤١٤)، وابن حبان (٢٧٧)، وهو صحيح.
(٣) أخرجه أحمد (٣/١٩٨)، وهو حسن.

وهو قوة يُعتصم بها من شياطين الجن والإنس، وبه حصول التوفيق والسداد والنجاة والثبات والنصر، وخلود الذكر الحسن، وبقاء الثمرة وبالإخلاص تحصل الهمة العالية، التي تولد العزيمة الماضية، التي ينطلق صاحبها في العمل الجاد والإنتاج المثمر لا يلوي على شيء؛ لأنّ الإخلاص جمع قلبه على الله تعالى، فلا همّ له إلا مرضاة ربه، فيستوي عنده مدح الناس وذمهم وحضورهم وغيابهم.

والإخلاص سلامة للقلب من الغل والحقد والحسد، والإخلاص يورث القوة في الحق، والشجاعة والإقدام والصبر؛ لأنّه يربط القلب بالله تعالى، فلا يخاف سواه، ولا يرجو إلا إياه، فيتمثل له كل الخلق كالأموات، لا يملكون من أمر أنفسهم شيئاً.

ومن بركات الإخلاص: أنّه يتضاعف به فضل العمل ويعظم أجره، كما أنّه يجعل فعل المباحات طاعات يثاب عليها؛ فتكون حياة العبد كلها لله، ومن فضائل الإخلاص: أنّ أصحاب الأنبياء وجلساءهم الذين أمر الله تعالى الأنبياء أنْ يصبروا أنفسهم معهم: هم المخلصون.

وهاهي أدلة السنة الصحيحة شاهدة على ما ذكرت آنفاً:

١) الطمأنينة والسكينة: عَنْ زَيْد بنُ ثَابت قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللّه ﷺ يَقُولُ: (مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ، فَرَّقَ اللّهُ عَلَيْه أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْه، وَلَمْ يَأْته منْ الدُّنْيَا إلاَّ مَا كُتبَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتْ الآخرَةُ نيَّتَهُ، جَمَعَ اللّهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غنَاهُ في قَلْبه، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهيَ رَاغمَةٌ)(١).

٢) النجاة من العذاب في الآخرة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّه ﷺ: (إِنَّمَا يُبْعَثُ النَّاسُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ)(٢).

٣) مضاعفة الأجر وإعطاؤه وإتمامه ولو لم يعمل العمل أو يتمه:﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ﴾ [الشورى ٢٠]، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللّه ﷺ قَالَ: (مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِه، وَمَنْ قَامَ

(١) ابن ماجة (٤١٠٥)، وهو صحيح.
(٢) ابن ماجة (٤٢٢٩) صحيح.

لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِه)(١) وتمام العمل: عَنْ أَبِي الدَّرْدَاء عن النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (مَنْ أَتَى فِرَاشَهُ وَهُوَ يَنْوِي أَنْ يَقُومَ فَيُصَلِّيَ مِنْ اللَّيْلِ، فَغَلَبَتْهُ عَيْنَهُ حَتَّى يُصْبِحَ، كُتِبَ لَهُ مَا نَوَى، وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْه مِنْ رَبِّه)(٢).

٤) تحويل العادة المباحة إلى عبادة: عَنْ سَعْد بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَنَّ رَسُولَ اللّه ﷺ قَالَ: (إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّه، إِلاَّ أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ)(٣).

٥) حياة القلب: عَنْ زَيْد بْنِ ثَابت قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّه ﷺ: (نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَبَلَّغَهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرِ فَقيه، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْه إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، ثَلاثٌ لا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، إِخْلاصُ الْعَمَلِ لِلَّه، وَالنُّصْحُ لأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ)(٤).

٦) العصمة من الذنوب ومغفرتها إنْ وقع فيها:﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف ٢٤].

٧) الحفظ من الشيطان: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [الحجر ٣٩-٤٠].

٨) تفريج الكروب والنجاة من المصائب: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا

(١) البخاري (١٩١٠)، مسلم (٧٦٠)
(٢) أخرجه ابن ماجة (١٣٤٤)، والنسائي (١٨٨٧)، وهو صحيح.
(٣) البخاري (٥٦)، أحمد (١/١٧٦).
(٤) ابن ماجة (٢٣٠)، وابن حبان (٦٧٩)، صحيح.

بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس٢٢-٢٣]، وحديث الثلاثة في الغار[١].

٩) النصر والتمكين في الأرض: عَنْ سَعْد عن النَّبِيَّ ﷺ: **(إِنَّمَا يَنْصُرُ اللَّهُ هَذه الأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا، بِدَعْوَتِهِمْ، وَصَلَاتِهِمْ، وَإِخْلَاصِهِمْ)** [٢].

١٠) البركة في الأعمار والأعمال.

١١) النجاة من الفتن :عن معاذ ﷺ عن النبي ﷺ: **(اليسير من الرياء شرك، ومن عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة، إنَّ الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء، إنْ غابوا لم يفتقدوا، وإنْ حضروا لم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون من كل غبراء مظلمة)** [٣].

أسباب تعين على الإخلاص :

إنَّ معرفة الأسباب لأكبر معين على التخلص من الرياء؛ وذلك بالتزام وسائل المعالجة، التي منها:

١) معرفة الله ﷻ حق المعرفة، واستشعار منته وفضله وتوفيقه، والعلم بما يستحق من العبوديـــة، وآدابها الظاهرة والباطنة، وشروطها، وتعميق حب الله تعالى، والعلم بأمراض القلوب وعلاجها.

٢) صحبة أهل الإخلاص والصلاح: عَنْ أَبِي مُوسَى عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً)** [٤].

٣) قراءة سير السلف الصالح والعلماء في الإخلاص.

٤) المجاهدة للنفس بإخفاء الأعمال ودفع الخواطر، وتعميق مراقبة الله تعالى ومحاسبة

(١) البخاري (٢١٠٢)، مسلم (٢٧٤٣).
(٢) النسائي (٣١٧٨)، وأحمد (١٧٣/١) صحيح.
(٣) أخرجه الحاكم (٤/١)، (٣٢٨/٤)، وصححه ووافقه الذهبي.
(٤) البخاري (٢١٠١)، مسلم (٢٦٢٨).

النفس، والتوقف عند نوايا الأعمال، ودفع ما يخطر من موارد الشيطان ووساوسه في الحال، وترك المبالاة بالخلق، ومعرفة حقيقتهم ووضعهم في منزلتهم ومرتبتهم البشرية..

٥) اللجوء التام إلى الله تعالى والاستعانة به، والإكثار من الدعاء فقد قال النبي ﷺ: **(يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك؛ فإنه أخفى من دبيب النمل)**، فقال له من شاء الله تعالى أنْ يقول: وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله ﷺ؟ قال: **قولوا: اللهم إنا نعوذ بك من أنْ نشرك بك شيئاً نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه)**. [١]

٦) معرفة حقيقة الدنيا والزهد فيها، وتعلق القلب بالآخرة،: يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (لا يحصل الإخلاص إلا بعد الزهد، ولا زهد إلا بتقوى، والتقوى متابعة الأمر والنهي) [٢].

٧) تذكر عواقب الرياء الدنيوية والأخروية، وتصور حال المرائين ومصيرهم.

محاذير في جلب الإخلاص ودفع الرياء :

١) ترك العمل: قال الفضيل: (ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أنْ يعافيك الله تعالى منهما).

٢) القيام بأعمال تسقط الإنسان من أعين الناس: يقول الحسن: (من ذم نفسه في الملأ فقد مدحها، وذلك من علامات الرياء).

عقوبة ترك الإخلاص :

أما الرياء وترك الإخلاص: فيكمن خطره في كونه أمراً خفيّاً سريعاً إلى القلب قد يقع فيه الإنسان من حيث لا يشعر، وقد حذر منه النبي ﷺ، وخافه على أمته.

ومن مخاطره العظيمة: أنّه سبب لحبوط العمل، وضياع الجهد، ويؤدي بصاحبه إلى النار، فهو فضيحة في الدنيا والآخرة؛ والحرمان من الهداية والتوفيق، وحصول الضيق

(١) أخرجه أحمد في المسند: ٤ / ٤٠٣، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم:٣٦، والحديث له شواهد من حديث أبي بكر، ومن حديث عائشة في الحلية :٣٦٨/٨، ومن حديث ابن عباس في الحلية :٣٦/٣ أيضًا.
(٢) مجموع الفتاوى (٩٤/١).

والاضطراب النفسي، ونزع الهيبة من قلوب الناس، والإعراض عن الناس وعدم تأثرهم، وعدم إتقان العمل، والوقوع في غوائل الإعجاب بالنفس، والغرور، والتكبر وحب الثناء، والتشبع بما لم يعط.

ومن آثاره على الدعاة: محق بركة الأعمال، وضعف الثمرة أو انعدامها، وطول الطريق، وكثرة التكاليف؛ فإن الله تعالى لا يمكّن للمرائين، حتى يُمحِّص الصفوف، ويميز الخبيث من الطيب.

وإليكم أدلة السنة الصحيحة على ذلك :

١) فضح المرائي على الملأ يوم القيامة: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِه، وَمَنْ رَاءَى رَاءَى اللَّهُ بِه) [1].

٢) حبوط العمل: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ) [2].

٣) أول من تسعر النار بهم المراءون: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ، رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلاَّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ

(١) البخاري (٦٤٩٩)، مسلم (٢٩٨٦)، وجاء عن عبد الله بن عمرو أخرجه أبو داود (٢٥١٩)، الحاكم (٢/ ٨٥-٨٦)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) مسلم (٢٩٨٥)، وجاء عن أبي بن كعب عند الحاكم (٤/٣٤٦)، وصححه ووافقه الذهبي.

أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ) [1].

٤) المنع من السجود مع المؤمنين يوم القيامة: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: (يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، فَيَبْقَى كُلُّ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا) [2].

أسباب ضعف الإخلاص :

من الأسباب التي توقع في الرياء، وتضعف الإخلاص: عدم المعرفة الحقيقية بالله تعالى وعظمته، واستحقاقه للعبادة، والطاعة مع تجريد القصد، وإخلاص النية.

ومن الأسباب: الرغبة في الصدارة والمنصب، ومنها: الطمع فيما في أيدي الناس، والحرص على الدنيا، وحب المحمدة والثناء، والخوف من ذم الناس، والغفلة عن عواقب الرياء.

نماذج من قصص المخلصين :

وكم نحن بحاجة إلى تأمل وتدبر ما قصه الله تعالى علينا من قصص الدعاة المخلصين: كمؤمن آل ياسين، الذي جاء من أقصى المدينة، وانتهى به المقام في الجنة، ومؤمن آل فرعون الذي مَحَضَ قومه النصح، وأبدأ وأعاد ناصحاً مذكراً، وناصح موسى عليه السلام الذي انتدب نفسه محذراً لموسى من كيد فرعون وقومه، بل والعجب من الجن الذين سمعوا القرآن فولوا إلى قومهم منذرين!.

والأعجب من ذلك: الهدهد الذي بادر ساعياً في تصحيح العقائد، وإزالة الشرك حين رأى من يسجدون للشمس من دون الله تعالى.

أفيكون الجن والطير أكثر حرصاً منا على دعوة الناس لدين الله تعالى، ونحن الذين كلفنا الله تعالى بالدعوة، وحمّلنا المسؤولية والأمانة التي أبت السموات والأرض والجبال أن يحملنها؟.

(١) مسلم (١٩٠٥).

(٢) البخاري (٤٩١٩).

إنّ الدعوة إلى الخير والإصلاح واجب الأمة، وأشرف مهمة ينتدب لها أهل العلم والتعليم، ويتحملونها كما يتحملون سائر التكاليف الشرعية؛ فإن الله تعالى قد جعل التواصي بالحق والتواصي بالصبر؛ أعظم أسباب النجاة -بعد الإيمان والعمل الصالح- وأمر بالتعاون على البر والتقوى، وجعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبباً للرحمة، وقدمه في الذكر على الصلاة والزكاة، فقال ﷻ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

وجعل تبارك وتعالى خيرية هذه الأمة مرتبطة بتحقيق ذلك الواجب.

وقد كانت القضية واضحة غاية الوضوح عند سلف هذه الأمة، فقد كان المسلمون الأوائل إذا أسلم الواحد منهم، وبايع النبي ﷺ، استأذن النبي أو أرسله هو إلى أهله وقومه داعياً لهم إلى دين الله تعالى، فيسلم بإسلامه ناس؛ كما فعل أبو ذر ﷺ، وربما أسلم قومه كلهم؛ كما حصل للطفيل بن عمرو الدوسي ﷺ والأمثلة أكثر من أنْ تحصر، وما خبر إسلام خمسة من العشرة المبشّرين على يد الصديق ﷺ عنا ببعيد. (١)

❖ **ابن المبارك**: عن محمد بن عيسى قال: (كان عبد الله بن المبارك كثير الاختلاف إلى طرسوس، وكان ينزل الرقة في خان، فكان شابًا يختلف إليه ويقوم بحوائجه ويسمع منه الحديث، فقدم عبد الله الرقة مرة فلم ير ذلك الشاب وكان مستعجلاً، فخرج في النفير، فلما قفل من غزوته ورجع الرقة، سأل عن الشاب، فقالوا: إنه محبوس لدين ركبه، فقال عبد الله: وكم مَبلَغ دينه ؟ فقالوا: عشرة آلاف درهم فلم يزل يستقصي حتى دل على صاحب المال، فدعا به ليلاً، ووزن له عشرة آلاف درهم، وحلفه أن لا يخبر أحدًا ما دام عبد الله حيًا، وقال: إذا أصبحت فأخرج الرجل من الحبس، وأدلج عبد الله، فاخرج الفتى من الحبس وقيل له: عبد الله بن المبارك كان هاهنا، وكان يذكرك وقد خرج، فخرج الفتى في أثره

(١) الإصابة، جـ ٤، ص ٦٤، جـ٢، ص ٣٣٤.

فلحقه على مرحلتين أو ثلاث من الرقة، فقال: يا فتى أين كنت؟ لم أرك في الخان. قال: نعم يا أبا عبد الرحمن كنت محبوسًا بدين، قال: فكيف كان سبب خلاصك؟ قال: جاء رجل فقضى ديني، ولم أعلم به حتى أخرجت من الحبس، فقال له عبد الله: يا فتى احمد الله تعالى على ما وفق لك من قضاء دينك، فلم يخبر ذلك الرجل أحدًا إلا بعد موت عبد الله)(١).

أعلى درجات الإخلاص اليقين :

الإحسان هو أنْ يعبد المؤمن ربه في الدنيا على وجه الحضور، والمراقبة كأنّه يراه بقلبه، وينظر إليه في حال عبادته، فكان جزاء ذلك النظر إلى وجه الله تعالى عيانًا في الآخرة.

فإذا عبد المسلم الله تعالى على هذه الصفة وهو استحضار قربه، وأنّه بين يديه كأنه يراه، فإن ذلك يوجب الخشية والخوف والهيبة والتعظيم.

فإنّ ذلك يوجب أيضًا النصح في العبادة، وبذل الجهد في تحسينها وإتمامها وإكمالها. وهو من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد، وبه تفاضل العارفون، وفيه تنافس المتنافسون، وإليه شمر العاملون، وعمل القوم إنّما كان عليه، وإشاراتهم كلها إليه.

وإذا تزوج الصبر باليقين، ولد بينهما حصول الإمامة في الدين، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة ٢٤].

وخص سبحانه أهل اليقين بالانتفاع بالآيات والبراهين ،فقال: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠].

وخص أهل اليقين بالهدى والفلاح من بين العالمين، فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ٤-٥].

(١) تاريخ بغداد (١٠/١٥٨-١٥٩)، سير (٧/٦٠٧).

وأخبر عن أهل النار بأنهم لم يكونوا من أهل اليقين فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ [الجاثية: ٣٢].

فاليقين روح أعمال القلوب التي هي أرواح أعمال القلوب، التي هي من أعمال الجوارح، وهو حقيقة الصديقية وهو قطب هذا الشأن الذي عليه مداره.

والتوكل ثمرة اليقين ونتيجته، ولهذا حسن اقتران الهدى به، قال الله تعالى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩]، فالحق هو اليقين وقالت رسل الله: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا﴾ [إبراهيم: ١٢].

ومتى وصل اليقين إلى القلب امتلأ نورًا وإشراقًا، وانتفى عنه كل ريب وشك وسخط، وهم وغم، فامتلأ محبة لله، وخوفًا منه، ورضىً به، وشكرًا له، وتوكلاً عليه، وإنابة إليه. فهو مادة جميع المقامات والحامل لها.

قال الجنيد: (**اليقين** هو استقرار العلم الذي لا ينقلب ولا يحول، ولا يتغير في القلب). وقال أبو بكر الوراق: (**اليقين**: ملاك القلب، وبه كمال الإيمان، وباليقين عرف الله تعالى وبالعقل عقل عن الله تعالى). فإنه لولا اليقين ما سار ركب إلى الله تعالى ولا ثبت لأحد قدم في السلوك إلا به.

أركان علم اليقين :

الأول: قبول ما ظهر من الحق تعالى، والذي ظهر منه سبحانه: أوامره ونواهيه وشرعه، ودينه الذي ظهر لنا منه على ألسنة رسله، فنتلقاه بالقبول والانقياد، والإذعان والتسليم للربوبية، والدخول تحت رق العبودية.

الثاني: قبول ما غاب، وهو الإيمان بالغيب الذي أخبر به الحق سبحانه على لسان رسله من أمور المعاد وتفصيله، والجنة والنار، وما قبل ذلك: من الصراط والميزان والحساب، وما قبل ذلك: من تشقق السماء وانفطارها، وانتثار الكواكب، ونسف الجبال، وطي العالم، وما قبل ذلك: من أمور البرزخ ونعيمه

وعذابه.

فقبول هذا كله – إيمانًا وتصديقًا وإيقانًا– هو اليقين بحيث لا يخالج القلب فيه شبهة، ولا شك ولا تناس، ولا غفلة عنه، فإنه إنْ لم يهلك يقينه أفسده وأضعفه.

الثالث: الوقوف على ما قام بالحق سبحانه من أسمائه وصفاته وأفعاله، وهو علم التوحيد، الذي أساسه إثبات الأسماء والصفات.

فاليقين هو الوقوف على ما قام بالحق من أسمائه وصفاته، ونعوت كماله، وتوحيده، وهذه الثلاثة أشرف علوم الخلائق: علم الأمر والنهي، وعلم الأسماء والصفات والتوحيد، و علم المعاد واليوم الآخر، والله تعالى أعلم.

استجلاب اليقين :

ويمكن أن يستجلب اليقين بالصدق في التفكر في عظمة الله تعالى ومخلوقاته، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥].

مراتبه :

ولليقين أوّل وآخر، فأوله: الطمأنينة، وآخره: إفراد الله تعالى بالكفاية..لقوله ﷻ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الأنفال: ٦٤]. والمكتفي هو العبد الراضي بما قضى الله تعالى له.

صحة اليقين :

وصحة اليقين في ثلاثة أشياء: سكون القلب إلى الثقة بالله تعالى، والانقياد لأمر الله تعالى، والإشفاق والوجل من سابق العلم.

علـــو الهمـة

وحين نبحث عن أمر يعيننا على تجاوز الصعاب والمشاق في سبيل التخلق بهذه الآداب، فإنّ من أعظم هذه الأسباب علو الهمة.

والهمة في مدلولها ومعناها: تعني توجه القلب وقصده، وأصحاب الهمم العالية من راموا بكليتهم سبيل الحق، فعكفت قلوبهم على الله تعالى، وجمعوا همتهم عليه، وفرغوا القلب لمحبته، والإنابة إليه، والتوكل عليه، والاشتغال بمرضاته، دون كل ما فيه تفريق للقلب وتشتيت له.

والهمة :هي الباعث على الفعل، وتوصف بعلو أو سفول.

وقال ابن الجوزي -رحمه الله تعالى- علو الهمة: (خروج النفس إلى غاية كمالها في العلم والعمل).(1)

وقال الشيخ محمد الخضر حسين -رحمه الله تعالى- علو الهمة: استصغار ما دون النهاية من معالي الأمور.(2)

أهميتها :

١) علو الهمة باعث على الفضائل:

وعلو الهمة باعث على التقدم، وتجعل صاحبها يأنف من كل خسيس من الأمور يرى الأمور على حقيقتها، فكل ما كان لله يعلق قلبه به، فلا ينظر للأدنى، بل يرتبط قلبه بسبب إلى السماء، فهو لا يرضى بالدونية، وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَعَالِيَ الأُمُورِ وَأَشْرَافَهَا، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا**).(3)

وجاء من حديث جابر ﷺ: أنّ النبي ﷺ قال: (**إنّ الله تعالى جميل يحب الجمال**

(١) صيد الخاطر :١٨٩.

(٢) رسائل الإصلاح :٨٦/٢.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير برقم :٢٨٩٤، وابن عدي في الكامل :١١٤/١، والقضاعي برقم:١٠٧٧،١٠٧٦، وصححه الألباني في الصحيحة برقم :١٣٧٨، وصحيح الجامع: برقم ١٨٩٠ من حديث الحسين بن علي رضي الله عنهما.

ويحب معالي الأخلاق، ويكره سفسافها)(1).

وَجاء عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (لا تُصَغِّرَنَّ هِمَّتَكُمْ فَإِنِّي لَمْ أَرَ أَقْعَدَ عَنْ الْمَكْرُمَاتِ مِنْ صِغَرِ الْهِمَمِ).

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: (الْهِمَّةُ رَايَةُ الْجِدِّ).

وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ: (عُلُوُّ الْهِمَمِ بَذْرُ النِّعَمِ).

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: (إذَا طَلَبَ رَجُلان أَمْرًا ظَفِرَ بِهِ أَعْظَمُهُمَا مُرُوءَةً).

وَقَالَ بَعْضُ الأُدَبَاءِ: (مَنْ تَرَكَ الْتِمَاسَ الْمَعَالِي بِسُوءِ الرَّجَاءِ لَمْ يَنَلْ جَسِيمًا).(2)

٢) علو الهمة مقدمة الفضائل :

ولا بد لكل سائر إلى الله تعالى، وطالب للتحلي بالأخلاق الفاضلة من همة تسيره وترقيه، ومن علم يبصره ويهديه، فالهمة هي أساس للأمور كلها، فمن صلحت همته صلحت سائر أعماله.

والهمة طليعة الأعمال ومقدمتها، قال أحد الصالحين: همتك فاحفظها فإنّ الهمة مقدمة الأشياء، فمن صلحت له همته وصدق فيها صلح له ما وراء ذلك من الأعمال.(3)

٣) علو الهمة تسرع في اجتياز المراحل :

ولتعلم أنه ليس بكثرة العمل والعبادة فقط يكون العبد من أوائل من يطرقون باب الجنة، فرب درهم سبق مائة ألف درهم، ولكن العبرة بأمور أربعة: صحة العقيدة وتجرد القصد، وصحة النية، وعلو الهمة.

وفي ذلك يقول الإمام الغزالي -رحمه الله تعالى-: (فالكيس يقطع من المسافة بصحة العزيمة،وعلو الهمة، وتجريد القصد، وصحة النية، مع العمل القليل أضعاف أضعاف ما يقطعه الفارغ من ذلك، مع التعب الكثير، والسفر الشاق، فإنّ العزيمة والمحبة تذهب المشقة وتطيب السير؛ والتقدم والسبق إلى الله سبحانه وتعالى إنّما هو بالهمم، وصدق الرغبة، والعزيمة، فيتقدم صاحب الهمة مع سكون صاحب العمل الكثير بمراحل، فإن

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم :٦٩٠٦، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم:١٧٤٣، والصحيحة برقم : ١٦٢٦.

(٢) أدب الدنيا والدين للماوردي.

(٣) بصائر تربوية :ص١٣٧.

ساواه في همته تقدم عليه بعمله) [١]

٤) عالي الهمة لا يقف دون الله تعالى :

ولنعلم أنّ عالي الهمة لا يتوقف عند حدّ معين، فهو يرى أنّ لا حدّ له يقف عنده دون مرضاة الله تعالى وفي هذا يقول ابن القيم - رحمه الله تعالى- :

علو الهمة: أن لا تقف دون الله تعالى، ولا تتعوض عنه بشيء بسواه، ولا ترضى بغيره بدلا منه، ولا تبيع حظها من الله تعالى، وقربه والأنس به، والفرح والسرور والابتهاج به، بشيء من الحظوظ الخسيسة الفانية، فالهمة العالية كالطائر العالي على الطيور، لا يرضى بمساقطهم، ولاتصل إليه الآفات التي تصل إليهم، فإنّ الهمة كلما علت، بعدت عن وصول الآفات إليها، وكلما نزلت قصدتها الآفات من كل مكان، فإنّ الآفات قواطع وجواذب، وهي لا تعلو إلى المكان العالي فتجتذب منه، وإنّما تجتذب من المكان السافل، فعلو همة المرء: عنوان فلاحه، وسقوط همته: عنوان حرمانه. [٢]

٥) همة المرء أبلغ من عمله :

ليس الشأن فيمن يقوم الليل، ويكثر العمل، وإنّما الشأن فيمن ينام على فراشه ثم يصبح، وقد سبق الركب بعلوّ همته، وطهارة قلبه، وقوة يقينه، وشدة إخلاصه وقد قيل في ذلك:

مــــن لي بمــــثل ســــيرك المــــدلل   تمشــــي رويــــدًا وتجــــيء في الأول

وقد ضرب لنا النبي ﷺ أمثلة ممن ينالون الدرجات بصدق نيتهم :

فقد جاء عن سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (مَنْ سَأَلَ اللَّهَ ﷻ الشَّهَادَةَ **بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ**) [٣]

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَجَعَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَدَنَا مِنَ الْمَدِينَةِ **فَقَالَ: إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلاَّ كَانُوا مَعَكُمْ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟ قَالَ: وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ.** [٤]

---

(١) إحياء علوم الدين : ١٣١/١، الفوائد لابن القيم :ص١٤٠

(٢) مدارج السالكين :٣/١٧١-١٧٢.

(٣) أخرجه مسلم برقم:١٩٠٩، وأبو داود برقم:١٥٢٠، والنسائي :٣١٦٢، وابن ماجة برقم:٢٧٩٧

(٤) أخرجه البخاري برقم:٤٤٢٣، وابن ماجة برقم:٢٧٦٤

ومن حديث عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (مَا مِنْ امْرِئٍ **تَكُونُ لَهُ صَلَاةٌ بِلَيْلٍ، فَغَلَبَهُ عَلَيْهَا نَوْمٌ، إِلاَّ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَجْرَ صَلَاتِهِ، وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ**). [١]

وقد يتفوق المؤمن بهمته العالية كما بين النبي ﷺ كما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفٍ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَكَيْفَ؟ قَالَ: رَجُلٌ لَهُ دِرْهَمَانِ، فَأَخَذَ أَحَدَهُمَا فَتَصَدَّقَ بِهِ، وَرَجُلٌ لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ فَأَخَذَ مِنْ عُرْضِ مَالِهِ مِائَةَ أَلْفٍ فَتَصَدَّقَ بِهَا**) [٢].

وما أحسن قول الشاعر مخاطبًا الحجيج، وقد انطلقوا للحج :

يــا راحلــين إلى البــيت العــتيق لقد   ســرتم جــسومًا وســرنا نحن أرواحًا

إنــا أقمــنا عــلى عذرٍ وعــن قــدرٍ   ومــــن أقام عــلى عذرٍ فــقد راحا

٦) علو الهمة والعلم حياة القلب :

إنّ ضعف الإرادة والطلب من ضعف حياة القلب، وكلما كان القلب أتم حياة كانت همته أعلى، وإرادته ومحبته أقوى، فإن الإرادة والمحبة تتبع الشعور بالمراد المحبوب، وسلامة القلب من الآفة التي تحول بينه وبين طلبه وإرادته، فضعف الطلب وفتور الهمة إما من نقصان الشعور والإحساس، وإما من وجود الآفة المضعفة للحياة فقوة الشعور وقوة الإرادة دليل على قوة الحياة، وضعفهما دليل على ضعفها، وكما أن علو الهمة، وصدق الإرادة، والطلب من كمال الحياة، فهو سبب إلى حصول أكمل الحياة وأطيبها، **فإن الحياة الطيبة إنما تنال بالهمة العالية، والمحبة الصادقة، والإرادة الخالصة**، فعلى قدر ذلك تكون الحياة الطيبة، وأخس الناس حياة أخسهم همة وأضعفهم محبة وطلبا، وحياة البهائم خير من حياته، كما قيل:

نهــارُكَ يــا مغــرورُ ســهوٌ وغفلــةٌ   ولــيلكَ نــومٌ والــردى لــكَ لازمُ

وتكــدحُ فيــما ســوفَ تُنكرُ غبَّهُ   كــذلك في الدنــيا تعــيشُ الــبهائمُ

تُســرُّ بمــا يَفــنى، وتفــرحُ بــالْمُنَى   كَمــا غُــرَّ باللذاتِ في النــوم حــالِمُ

والمقصود أنّ حياةَ القلب بالعلم، والإرادة، والهمة، والناس إذا شاهدوا ذلك من

---

(١) أخرجه النسائي برقم:١٧٨٤، وأبو داود برقم:١٣١٤والحديث صحيح.

(٢) أخرجه النسائي برقم:٢٥٢٧، ٢٥٢٨ وأحمد: والحديث صحيح.

الرجل، قالوا: هو حي القلب.[1]

صفات صاحب الهمة العالية :

١) صاحب الهمة صابر على المشاق والمعاناة (بقدر ما تتعنى تنال ما تتمنى):

إنّ عالي الهمة يجود بالنفس والنفيس في سبيل تحصيل غايته، وتحقيق بغيته؛ لأنه يعلم أنّ المكارم منوطة بالمكاره، ولذلك فإنّ المصالح والخيرات، واللذات والكمالات كلها لا تنال إلا بحظ من المشقة، ولا يعبر إليها إلا على جسر من التعب :

بصرت بالراحة الكبرى فلم أرها ... تنال إلا على جسر من التعب

وقال آخر:

لولا المشقة ساد الناس كلهم ... الجود يفقر، والإقدام قتال

وقال آخر :

فقل لمرجي معالي الأمور ... بغير اجتهاد: رجوت المحالا

وفي ذلك يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله-: (وقد أجمع عقلاء كل أمة على أنّ النعيم لا يدرك بالنعيم، وإنّ من آثر الراحة، فاتته الراحة، وإنه بحسب ركوب الأهوال، واحتمال المشاق تكون الفرحة واللذة، فلا فرحة لمن لا هم له، ولا لذة لمن لا صبر له، ولا نعيم لمن لا شقاء له، ولا راحة لمن لا تعب له، بل إذا تعب العبد قليلاً، استراح طويلاً، وإذا تحمل مشقة الصبر ساعة قاده لحياة الأبد، وكل ما فيه أهل النعيم المقيم فهو صبر ساعة، والله تعالى المستعان ولا قوة إلا بالله).

وكلما كانت النفوس أشرف، والهمة أعلى، كان تعب البدن أوفر، وحظه من الراحة أقل، كما قال المتنبي:

وإذا كانت النفوس كبارًا ... تعبت في مرادها الأجسام

وقال ابن الرومي:

قلب يظل على أفكاره ويد ... تمضي الأمور ونفس لهوها التعب

وقال مسلم في صحيحه: قال يحيى بن أبي كثير: (لا ينال العلم براحة البدن).

---

(١) مدارج السالكين :٢٦١/٣

ولا ريب عند كل عاقل أنّ كمال الراحة بحسب التعب، وكمال النعيم بحسب تحمل المشاق في طريقه، وإنما تخلص الراحة واللذة والنعيم في دار السلام، فأما في هذه الدار فكلا ولما.[1]

وحق على من كانت غايته عظيمة، أنْ يصبر في سبيل تحقيقها على المشاق ويحرص على تجاوز المصاعب في سبيل الوصول إليها :

لا تحسب المجد تمرًا أنت آكله ... لا تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

ولتعلم أن تعب عالي الهمة راحة في المعنى، وراحة قصير الهمة تعب وشين ومصداقه قول عبد الله بن جعفر :

أرى نفسي تتوق إلى أمور ... ويقصر دون مبلغهن حالي
فنفسي لا تطاوعني ببخل ... ومالي لا يبلغني فعالي

وقيل للربيع بن خثيم: لو أرحت نفسك ؟ قال: راحتها أريد.

قال أحمد بن داود أبو سعيد الواسطي:

دخلت على أحمد الحبس قبل الضرب، فقلت له في بعض كلامي :

يا أبا عبد الله: عليك عيال، ولك صبيان، وأنت معذور -كأني أسهل عليه الإجابة- فقال لي أحمد بن حنبل: إنْ كان هذا عقلك يا أبا سعيد فقد استرحت.

وعالي الهمة ينطلق بثقة نحو غايته فيقتحم الأهوال، ويستهين بالصعاب، ولذلك قال معاوية ﵁: من طلب عظيما، خاطر بعظيمته.

ذريني وأهوال الزمان أعانها ... فأهوالها العظمى تليها رغائبه.

وقال آخر :

ذريني أنل ما لا ينال من العلا ... فصعب العلا في الصعب، والسهل في السهل
تريدين إدراك المعالي رخيصة ... ولا بد دون الشهد من إبر النحل

وعالي الهمة دائم الترحال في طلب مبتغاه حيث لاح له :

إذا لم أجد في بلدة ما أريده ... فعندي لأخرى عزمة وركاب

وعالي الهمة لا يزال يطير إلى المعالي بجناح الهمة، لا يلوي على شيء، ولا يستفزه لوم اللائمين، ولا تثبيط القاعدين :

---

(١) مفتاح دار السعادة :١٥/٢-١٦

سبقت العالمين إلى المعالي ... بصائب فكرة، وعلو همه
ولاح بحكمتي نور الهدى ... في ليل للضلالة مد لهمه
يريد الجاهلون ليطفئوه ... ويأبى الله إلا أن يتمه

وعالي الهمة قد لا يتسنى له إدراك بغيته، وتحقيق غايته؛ لأمور خارجة عن إرادته، فلا يفل ذلك من عزيمته، ولا يحط من همته، بل يعزي نفسه أنه أدى ما عليه، وأعذر إلى نفسه:

سأضرب في طول البلاد وعرضها ... أنال مرادي أو أموت غريبا
فإن تلفت نفسي فلله درها ... وإن سلمت كان الرجوع قريبا

وقال آخر:

عجبت لهم قالوا: تماديت في المنى ... وفي المثل العليا، وفي المرتقى الصعب
فاقصر، ولا تجهد يراعك إنما ... ستبذر حبا في ثرى ليس بالخصب
فقلت لهم :مهلا، فما اليأس شيمتي ... سأبذر حبي، والثمار من الرب
إذا أنا أبلغت الرسالة جاهدًا ... ولم أجد السميع المجيب فما ذنبي ؟

٢) صاحب الهمة لا ينقض عزمه :

قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وامتدح سبحانه الصالحين بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾ [الرعد: ٢٠].

وقال: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾.[الأحزاب:٢٣]

وقد كان النبي ﷺ صاحب مبادرة إلى هذا الخلق العظيم، فهاهو يرفض نقض ما عزم على تنفيذه يوم أحد فيما جاء عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (رَأَيْتُ كَأَنِّي فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ، وَرَأَيْتُ بَقَرًا مُنَحَّرَةً، فَأَوَّلْتُ أَنَّ الدِّرْعَ الْحَصِينَةَ الْمَدِينَةُ، وَأَنَّ الْبَقَرَ هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ).

قَالَ: فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: لَوْ أَنَّا أَقَمْنَا بِالْمَدِينَةِ فَإِنْ دَخَلُوا عَلَيْنَا فِيهَا قَاتَلْنَاهُمْ ؟. فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاللَّهِ مَا دُخِلَ عَلَيْنَا فِيهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَكَيْفَ يُدْخَلُ عَلَيْنَا فِيهَا فِي الْإِسْلَامِ؟.

- فَقَالَ: شَأْنَكُمْ إِذًا ؟ قَالَ: فَلَبِسَ لَأْمَتَهُ، قَالَ: فَقَالَتْ الْأَنْصَارُ: رَدَدْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَأْيَهُ فَجَاءُوا فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ شَأْنَكَ إِذًا.

فَقَالَ: (إِنَّهُ لَيْسَ لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لَأْمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يُقَاتِلَ)[1].

وكان مبدأ عدم نقض العزم هو ما اعتمده الصحابة ومن جاء بعدهم من أصحاب الهمة العالية، فهذا أبو بكر رضي الله عنه يرفض أن يحل لواء أسامة بن زيد الذي عقده رسول الله له عندما أراد أن يرسله إلى بلاد الشام لغزو الروم، وذلك حين طلب منه ذلك.

وهذا أبو جعفر الخلدي البغدادي -رحمه الله- يقول: (ما عقدت لله على نفسي عقدًا فنكثته).

وجاء عن الحافظ أبو إسحاق الحبال: (كنت يومًا عند أبي نصر السجزي، فدق الباب، فقمت ففتحته، فدخلت امرأة وأخرجت كيسا فيه ألف دينار، فوضعته بين يدي الشيخ، وقالت: أنفقها كما ترى. قال: وما المقصود ؟. قالت: تتزوجني، ولا حاجة لي في الزواج، ولكن لأخدمك)، فأمرها بأخذ الكيس، وأن تنصرف.

فلما انصرفت، قال: خرجت من سجستان بنية طلب العلم، ومتى تزوجت سقط عني هذا الاسم، وما أوثر على ثواب طلب العلم شيئًا.

٣) صاحب الهمة لا يضره التفرد في الطريق :

إنّ صاحب الهمة العالية الذي يتحرى الفضائل، يدرك أنّه كل ما عظم مطلوبه قل مساعده، لأنّ طرق العلى قليلة الإيناس.

أهم بشيء والليالي كأنها ... تطاردني عن كونها وأطارد
فريد عن الخلان في كل بلدة ... إذا عظم المطلوب قل المساعد

ولهذا قال سفيان بن عيينة - رحمه الله-: (اسلكوا سبل الحق، ولا تستوحشوا من قلة أهلها).

(١) أخرجه أحمد في المسند:٣/٣٥١، والدارمي :٢/١٢٩-١٣٠ ورجاله رجال الصحيح.

وقال الفضيل بن عياض – رحمه الله–: (الزم طريق الهدى، ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة، ولا تغتر بكثرة الهالكين).

فعالي الهمة يرقى في مدارج الكمال بحيث صار لا يأبه بقلة السالكين، ووحشة الطريق لأنه يحصل مع كل مرتبة يرتقي إليها من الأنس بالله تعالى ما يزيل هذه الوحشة، وإلا انقطع به السبيل.

ويحسبك يا عالي الهمة أن تعلم أن الحق لا يحتاج إلى كثرة من الناس لتمثله، فقد تمثل الحق في أكثر من مرة بمؤمن واحد، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٠] أي كان مؤمنًا وحده وكان الناس كفارًا جميعًا، وفي صحيح البخاري أنه قال لسارة: **ليس على الأرض اليوم مؤمن غيري وغيرك**). [١]

ثم تمثل الحق في شخص النبي محمد ﷺ وحده فقد جاء عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: **(لَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ، وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلَاثُونَ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، وَمَا لِي وَلِبِلَالٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا شَيْءٌ يُوَارِيهِ إِبْطُ بِلَالٍ)**[٢].

فشعور المؤمن بالغربة قد انسد؛ لأنه يمثل الإيمان والحقيقة، فهو يشعر أنّ الناس جميعًا في ضلالهم غرباء تائهون، ولذلك، فإنّه لما توهم واهم وصف عبد الوهاب عزام بالغربة، كان جوابه سريعًا، فقال :

قال لي صاحب: أراك غريبًا ... بين هذا الأنام دون خليل
قلت: كلا، بل الأنام غريب ... أنا في عالمي وهذا سبيلي[٣][٤]

وعالي الهمة لا يكترث بمخالفة الآخرين الناكبين عن طريق الحق كما قال ابن القيم –رحمه الله–: (ولما كان طالب الصراط المستقيم، طالب أمر أكثر الناس ناكبون عنه، مريدًا لسلوك طريق مرافقه فيها في غاية القلة والعزة، والنفوس مجبولة على وحشة التفرد، وعلى الأنس بالرفيق، نبه الله سبحانه وتعالى على الرفيق في هذه الطريق، وأنهم هم الذين

(١) مجموع الفتاوى :١١/٤٣٦
(٢) أخرجه الترمذي برقم:٢٤٧٣، وابن ماجة برقم:١٥١ والحديث صحيح.
(٣) المنطلق :٢٣٦
(٤) ولقد كان المؤلف الشيخ إبراهيم العلي –رحمه الله– في غربة في هذه الحياة في أواخر حياته كأنه ينظر من جنات ربه إلى هذه الدنيا الفانية.

أنعم الله تعالى عليهم من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقا، فأضاف الصراط إلى الرفيق السالكين له، وهم الذين أنعم الله تعالى عليهم، ليزول عن الطالب للهداية وسلوك الصراط، وحشة تفرده عن أهل زمانه، وبني جنسه، وليعلم أنّ رفيقه في هذا الصراط هم الذين أنعم الله تعالى عليهم).

لا يكترث بمخالفة الناكبين عنه له، فإنّهم هم الأقلون قدرا، وإنْ كانوا الأكثرين عددًا، كما قال بعض السلف: (عليك بطريق الحق، ولا تستوحش لقلة السالكين وإياك وطريق الباطل، ولا تغتر بكثرة الهالكين، وكلما استوحشت في تفردك، فانظر إلى الرفيق السابق، واحرص على اللحاق بهم، وغض الطرف عمن سواهم، فإنهم لن يغنوا عنك من الله تعالى شيئًا، وإذا صاحوا بك في طريق سيرك، فلا تلتفت إليهم، فإنك متى التفت إليهم أخذوك، وعاقوك).[١]

والملتفت لنعيق الباطل كالظبي، فالظبي أشد سعيًا من الكلب،ولكنه إذا أحس به،التفت إليه فيضعف سعيه فيدركه الكلب فيأخذه. [٢]

وفي ذلك يقول الأستاذ سيد قطب –رحمه الله–:

أخي فامض لا تلتفت للوراء ... طريقك قد خضبته الدماء
ولا تلتفت هاهنا أو هناك ... ولا تتطلع لغير السماء

٤) صاحب الهمة العالية لا يعرف الكلل ولا الملل :

أصحاب الهمة العالية يتسابقون إلى المكارم، لا يكلون ولا يملون، ولا يقنطون؛ لأنّهم يعلمون أنّه لا يقنط من رحمة ربه إلا الضالون.

وجد القنوطُ إلى الرجال سبيله ... وإليك ما وجد القنوطُ سبيلا
ولَرُبّ فرد في سُموّ فعاله ... وعُلُوّه خُلُقاً يعادل جيلا

٥) صاحب الهمة لا يرضى بالدون ولا ترضيه إلا معالي الأمور :

إنّ همة المؤمن العالية لا تسمح له بإعطاء الدنايا، ولا تقنع بالسفا سف، ولا ترضى إلا بمعالي الأمور :

(١) مدارج السالكين:١/٢١-٢٢
(٢) مدارج السالكين:١/٢٢

قلتُ للصَّقرِ وهو في الجوِّ عالٍ   اهبطِ الأرضَ فالهواءُ جديبُ
قال لي الصَّقرُ: في جناحي وعزمي   وعنانَ السماء مرعى خصيبُ

هذا المرعى الذي يجهله أصحاب النفوس الخسيسة، الذين أثقلتهم مطامع الأرض، وأهواء النفس، ولا يدركون أنَّ طعم الموت في كل الأحوال هو نفس الطعم :

إذا ما كنت في أمرٍ مرومٍ   فلا تَقْنَعْ بما دُون النجومِ
فطعمُ الموتِ في أمرٍ حقيرٍ   كطعمِ الموتِ في أمرٍ عظيمِ

وقال صفي الدين الحلي :

لا يظهر العجز منا دون نيل مُنى   ولو رأيْنا المنايا في أمانينا

وقال البارودي :

فانهض إلى صهوات المجد معتليًا   فالباز لم يأو إلا عالي القللِ
ودع من الأمور أدناه لأبعده   في لجة البحر ما يغني عن الوشل
قد يظفر الفاتك الألوي بحاجته   ويقعد العجز بالهيابة الوكل

فعالي الهمة يعلم أنه إذا لم يزد شيئًا على الدنيا فهو زائد عليها، ومن ثم فهو لا يرضى بأنْ يحتل هامش الحياة، بل لابد أنْ يكون في صلبها ومتنها عضوًا مؤثرًا :

وما للمرء خيرٌ في حياةٍ   إذا ما عُدَّ من سقط المتاع

وقال علي بن محمد الكاتب البستي :

إذا ما مضى يوم ولم أصطنع يدًا   ولم أقتبس علمًا فما هو من عمري

فكبير الهمة نوع من البشر تتحدى همته بحول الله تعالى ما يراه غيره مستحيلاً، وينجز بتوفيق الله تعالى إياه ما ينوء بالعصبة أولي القوة، ويقتحم بتوكله على الله تعالى الصعاب والأهوال، لا يلوي على شيء:

لـه هِمَمٌ لا مُنْتهى لِكِبارِها   وهَمَّتُه الصُّغْرى أجلُّ من الدَّهرِ

ولهذا قيل: ليس في علو الهمة إفراط في الحقيقة؛ لأن الهمم العالية طموحة وثابة، دائمة الترقي والصعود، لا تعرف الدعة والسكون.

فكن رجلا رجله في الثرى   وهامة همته في الثريا

بل إن همته تتجاوز الثريا، ولا تقنع بدون أعلى درجات الجنة.

قال عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- لدكين لما جاءه: (يا دكين إنَّ لي نفسًا تواقة، لم تزل تتوق إلى الإمارة، فلما نلتها تاقت إلى الجنة).

ومن ذلك قول يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ..﴾[يوسف: ١٠١].

قال الإمام ابن الجوزي -رحمه الله-: (من أعمل فكره الصافي، دله طلب أشرف المقامات، ونهاه عن الرضى بالنقص في كل حال، وقال أبو الطيب المتنبي :

ولم أرَ في عيوب الناس عيبًا   كنقص القادرين على التمام

فينبغي للعاقل أنْ ينتهي إلى غاية ما يمكنه.

ثم ينبغي له أنْ يطلب الغاية في معرفة الله تعالى ومعاملته، وفي الجملة لا يترك فضيلة يمكن تحصيلها إلا حصلها، فإنَّ القنوع حالة الأراذل :

فكن رجلا رجله في الثرى   وهامة همته في الثريا

ولو أمكنك عبور كل أحد من العلماء والزهاد فافعل، فإنهم كانوا رجالا، وأنت رجل وما قعد من قعد إلا لدناءة الهمة وخساستها). [1]

واعلم أنَّك في ميدان سباق، والأوقات تنتهب، ولا تخلد إلى كسل، فما فات من فات إلا بالكسل، ولا نال من نال إلا بالجد والعزم.

وإنَّ الهمة لتغلي في القلوب غليان ماء في القدور، وقد قال بعض من سلف :

ليس لي مال سوى كري   فبه أحيا من العدم
قنعت نفسي بما رزقت   وتمطت في العلا همتي[2]

٦) عالي الهمة يعرف قدر نفسه :

عالي الهمة يعرف قدر نفسه في غير كبر، ولا عجب، ولا غرور، وإذا عرف المرء قدر نفسه، صانها عن الرذائل، وحفظها من أنْ تهان، ونزهها عن دنايا الأمور، وسفاسفها في السر والعلن، وجنبها مواطن الذل بأنْ يحملها ما لا تطيق، أو يضعها فيما لا يليق بقدرها، فتبقى نفسه في حصن حصين، وعز منيع لا تعطي الدنية، ولا ترضى بالنقص، ولا تقنع بالدون.

ومما يضرب به المثل في علو الهمة وسخاء النفس ما جاء عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب - رحمه الله- أنَّ امرأة سألته، فأعطاها مالاً عظيمًا، فقيل له :

(١) معنى رجال: أي صبرو على مناهم ومنالهم فنالوه لأن هذا الحظ للرجال فقط وكذلك النساء (أي لا ذكورية ولا انوثية) والله أعلم.
(٢) صيد الخاطر :١٨٩-١٩٢

أنها لا تعرفك، وكان يرضيها اليسير، فقال: إنْ كان يرضيها اليسير، أنا لا أرضى إلا بالكثير، وإنْ كانت لا تعرفني، فأنا أعرف نفسي.

وقيل لبعض العلماء: لي سؤال صغير، فقال: اطلب له رجلاً صغيرًا.

وعن سعيد بن عبد العزيز أنّ الحسن بن علي بن أبي طالب – رضي الله عنهما- سمع رجلاً إلى جنبه يسأل الله ﷻأنْ يرزقه عشرة آلاف درهم، فانصرف، فبعث بها إليه.

ومن شرف النفس ومعرفة قدرها، ما قاله الشافعي – رحمه الله-:

عَلَيَّ ثياب لو يباع جميعها … بفلس لكان الفلس منهن أكثرا
وفيهن نفس لو تقاس بها … نفوس الورى كانت أعز وأكبرا
وما ضر نصل السيف إخلاق غمده … إذا كان عضبا حيث وجهته فرى

وقال – رحمه الله-:

إذا المشكلات تصدين لي … كشفت حقائقها بالنظر
لسان كشقشقة الأرحبي … أو كالحسام اليماني الذكر
ولست بإمعة في الرجال … أسائل هذا وذا ما الخبر
ولكنني مدره الأصغرين … جلاب خير، وفراج شر

ولما قدم المدينة الخليفة المهدي، أقبل الناس عليه مسلمين، فلما أخذوا مجالسهم جاء مالك، فقالوا: اليوم يجلس مالك آخر الناس.

فلما دنا، ونظر ازدحام الناس، وقف، وقال: يا أمير المؤمنين ! أين يجلس شيخك مالك ؟، فناداه المهدي: عندي يا أبا عبد الله !

فتخطى الناس حتى وصل إليه، فرفع المهدي ركبته اليمنى، وأجلسه بجانبه.

وفي عزة العالم وشرف نفسه، قال عَلِيُّ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْقَاضِي – رحمه الله تعالى-:

يَقُولُونَ لِي: فِيكَ انْقِبَاضٌ، وَإِنَّمَا … رَأَوْا رَجُلاً عَنْ مَوْقِفِ الذّلِّ أَحْجَمَا
أَرَى النَّاسَ مَنْ دَانَاهُمْ هَانَ عِنْدَهُمْ … وَمَنْ أَكْرَمَتْهُ عِزَّةُ النَّفْسِ أُكْرِمَا
وَلَمْ أَقْضِ حَقَّ الْعِلْمِ إنْ كَانَ كُلَّمَا … بَدَا طَمَعٌ صَيَّرْتُهُ لِي سُلَّمَا
وَمَازِلْتُ مُنحازًا بعرضي جَانِبا … مِنَ الذُل أعتدُّ الصيانة مَغنَماً
وَمَا كُلُّ بَرْقٍ لاحَ لِي يَسْتَفِزُّنِي … وَلا كُلُّ مَنْ لَاقَيْت أَرْضَاهُ مُنْعِمَا
إذَا قِيلَ هَذَا مَنْهَلٌ قُلْتُ: قَدْ أَرَى … وَلَكِنَّ نَفْسَ الْحُرِّ تَحْتَمِلُ الظَّمَا
وَلَمْ أَبْتَذِلْ فِي خِدْمَةِ الْعِلْمِ مُهْجَتِي … لِأَخْدُمَ مَنْ لاقَيْت لَكِنْ لِأُخْدَمَا

أَأَشْقَى بِهِ غَرْسًا وَأَجْنِيه ذِلَّةً … إذًا فَاتِّبَاعُ الْجَهْلِ قَدْ كَانَ أَحْزَمَا
وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوهُ صَانَهُمْ … وَلَوْ عَظَّمُوهُ فِي النُّفُوسِ لَعُظِّمَا
وَلَكِنْ أَهَانُوهُ فَهَانَ وَدَنَّسُوا … مُحَيَّاهُ بِالأَطْمَاعِ حَتَّى تَجَهَّمَا

ومن شرف النفس ومعرفة قدرها في صغار السن أنّ معاوية بن أبي سفيان قال لعمرو بن سعيد، وهو صبي: إلى من أوصى بك أبوك ؟

قال: إنّ أبي أوصى إلي، ولم يوصِ بي.

قال: وبم أوصى إليك ؟

قال: ألا يفقد إخوانه منه إلا وجهه.

ميادين علو الهمة :

١) طلب العلم :

العلم أشرف ما رغب فيه الراغب، وأفضل ما طلب وجد في طلبه الطالب، وأنفع ما كسبه الكاسب، فأهل العلم يلاقون المصاعب والشدائد في تحصيلهم للعلم، وقد نصح الإمام ابن هشام النحوي طلبة العلم بالصبر على مشاق العلم والتحصيل، إذ هو شرط في نيل العزيز الغالي، فيقول :

ومن يصطبر للعلم يظفر بنيله … ومن يخطب الحسناء يصبر على البذل
ومن لم يذل النفس في طلب العلى … يسيرًا يعش دهرًا طويلاً أخا ذل

ولقد كان حال السلف في طلب العلم ونشره، والتصنيف فيه حالاً عجيبًا، استثمروا فيه الأوقات، وأفنوا فيه زهرة الشباب، فحصلوا ما يدهش العقول، ويبهر الألباب، ويستنهض الهمم، مما جعلهم أهلا للإقتداء بهم، والنظر في سيرهم، والسير على سننهم :

وحدثتني عنهم يا سعد فزدتني … بهم غرامًا، فزدني من حديثك يا سعد

وآخر يقول :

كرر علي حديثهم يا حادي … فحديثهم يجلي الفؤاد الصادي

وهذا نموذج من نوادر ما يقرأ في علو الهمة في طلب العلم ما جاء عن الإمام العظيم الحافظ أبي عبد الرحمن بقي بن مخلد الأندلسي -رحمه الله تعالى- المتوفى سنة ٢٧٦هـ، فقد جاء عن ابنه أنه قال:

رحل أبي من مكة إلى بغداد، وكان رحلاً بغيته ملاقاة أحمد بن حنبل -رحمه الله تعالى-.

قال: فلما قربت بلغتني المحنة، وأنه ممنوع، فاغتممت غمًا شديدًا، فاحتللت بغداد، واكتريت بيتا في فندق، ثم أتيت الجامع، وأنا أريد أن احلس إلى الناس، فدفعت إلى حلقة نبيلة، فإذا برحل يتكلم في الرحال، فقيل لي: هذا يحيى بن معين -رحمه الله تعالى-، ففرحت لي فرحة، فقمت إليه، فقلت: يا أبا زكريا -رحمك الله- رحل غريب، ناء عن وطنه، يحب السؤال، فلا تستخفني.

فقال: قل. فسألت عن بعض من لقيته، فبعضا زكى، وبعضا جرح، فسألته عن هشام بن عمار، فقال لي: أبو الوليد صاحب صلاة دمشقي ثقة، وفوق الثقة، لو كان تحت ردائه كبر أو متقلدًا كبرًا ما ضرّه شيءٌ لخيره وفضله.

فصاح أصحاب الحلقة: يكفيك - رحمك الله - غيرك له سؤال.

فقلت وأنا واقف على قدم: اكشف عن رحل واحد أحمد بن حنبل.

فنظر إلي كالمتعجب، فقال لي: ومثلنا نحن نكشف عن أحمد، ذاك إمام المسلمين وخيرهم وفاضلهم.

فخرجت أستدل على منزل أحمد بن حنبل، فدللت عليه، فقرعت بابه فخرج إلي فقلت: يا أبا عبد الله، رحل غريب، نائي الدار، هذا أول دخولي هذا البلد، وأنا طالب حديث، ومقيد سنة، ولم تكن رحلتي إلا إليك.

فقال: ادخل الأصطوان يعني به: الممر إلى داخل الدار ولا يقع عليك عين. فدخلت فقال لي: وأين موضعك ؟! قلت: المغرب الأقصى، فقال لي :إفريقية ؟ قلت: أبعد من إفريقية، أجوز من بلدي البحر إلى إفريقية، بلدي الأندلس.

قال: إنْ موضعك لبعيد، وما كان شيء أحب إلي من أنْ أحسن عون مثلك على مطلبه، غير أني في حيني هذا ممتحن بما لعله قد بلغك.

فقلت: بلى، قد بلغني وأنا قريب من بلدك مقبل نحوك.

فقلت: يا أبا عبد الله، هذا أول دخولي، وأنا مجهول العين عندكم، فانْ أذنت لي أنْ آتي كل يوم في زي السؤال، فأقول عند الباب ما يقولونه، فتخرج إلى هذا الموضع، فلو لم تحدثني كل يوم إلا بحديث واحد لكان لي فيه كفاية.

فقال لي: نعم، على شرط أنْ ألاّ تظهر في الحلق، ولا عند المحدثين.

فقلت: لك شرطك.

فكنت آخذ عصا بيدي، وألف رأسي بخرقة مدنسة، وأجعل كاغدي - أي ورقي- ودواتي في كمي، ثم آتي بابه، فأصيح: الأجر -رحمك الله- والسؤال هناك كذلك فيخرج إلي ويغلق وباب الدار، ويحدثني بالحديثين والثلاثة والأكثر، فالتزمت ذلك حتى مات الممتحن له، وولي بعده من كان على مذهب السنة، فظهر أحمد، وعلت إمامته، وكانت تضرب إليه آباط الإبل، فكان يعرف لي حق صبري، فكنت إذا أتيت حلقته فسح لي، ويقص على أصحاب الحديث قصتي معه، فكان يناولني الحديث مناولة، ويقرؤه علي، وأقرؤه عليه. (١)

٢) العبادة والاستقامة :

لقد فقه سلفنا الصالح عن الله تعالى أمره، وتدبروا في حقيقة الدنيا، ومصيرها إلى الآخرة، فاستوحشوا من فتنتها، وتجافت جنوبهم عن مضاجعها، فلا تراهم إلا صوامين قوامين، باكين والهين، ولقد جاءت تراجمهم زاخرة تشي بعلو همتهم في التوبة والعبادة والاستغفار، والحث على ذلك.

قال الحسن: من نافسك في دينك فنافسه، ومن نافسك في دنياه فألقها في نحره.

وقال وهيب بن الورد: إنْ استطعت أنْ لا يسبقك أحد إلى الله تعالى فافعل.

وقيل لنافع: ما كان ابن عمر يصنع في منزله ؟

قال: الوضوء لكل صلاة، والمصحف فيما بينهما.

وكان ابن عمر إذا فاتته صلاة الجماعة صام يومًا، وأحيا ليلة، وأعتق رقبة.

قد جاء عن أبي مسلم الخولاني -رحمه الله - أنّه قال: (لو قيل لي أن جهنم تسعر ما استطعت أنْ أزيد في عملي) (٢) .

وكان -رحمه الله- قد علق سوطًا في مسجد بيته يخوف به نفسه، وكان يقول لنفسه: قومي فوالله لأزحفن بك زحفا حتى يكون الكلل منك لا مني، فإذا دخلت الفترة تناول سوطه وضرب به ساقه، ويقول: أنت أولى بالضرب من دابتي، وكان يقول: أيظن أصحاب محمد ﷺ أنْ يستأثروا به دوننا ؟ كلا والله لنزاحمنّهم عليه زحامًا حتى يعلموا

(١) سير أعلام النبلاء :١٣/٢٩٢-٢٩٤.

(٢) حلية الأولياء (٢/١٢٤).

أنّهم قد خلفوا وراءهم رجالاً.

وجاء عن إبراهيم الحربي أنّه قال: (لقد صحبت أحمد بن حنبل عشرين سنة، صيفًا وشتاءً، وحراً وبرداً، وليلاً ونهارًا، فما لقيته في يوم إلا وهو زائد عليه بالأمس) [١].

وقال هشيم تلميذ منصور بن زاذان: كان لو قيل له: إنّ ملك الموت على الباب، ما كان عنده زيادة في العمل.

وجاء عن أنس بن عياض قال: (رأيت صفوان بن سليم ولو قيل له: (غدًا القيامة ما كان عنده مزيد على ما هو عليه من العبادة)[٢]. وكان يقول: اللهم إني أحب لقاءك فأحب لقائي

وقال عبد الرحمن بن مهدي: لو قيل لحماد بن سلمة :إنك تموت غدًا، ما قدر أنْ يزيد في العمل شيئًا.

٣) البحث عن الحق :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ حَدَّثَنِي سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ حَدِيثَهُ مِنْ فِيهِ قَالَ: كُنْتُ رَجُلاً فَارِسِيًّا مِنْ أَهْلِ أَصْبَهَانَ مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ مِنْهَا يُقَالُ لَهَا جَيٌّ وَكَانَ أَبِي دِهْقَانَ قَرْيَتِهِ وَكُنْتُ أَحَبَّ خَلْقِ الله تعالى إِلَيْهِ فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حُبُّهُ إِيَّايَ حَتَّى حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ أَيْ مُلازِمَ النَّارِ كَمَا تُحْبَسُ الْجَارِيَةُ وَأَجْهَدْتُ فِي الْمَجُوسِيَّةِ حَتَّى كُنْتُ قَطَنَ النَّارِ الَّذِي يُوقِدُهَا لا يَتْرُكُهَا تَخْبُو سَاعَةً قَالَ وَكَانَتْ لأَبِي ضَيْعَةٌ عَظِيمَةٌ قَالَ: فَشُغِلَ فِي بُنْيَانٍ لَهُ يَوْمًا فَقَالَ لِي: يَا بُنَيَّ إِنِّي قَدْ شُغِلْتُ فِي بُنْيَانٍ هَذَا الْيَوْمَ عَنْ ضَيْعَتِي فَاذْهَبْ فَاطَّلِعْهَا وَأَمَرَنِي فِيهَا بِبَعْضِ مَا يُرِيدُ فَخَرَجْتُ أُرِيدُ ضَيْعَتَهُ فَمَرَرْتُ بِكَنِيسَةٍ مِنْ كَنَائِسِ النَّصَارَى فَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ فِيهَا وَهُمْ يُصَلُّونَ وَكُنْتُ لا أَدْرِي مَا أَمْرُ النَّاسِ لِحَبْسِ أَبِي إِيَّايَ فِي بَيْتِهِ فَلَمَّا مَرَرْتُ بِهِمْ وَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُونَ قَالَ فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ أَعْجَبَتْنِي صَلاتُهُمْ وَرَغِبْتُ فِي أَمْرِهِمْ وَقُلْتُ هَذَا وَالله تعالى خَيْرٌ مِنَ الدِّينِ الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ فَوَاللَّهِ مَا تَرَكْتُهُمْ حَتَّى غَرَبَتْ الشَّمْسُ.

وَتَرَكْتُ ضَيْعَةَ أَبِي وَلَمْ آتِهَا فَقُلْتُ لَهُمْ أَيْنَ أَصْلُ هَذَا الدِّينِ قَالُوا بِالشَّامِ قَالَ: ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى أَبِي وَقَدْ بَعَثَ فِي طَلَبِي وَشَغَلْتُهُ عَنْ عَمَلِهِ كُلِّهِ قَالَ: فَلَمَّا جِئْتُهُ قَالَ: أَيْ بُنَيَّ أَيْنَ كُنْتَ أَلَمْ أَكُنْ عَهِدْتُ إِلَيْكَ مَا عَهِدْتُ، قَالَ: قُلْتُ يَا أَبَتِ مَرَرْتُ بِنَاسٍ يُصَلُّونَ فِي

(١) مناقب أحمد (ص-١٤٠).
(٢) سير أعلام النبلاء (٥/٣٦٦)، تذكرة الحفاظ (١/١٣٤).

كَنِيسَةٍ لَهُمْ فَأَعْجَبَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ دِينِهِمْ فَوَاللَّهِ مَازِلْتُ عِنْدَهُمْ حَتَّى غَرَبَتْ الشَّمْسُ قَالَ: أَيْ بُنَيَّ لَيْسَ فِي ذَلِكَ الدِّينِ خَيْرٌ دِينُكَ وَدِينُ آبَائِكَ خَيْرٌ مِنْهُ قَالَ: قُلْتُ كَلاَّ وَاللَّهِ إِنَّهُ خَيْرٌ مِنْ دِينِنَا قَالَ: فَخَافَنِي فَجَعَلَ فِي رِجْلَيَّ قَيْدًا ثُمَّ حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ قَالَ: وَبَعَثْتُ إِلَيَّ النَّصَارَى فَقُلْتُ لَهُمْ: إِذَا قَدِمَ عَلَيْكُمْ رَكْبٌ مِنَ الشَّامِ تُجَّارٌ مِنَ النَّصَارَى، فَأَخْبِرُونِي بِهِمْ

قَالَ: فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ رَكْبٌ مِنَ الشَّامِ تُجَّارٌ مِنَ النَّصَارَى قَالَ: فَأَخْبَرُونِي بِهِمْ قَالَ: فَقُلْتُ لَهُمْ إِذَا قَضَوْا حَوَائِجَهُمْ وَأَرَادُوا الرَّجْعَةَ إِلَى بِلادِهِمْ فَآذِنُونِي بِهِمْ، قَالَ: فَلَمَّا أَرَادُوا الرَّجْعَةَ إِلَى بِلادِهِمْ أَخْبَرُونِي بِهِمْ فَأَلْقَيْتُ الْحَدِيدَ مِنْ رِجْلَيَّ ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ الشَّامَ فَلَمَّا قَدِمْتُهَا قُلْتُ مَنْ أَفْضَلُ أَهْلِ هَذَا الدِّينِ، قَالُوا: الأَسْقُفُ فِي الْكَنِيسَةِ قَالَ: فَجِئْتُهُ فَقُلْتُ: إِنِّي قَدْ رَغِبْتُ فِي هَذَا الدِّينِ وَأَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ أَخْدُمُكَ فِي كَنِيسَتِكَ، وَأَتَعَلَّمُ مِنْكَ، وَأُصَلِّي مَعَكَ.

قَالَ: فَادْخُلْ فَدَخَلْتُ مَعَهُ قَالَ فَكَانَ رَجُلَ سَوْءٍ يَأْمُرُهُمْ بِالصَّدَقَةِ وَيُرَغِّبُهُمْ فِيهَا فَإِذَا جَمَعُوا إِلَيْهِ مِنْهَا أَشْيَاءَ، اكْتَنَزَهُ لِنَفْسِهِ وَلَمْ يُعْطِهِ الْمَسَاكِينَ حَتَّى جَمَعَ سَبْعَ قِلالٍ مِنْ ذَهَبٍ وَوَرِقٍ قَالَ: وَأَبْغَضْتُهُ بُغْضًا شَدِيدًا لِمَا رَأَيْتُهُ يَصْنَعُ ثُمَّ مَاتَ فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ النَّصَارَى؛ لِيَدْفِنُوهُ فَقُلْتُ لَهُمْ إِنَّ هَذَا كَانَ رَجُلَ سَوْءٍ يَأْمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ وَيُرَغِّبُكُمْ فِيهَا فَإِذَا جِئْتُمُوهُ بِهَا اكْتَنَزَهَا لِنَفْسِهِ وَلَمْ يُعْطِ الْمَسَاكِينَ مِنْهَا شَيْئًا، قَالُوا: وَمَا عِلْمُكَ بِذَلِكَ؟ قَالَ: قُلْتُ أَنَا أَدُلُّكُمْ عَلَى كَنْزِهِ قَالُوا: فَدُلَّنَا عَلَيْهِ قَالَ: فَأَرَيْتُهُمْ مَوْضِعَهُ قَالَ: فَاسْتَخْرَجُوا مِنْهُ سَبْعَ قِلالٍ مَمْلُوءَةٍ ذَهَبًا وَوَرِقًا، قَالَ: فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا: وَاللَّهِ لا نَدْفِنُهُ أَبَدًا فَصَلَبُوهُ ثُمَّ رَجَمُوهُ بِالْحِجَارَةِ ثُمَّ جَاءُوا بِرَجُلٍ آخَرَ فَجَعَلُوهُ بِمَكَانِهِ قَالَ: يَقُولُ سَلْمَانُ فَمَا رَأَيْتُ رَجُلاً لا يُصَلِّي الْخَمْسَ أَرَى أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْهُ أَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا وَلا أَرْغَبُ فِي الآخِرَةِ وَلا أَدْأَبُ لَيْلاً وَنَهَارًا مِنْهُ قَالَ: فَأَحْبَبْتُهُ حُبًّا لَمْ أُحِبَّهُ مَنْ قَبْلَهُ وَأَقَمْتُ مَعَهُ زَمَانًا ثُمَّ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ

فَقُلْتُ لَهُ: يَا فُلانُ إِنِّي كُنْتُ مَعَكَ وَأَحْبَبْتُكَ حُبًّا لَمْ أُحِبَّهُ مَنْ قَبْلَكَ وَقَدْ حَضَرَكَ مَا تَرَى مِنْ أَمْرِ الله تعالى فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي وَمَا تَأْمُرُنِي، قَالَ: أَيْ بُنَيَّ وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا الْيَوْمَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ لَقَدْ هَلَكَ النَّاسُ وَبَدَّلُوا وَتَرَكُوا أَكْثَرَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ إِلاَّ رَجُلاً بِالْمَوْصِلِ وَهُوَ فُلانٌ فَهُوَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ فَالْحَقْ بِهِ.

قَالَ: فَلَمَّا مَاتَ وَغُيِّبَ لَحِقْتُ بِصَاحِبِ الْمَوْصِلِ فَقُلْتُ: لَهُ يَا فُلانُ إِنَّ فُلانًا أَوْصَانِي عِنْدَ مَوْتِهِ أَنْ أَلْحَقَ بِكَ وَأَخْبَرَنِي أَنَّكَ عَلَى أَمْرِهِ، قَالَ: فَقَالَ لِي أَقِمْ عِنْدِي فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ فَوَجَدْتُهُ خَيْرَ رَجُلٍ عَلَى أَمْرِ صَاحِبِهِ فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قُلْتُ لَهُ: يَا فُلانُ إِنَّ فُلانًا أَوْصَى بِي إِلَيْكَ وَأَمَرَنِي بِاللُّحُوقِ بِكَ وَقَدْ حَضَرَكَ مِنَ اللَّهِ ﷻ

مَا تَرَى فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي وَمَا تَأْمُرُنِي قَالَ: أَيْ بُنَيَّ وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ رَجُلاً عَلَى مِثْلِ مَا كُنَّا عَلَيْهِ إِلاَّ بِنَصِيبِينَ وَهُوَ فُلانٌ فَالْحَقْ بِهِ.

وَقَالَ: فَلَمَّا مَاتَ وَغُيِّبَ لَحِقْتُ بِصَاحِبِ نَصِيبِينَ فَجِئْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِي وَمَا أَمَرَنِي بِهِ صَاحِبِي قَالَ فَأَقِمْ عِنْدِي، فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ فَوَجَدْتُهُ عَلَى أَمْرِ صَاحِبَيْهِ، فَأَقَمْتُ مَعَ خَيْرِ رَجُلٍ فَوَاللَّهِ مَا لَبِثَ أَنْ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ، فَلَمَّا حَضَرَ قُلْتُ لَهُ: يَا فُلانُ إِنَّ فُلانًا كَانَ أَوْصَى بِي إِلَى فُلانٍ ثُمَّ أَوْصَى بِي فُلانٌ إِلَيْكَ فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي وَمَا تَأْمُرُنِي؟

قَالَ: أَيْ بُنَيَّ، وَاللَّهِ مَا نَعْلَمُ أَحَدًا بَقِيَ عَلَى أَمْرِنَا آمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ إِلاَّ رَجُلاً بِعَمُّورِيَّةَ فَإِنَّهُ بِمِثْلِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ فَإِنْ أَحْبَبْتَ فَأْتِهِ قَالَ: فَإِنَّهُ عَلَى أَمْرِنَا قَالَ: فَلَمَّا مَاتَ وَغُيِّبَ لَحِقْتُ بِصَاحِبِ عَمُّورِيَّةَ وَأَخْبَرْتُهُ خَبَرِي فَقَالَ: أَقِمْ عِنْدِي فَأَقَمْتُ مَعَ رَجُلٍ عَلَى هَدْيِ أَصْحَابِهِ وَأَمْرِهِمْ قَالَ وَاكْتَسَبْتُ حَتَّى كَانَ لِي بَقَرَاتٌ وَغُنَيْمَةٌ قَالَ: ثُمَّ نَزَلَ بِهِ أَمْرُ الله تعالى فَلَمَّا حَضَرَ قُلْتُ لَهُ يَا فُلانُ إِنِّي كُنْتُ مَعَ فُلانٍ فَأَوْصَى بِي فُلانٌ إِلَى فُلانٍ وَأَوْصَى بِي فُلانٌ إِلَى فُلانٍ ثُمَّ أَوْصَى بِي فُلانٌ إِلَيْكَ فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي وَمَا تَأْمُرُنِي؟

قَالَ: أَيْ بُنَيَّ وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُهُ أَصْبَحَ عَلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ آمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ أَظَلَّكَ زَمَانُ نَبِيٍّ هُوَ مَبْعُوثٌ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ يَخْرُجُ بِأَرْضِ الْعَرَبِ مُهَاجِرًا إِلَى أَرْضٍ بَيْنَ حَرَّتَيْنِ بَيْنَهُمَا نَخْلٌ بِهِ عَلامَاتٌ لا تَخْفَى يَأْكُلُ الْهَدِيَّةَ وَلا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلْحَقَ بِتِلْكَ الْبِلادِ فَافْعَلْ قَالَ: ثُمَّ مَاتَ وَغُيِّبَ فَمَكَثْتُ بِعَمُّورِيَّةَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَمْكُثَ.

ثُمَّ مَرَّ بِي نَفَرٌ مِنْ كَلْبٍ تُجَّارًا فَقُلْتُ لَهُمْ: تَحْمِلُونِي إِلَى أَرْضِ الْعَرَبِ وَأُعْطِيكُمْ بَقَرَاتِي هَذِهِ وَغُنَيْمَتِي هَذِهِ قَالُوا: نَعَمْ فَأَعْطَيْتُهُمُوهَا وَحَمَلُونِي حَتَّى إِذَا قَدِمُوا بِي وَادِي الْقُرَى ظَلَمُونِي فَبَاعُونِي مِنْ رَجُلٍ مِنْ يَهُودَ عَبْدًا فَكُنْتُ عِنْدَهُ وَرَأَيْتُ النَّخْلَ وَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ الْبَلَدَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي، وَلَمْ يَحِقْ لِي فِي نَفْسِي فَبَيْنَمَا أَنَا عِنْدَهُ قَدِمَ عَلَيْهِ ابْنُ عَمٍّ لَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ فَابْتَاعَنِي مِنْهُ فَاحْتَمَلَنِي إِلَى الْمَدِينَةِ فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلاَّ أَنْ رَأَيْتُهَا فَعَرَفْتُهَا بِصِفَةِ صَاحِبِي فَأَقَمْتُ بِهَا.

وَبَعَثَ اللهُ تعالى رَسُولَهُ ﷺ فَأَقَامَ بِمَكَّةَ مَا أَقَامَ لا أَسْمَعُ لَهُ بِذِكْرٍ مَعَ مَا أَنَا فِيهِ مِنْ شُغْلِ الرِّقِّ ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَفِي رَأْسِ عَذْقٍ لِسَيِّدِي أَعْمَلُ فِيهِ بَعْضَ الْعَمَلِ وَسَيِّدِي جَالِسٌ، إِذْ أَقْبَلَ ابْنُ عَمٍّ لَهُ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِ: فَقَالَ فُلانٌ: قَاتَلَ اللَّهُ بَنِي قَيْلَةَ وَاللَّهِ إِنَّهُمُ الآنَ لَمُجْتَمِعُونَ بِقُبَاءَ عَلَى رَجُلٍ قَدِمَ عَلَيْهِمْ مِنْ مَكَّةَ الْيَوْمَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَبِيٌّ، قَالَ: فَلَمَّا سَمِعْتُهَا أَخَذَتْنِي الْعُرَوَاءُ حَتَّى ظَنَنْتُ سَأَسْقُطُ عَلَى سَيِّدِي قَالَ: وَنَزَلْتُ عَنِ النَّخْلَةِ

فَجَعَلْتُ أَقُولُ لابْنِ عَمِّهِ ذَلِكَ: مَاذَا تَقُولُ؟ مَاذَا تَقُولُ؟ قَالَ فَغَضِبَ سَيِّدِي، فَلَكَمَنِي لَكْمَةً شَدِيدَةً ثُمَّ قَالَ مَا لَكَ وَلِهَذَا؟ أَقْبِلْ عَلَى عَمَلِكَ قَالَ قُلْتُ لا شَيْءَ إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَسْتَثْبِتَ عَمَّا قَالَ.

وَقَدْ كَانَ عِنْدِي شَيْءٌ قَدْ جَمَعْتُهُ فَلَمَّا أَمْسَيْتُ أَخَذْتُهُ ثُمَّ ذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ بِقُبَاءَ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ رَجُلٌ صَالِحٌ وَمَعَكَ أَصْحَابٌ لَكَ غُرَبَاءُ ذَوُو حَاجَةٍ وَهَذَا شَيْءٌ كَانَ عِنْدِي لِلصَّدَقَةِ فَرَأَيْتُكُمْ أَحَقَّ بِهِ مِنْ غَيْرِكُمْ قَالَ فَقَرَّبْتُهُ إِلَيْهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **لأَصْحَابِهِ كُلُوا وَأَمْسَكَ يَدَهُ فَلَمْ يَأْكُلْ قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَذِهِ وَاحِدَةٌ.**

ثُمَّ انْصَرَفْتُ عَنْهُ فَجَمَعْتُ شَيْئًا وَتَحَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ ثُمَّ جِئْتُ بِهِ فَقُلْتُ: إِنِّي رَأَيْتُكَ لا تَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، وَهَذِهِ هَدِيَّةٌ أَكْرَمْتُكَ بِهَا، قَالَ: فَأَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهَا وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ فَأَكَلُوا مَعَهُ قَالَ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي هَاتَانِ اثْنَتَانِ.

ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ بِبَقِيعِ الْغَرْقَدِ قَالَ وَقَدْ تَبِعَ جَنَازَةً مِنْ أَصْحَابِهِ عَلَيْهِ شَمْلَتَانِ لَهُ وَهُوَ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ اسْتَدَرْتُ أَنْظُرُ إِلَى ظَهْرِهِ هَلْ أَرَى الْخَاتَمَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي فَلَمَّا رَآنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اسْتَدَرْتُهُ عَرَفَ أَنِّي أَسْتَثْبِتُ فِي شَيْءٍ وُصِفَ لِي، قَالَ: فَأَلْقَى رِدَاءَهُ عَنْ ظَهْرِهِ فَنَظَرْتُ إِلَى الْخَاتَمِ فَعَرَفْتُهُ فَانْكَبَبْتُ عَلَيْهِ أُقَبِّلُهُ وَأَبْكِي.

فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **تَحَوَّلْ**، فَتَحَوَّلْتُ فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ حَدِيثِي كَمَا حَدَّثْتُكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ: فَأَعْجَبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَسْمَعَ ذَلِكَ أَصْحَابُهُ.

ثُمَّ شَغَلَ سَلْمَانَ الرِّقُّ حَتَّى فَاتَهُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَدْرٌ وَأُحُدٌ قَالَ ثُمَّ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **كَاتِبْ يَا سَلْمَانُ**، فَكَاتَبْتُ صَاحِبِي عَلَى ثَلاثِ مِائَةِ نَخْلَةٍ أُحْيِيهَا لَهُ بِالْفَقِيرِ وَبِأَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لأَصْحَابِهِ: **أَعِينُوا أَخَاكُمْ**، فَأَعَانُونِي بِالنَّخْلِ الرَّجُلُ بِثَلاثِينَ وَدِيَّةً وَالرَّجُلُ بِعِشْرِينَ وَالرَّجُلُ بِخَمْسَ عَشْرَةَ وَالرَّجُلُ بِعَشْرٍ يَعْنِي الرَّجُلُ بِقَدْرِ مَا عِنْدَهُ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ لِي ثَلاثُ مِائَةِ وَدِيَّةٍ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **اذْهَبْ يَا سَلْمَانُ فَفَقِّرْ لَهَا فَإِذَا فَرَغْتَ فَأْتِنِي أَكُونُ أَنَا أَضَعُهَا بِيَدَيَّ.**

فَفَقَّرْتُ لَهَا وَأَعَانَنِي أَصْحَابِي حَتَّى إِذَا فَرَغْتُ مِنْهَا جِئْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعِي إِلَيْهَا فَجَعَلْنَا نُقَرِّبُ لَهُ الْوَدِيَّ وَيَضَعُهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ فَوَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ مَا مَاتَتْ مِنْهَا وَدِيَّةٌ وَاحِدَةٌ فَأَدَّيْتُ النَّخْلَ وَبَقِيَ عَلَيَّ الْمَالُ فَأُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمِثْلِ بَيْضَةِ الدَّجَاجَةِ مِنْ ذَهَبٍ مِنْ بَعْضِ الْمَغَازِي فَقَالَ مَا فَعَلَ الْفَارِسِيُّ الْمُكَاتَبُ قَالَ

فَدُعِيتُ لَهُ فَقَالَ: خُذْ هَذه فَأَدِّ بِهَا مَا عَلَيْكَ يَا سَلْمَانُ، فَقُلْتُ وَأَيْنَ تَقَعُ هَذه يَا رَسُولَ اللَّه مِمَّا عَلَيَّ قَالَ: خُذْهَا فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ سَيُؤَدِّي بِهَا عَنْكَ قَالَ فَأَخَذْتُهَا فَوَزَنْتُ لَهُمْ مِنْهَا، وَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِه أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً فَأَوْفَيْتُهُمْ حَقَّهُمْ وَعُتِقْتُ فَشَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّه ﷺ الْخَنْدَقَ ثُمَّ لَمْ يَفُتْنِي مَعَهُ مَشْهَدٌ.(١)

٤) الدعوة إلى الله تعالى:

الحركة ولود، والسكون عقم، والحركة في قاموس الدعاة هي الحياة، والسكون هو الموت.

قال الشيخ عبد القادر الجيلاني – رحمه الله-: الحركة بداية، والسكون نهاية.

وبالحركة انتشر المسلمون الأوائل مثل شعاع الشمس في أقطار الأرض، يفتحون البلاد، ويفتحون قلوب العباد، يدعون إلى التوحيد ويحطمون الطواغيت، ويقودون الناس إلى الجنة.

وهذا الشافعي -رحمه الله- يصور عشقه للحركة، وبغضه للجمود والكسل فيقول:

إنـي رأيـت وقـوف المـاء يفسده	إنْ ساح طـاب وإنْ لم يجـر لم يطب
والأسـد لولا فراق الأرض ما افترست	والسهم لـولا فـراق القوس لم يصب
والشـمس لـو وقفت في الفلك دائمة	لملـها الناس مـن عجم ومـن عرب

وهذا وليد الأعظمي يحث الدعاة على الحركة، ويرشدهم إلى الأولويات فيقول:

كـن مشعلاً في جنـح ليـل حـالك	يهـدي الأنـام إلى الهـدى ويـبين
وانشـط لدينـك لا تكن متكـاسلاً	واعمل عـلى تحريك ما هـو ساكن
وابـدأ بأهلـك إنْ دعـوت فـإنهم	أولى الـورى بالنـصح منـك وأقمن
والله يأمـــــر بالعشـــــيرة أولا	والأمـر مـن بعـد العشـيرة هـين

٥) الجهاد:

والكلام فيه كثير، وهنا موضع لا يتسع لهذا، وإنْ أردت معرفة اجتهادهم في هذا وعلو همتهم في رفع راية الجهاد فراجع الكتابين التاليين: **تهذيب مشارع الأشواق في**

(١) أخرجه أحمد في المسند :٥/٤٤١-٤٤٤، والبيهقي في الدلائل :٢/٩٢-٩٧ والطبراني في الكبير رقم:٦٠٦٥ والحديث حسن

فضائل الجهاد لابن النحاس هذبه الأخ المفضال الدكتور صلاح الخالدي – متعه الله بالعافية- طباعة دار العلوم /عمان، وكتابي **عشاق الحور وطلاب دار السرور من أعلام الاستشهاديين** طباعة دار النفائس /عمان فإن فيهما ما يروي العطشان، ويزيل حيرة الحيران.

٦) الإنفاق والبذل:

علو همة أبي بكر التي لا تسابق:

وحين تبحث عن صاحب همة عالية لا يستطيع أحد اللحاق به، فلن تجد بعد نبي الله ﷺ أعظمَ همةٍ من صدّيق هذه الأمة الخليفة الراشد أبي بكر الصديق ﷺ، وسأورد فيما يلي أحداثا تبرز تلك الهمة العالية التي لا تجارى:

فقد جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (**مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّه، نُودِيَ فِي الْجَنَّة: يَا عَبْدَ اللَّه هَذَا خَيْرٌ.**

فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاة، دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلاة.

وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَاد، دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَاد.

وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَة، دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَة.

وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَام، دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّان.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّه، مَا عَلَى أَحَدٍ يُدْعَى مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَة، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ كُلِّهَا ؟.

قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: **نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ**).(١)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: (**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا ؟.**

قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَنَا.

قَالَ: **فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً ؟.**

قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَنَا.

قَالَ: **فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِينًا ؟.**

قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَنَا.

(١) أخرجه البخاري برقم: ١٨٩٧، ومسلم برقم: ١٠٢٧ واللفظ لمسلم.

قَالَ: فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا ؟.
قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ:أَنَا.
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ). (١)

وحين يحاول صاحب الهمة العالية الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ أنْ يسابق أبا بكر ﷺ في أدبيات الذوق الرفيع، وسلوكيات التعامل فإنّه يعجز عن ذلك ويكف عن المحاولة، ويرضى بما هو عليه رغم أنّه أعجز من جاء بعده أنْ يفعلوا مثل ما فعل ﷺ، فقد جاء :

عَنْ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ :
(أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا أَنْ نَتَصَدَّقَ فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالاً عِنْدِي، فَقُلْتُ :
الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ ﷺ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا.
قَالَ: فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي.
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ ؟
قُلْتُ: مِثْلَهُ.
قَالَ: وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ ﷺ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ.
فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟
قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ.
قُلْتُ: لا أُسَابِقُكَ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا). (٢)

ندرة أصحاب الهمة العالية في الناس :

أصحاب الهمة العالية في الناس كالعملة النادرة، يصدق فيهم قول رسول الله ﷺ: (تَجِدُونَ النَّاسَ كَإِبِلٍ مِائَةٍ، لا يَجِدُ الرَّجُلُ فِيهَا رَاحِلَةً). (٣)

وهم في الناس ثلة من الأولين وقليل من الآخرين، وقد كانوا إذا عدوا قليلاً فقد صاروا أعز من القليل، الواحد منهم بأمة، والفرد منهم بألف:

يعـــد بألـــف مـــن رجـــال زمانـــه ... لكـــنه في الألمعـــية واحـــد

ولذا عظمت المصيبة بفقدهم، وعمت الرزية بموتهم :

(١) أخرجه مسلم برقم :١٠٢٨، والبخاري في الأدب المفرد برقم :٥١٥
(٢) أخرجه أبو داود برقم :١٦٧٨، والترمذي برقم :٣٦٧٦ وقال حسن صحيح وهو كما قال.
(٣) أخرجه البخاري برقم:٦٤٩٨، ومسلم برقم:٢٤٥٧، والترمذي برقم:٢٨٧٢، وابن ماجة برقم:٣٩٩٠

تعلـــم مـــا الـــرزية فقـــد مـــال ... ولا شـــاة تمـــوت ولا بعـــير
ولكـــن الـــرزية فقـــد حـــر ... يمـــوت بمـــوته بشـــر كـــثير

وقال بعض السلف :موت العالم ثلمة في الإسلام، لا يسدها شيء.

ومما قيل في رثاء عمر بن عبد العزيز –رحمه الله- :

عمـــت صـــنائعه، فعـــم هلاكـــه ... فالـــناس فـــيه كلـــهم مأجـــورُ
والـــناس مـــأتمهم علـــيه واحـــد ... في كـــل دار رنـــة وزفـــيرُ
يـــثني علـــيك لســـان مـــن لم توله ... خـــيرا، لأنـــك بالثـــناء جديـــرُ
ردت صـــنائعه علـــيه حـــياته ... فكأنـــه مـــن نشـــرها منشـــورُ

وقال الأصمعي: لما صاف قتيبة بن مسلم للترك، وهاله أمرهم، سأل عن محمد بن واسع، فقيل: هو ذاك في الميمنة جامح على فرسه، يبصبص بإصبعه نحو السماء.

قال: تلك الإصبع أحب إلي من مائة ألف سيف شهير، وشاب طرير.

شتان بين همة عالية وأخرى هابطة :

ومن كان مؤهلاً لوراثة الأنبياء، والارتقاء لمراتب الأصفياء والأولياء، وهي مرتبة عظيمة، خطير شأنها، عظيم حالها، فلا بد له أن يتعالى عن سفاسف الأمور، ويأخذ الأهبة، ويتحلى بإرادة لا يفلها الحديد، فلا يصلح لصاحب هذه المنزلة أنْ يحوم حول حطام الدنيا الزائف، ويجول قلبه في خيالات المحال والبهتان، فلا تزال أمواج الأماني الكاذبة والخيالات الباطلة تتلاعب به كما تتلاعب الكلاب بالجيفة، فهذه بضاعة كل نفس مهينة خسيسة سفلية، ليست لها همة تنال بها الحقائق.

فأصحاب الهمم السفلية تراهم يتكالبون على الحظوظ الفانية، من الجاه والسلطان، وحب الرياسة، والطواف في البلدان لجمع الأموال والأثمان، أو الظفر بامرأة، ويظل مشغول القلب بأمانيه الزائفة، وتراه حائمًا في الأرض حيران يتمثل صورة مطلوبه في نفسه، وقد التذ بالظفر بها، فبينما هو على هذه الحال إذ استيقظ فإذا يده والحصير.

أما أصحاب الهمم العالية فيخبرك ابن القيم –رحمه الله تعالى- عنهم وعن حالهم ومقاصدهم بقوله :

(وصاحب الهمة العالية أمانيه حائمة حول العلم والإيمان والعمل الذي يقربه إلى الله تعالى، ويدنيه من جواره، فأماني هذا إيمان ونور وحكمة، وأماني أولئك خداع وغرور)(١)

(١) مدارج السالكين :٤٥٧/١-٤٥٨

أماني كبار الهمة

أين مثل هذا في زماننا :

وحين سألنا أهل العلم، وأئمة الدين عن أقصى أمانيهم، أجاب لسان حالهم على لسان بعضهم حيث أخبرنا العلامة أبو القاسم الزمخشري -رحمه الله تعالى- عن ذلك بقوله شعرًا ما نصه :

سهري لتنقيح العلوم ألذُّ لي ... من وصل غانية وطيب عناقِ
وتمايلي طربًا لحل عويصة ... أشهى وأحلى من مُدامة ساقِ
وصريرُ أقلامي على أوراقها ... أحلى من الدُّوكاه والعُشّاقِ
وألذُّ من نقرِ الفتاة لدُفِّها ... نقري لألقي الرملَ عن أوراقي
يا مَنْ يحاولُ بالأماني رتبتي ... كم بين مُسْتَفِلٍ وآخرَ راقي
أأبيتُ سهرانَ الدُّجى وتبيتهُ ... نومًا وتبغي بعد ذاكَ لحاقي[1]

أماني تدل على همة عالية :

وجاء أيضًا في ترجمة الإمام العلامة الفقيه الذي لا يجارى ابن حزم الظاهري - رحمه الله تعالى- ما يشير إلى علو همته، حيث نظم ذلك شعرًا فقال:

مُناايَ من الدنيا علومٌ أبُثُّها ... وأنشُرها في كل بادٍ وحاضرِ
دعاءٌ إلى القرآن والسننِ التي ... تناسى رجالٌ ذكرَها في المحاضرِ
وألزمُ أطرافًا الثغورِ مجاهدًا ... إذا هيعةٌ ثارتْ فأولُ نافرِ
لألقى حِمامي مقبلاً غير مدبرٍ ... بسُمر العوالي والرقاقِ البواترِ
كفاحًا مَع الكفار في حومةِ الوغى ... وأكرمُ موتٍ للفتى قتلُ كافرِ
فيا ربِّ لا تجعل حِمامي بغيرها ... ولا تجعلني من قطينِ المقابرِ[2]

(١) مقدمة تفسير الكشاف
(٢) سير أعلام النبلاء :١٨/٢٠٦

الاستقامة

تعريفها :

هي سلوك الصراط المستقيم، وهو الدين القويم من غير تعويج عنه يمنة ولا يسرة، ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها، الظاهرة والباطنة، وترك المنهيات كلها كذلك، فصارت هذه المكانة جامعة لخصال الدين كلها.

الاستقامة ضد الطغيان: وهو مجاوزة الحدود في كل شيء. فالاستقامة كلمة جامعة، آخذة بمجامع الدين، وهي القيام بين يدي الله تعالى على حقيقة الصدق، والوفاء بالعهد. والاستقامة تتعلق بالأقوال، والأفعال، والأحوال، والنيات، فالاستقامة فيها: وقوعها لله، وبالله تعالى، وعلى أمر الله تعالى.

من أقوال الصالحين فيها :

سئل صديق الأمة وأعظمها استقامة أبو بكر الصديق ﷺ عن الاستقامة فقال: (أن لا تشرك بالله تعالى شيئًا يريد **الاستقامة** على محض التوحيد).

وقال عمر بن الخطاب ﷺ: (**الاستقامة:** أن تستقيم على الأمر والنهي ولا تروغ روغان الثعالب).

وقال عثمان بن عفان ﷺ: (**استقاموا:** أخلصوا العمل لله). وقال علي بن أبي طالب ﷺ وابن عباس -رضي الله عنهما-: (**استقاموا** أدوا الفرائض). وعن ابن عباس قال: (**استقاموا** على أداء فرائضه).

وقال الحسن: (**استقاموا** على أمر الله تعالى فعملوا بطاعته واجتنبوا معصيته). وقال مجاهد: (**استقاموا** على شهادة أن لا إله إلا الله حتى لحقوا بالله).

وعن أبي العالية قال: (ثم أخلصوا له الدين والعمل). وعن قتادة قال: (**استقاموا** على طاعة الله تعالى).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه-: (**استقاموا** على محبته وعبوديته، فلم يلتفتوا عنه يمنة ولا يسرة).

وجود التقصير فيها :

وفي قوله الله ﷻ ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت: ٦] إشارة إلى أنه لا بد من تقصير في الاستقامة المأمور بها، فيجبر ذلك الاستغفار المقتضي للتوبة والرجوع إلى الاستقامة، فهو كقول النبي ﷺ لمعاذ: **(اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها)**[(١)].

وقد أخبر النبي ﷺ أنّ الناس لن يستطيعوا الاستقامة حق الاستقامة، كما جاء من حديث ثوبان عن النبي ﷺ قال: **(استقيموا ولن تحصوا، وأعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن)**. وفي رواية الإمام أحمد – رحمه الله – **(سددوا وقاربوا ولا يحافظ على الصلاة إلا مؤمن)**[(٢)].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **(سددوا وقاربوا)**[(٣)].

مراتبها :

والمطلوب من العبد الاستقامة، وهي السداد، فإن لم يقدر عليها فالمقاربة فإن نزل عنها: فالتفريط والإضاعة.

المرتبة الأولى: السداد: هو حقيقة الاستقامة، وهو الإصابة في جميع الأقوال والأعمال والمقاصد، كالذي يرمي إلى غرض فيصيبه.

وقد أمر النبي ﷺ عليًا أنْ يسأل الله ﷻ السداد والهدى وقال له اذكر بالسداد تسديدك السهم وبالهدى هدايتك الطريق[(٤)].

المرتبة الثانية: المقاربة: أنْ يصيب ما قرب من الغرض – الاستقامة– إذا لم يصب الغرض نفسه، ولكن بشرط أنْ يكون مصممًا على قصد السداد وإصابة الغرض فتكون مقاربته عن غير عمد.

ويدل عليه قول النبي ﷺ في حديث الحكم ابن حزم الكلبي: **(أيُّها النّاسُ إنّكم لَنْ**

(١) الترمذي (١٩٧٨)، أحمد (٥/١٥٣)، الحاكم (١/٥٤) حسن.
(٢) أحمد (٥/٢٧٦)، ابن ماجة (٢٧٥)، ابن حبان (١٦٤) وهو صحيح.
(٣) البخاري (٥٦٧٣)، مسلم (٢٨١٦).
(٤) مسلم (٢٧٢٥)، أبو داود (٤٢٢٥)، النسائي (٨/٢١٩)، أحمد (١/٨٨).

تعْملوا ولَنْ تطِيْقُوا كُلّ ما أمَرْتكُم ولَكِنْ سدِّدوا وأبْشِرُوا)[(١)].

والمعنى: اقصدوا التسديد والإصابة والاستقامة، فإنهم لو سددوا في العمل كله؛ لكانوا قد فعلوا ما أمروا به كله.

ومع ذلك فإنّ الاستقامة والمقاربة لا تنجي يوم القيامة، فلا يركن أحد إلى عمله ولا يعجب به، ولا يرى أن نجاته به، بل إنما نجاته برحمة الله تعالى وعفوه وفضله.

❖ وهذا لا يعني خلو النفس والجوارح من العمل فأن دخول الجنة برحمة الله تعالى ولكن توزيع درجاتها على حسب الأعمال والهمم والاستقامة والإخلاص والله تعالى أعلم.

أصولها :

فأصل الاستقامة استقامة القلب على التوحيد، كما فسر أبو بكر الصديق وغيره ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ [الأحقاف: ١٣]، بأنهم لم يلتفتوا إلى غيره، فمتى استقام القلب على معرفة الله تعالى، وعلى خشيته، وإجلاله، ومهابته، ومحبته، وإرادته، ورجائه، ودعائه، والتوكل عليه، والإعراض عما سواه؛ استقامت الجوارح كلها على طاعته، فإنّ القلب هو ملك الأعضاء، وهي جنوده، فإذا استقام الملك استقامت جنوده ورعاياه، وكذلك فسر الله تعالى:﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ [الروم: ٣٠]، بإخلاص القصد لله وإرادته لا شريك له.

وترى أصول الاستقامة في ثلاثة:

- إتباع الكتاب.
- السنة.
- لزوم الجماعة

(لزوم الحق وأهله ولو قلوا، لا لزوم أكثر الناس).

أمور تراعى في الاستقامة :

ومن الأمور التي تراعى في الاستقامة:

(١) أحمد (٤/٢١٢)، أبو داود (١٠٩٦) حسن.

١) الاجتهاد في العمل، وهو بذل المجهود.
٢) الاقتصاد وتحقيق التوازن، وهو السلوك بين طرفي الإفراط وهو الجور على النفوس، والتفريط بالإضاعة.
٣) عبادة عن علم خير من عبادة تتبع الهوى والجهل.
٤) وإفراد المعبود بالإرادة وهو الإخلاص.
٥) ووقوع الأعمال على الأمر، وهو متابعة السنة.

فبهذه الأمور تتم لأهل هذه الدرجة استقامتهم، وبالخروج عن واحد منها يخرجون عن الاستقامة إما خروجًا كليًا، وإما خروجًا جزئيًا.

والسلف يذكرون هذين الأصلين كثيرًا، وهما الاقتصاد في الأعمال، والاعتصام بالسنة، فإنَّ الشيطان يشم قلب العبد ويختبره، فإن رأى فيه داعية للبدعة وإعراضًا عن كمال الانقياد للسنة: أخرجه عن الاعتصام بها، وإنْ رأى فيه حرصًا على السنة، وشدة طلب لها لم يظفر به من باب اقتطاعه عنها، فيأمره بالاجتهاد، والجور على النفس، ومجاوزة حد الاقتصاد فيها، قائلاً له: إنَّ هذا خير وطاعة، والزيادة والاجتهاد فيها أكمل، فلا تفتر مع أهل الفتور، ولا تنم مع أهل النوم، فلا يزال يحثه ويحرضه، حتى يخرجه عن الاقتصاد فيها، فيخرج عن حدها، كما أنَّ الأول خارج عن هذا الحد، فكذا هذا الآخر خارج عن الحد الآخر، وكلا الأمرين خروج عن السنة إلى البدعة، لكن هذا إلى بدعة التفريط، والإضاعة، والآخر إلى بدعة المجاوزة والإسراف (والله تعالى الهادي إلى الصواب).

وقال بعض السلف: ما أمر الله تعالى بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان، إما إلى تفريط، وإما إلى مجاوزة، وهي الإفراط، ولا يبالي بأيهما ظفر: - زيادة أو نقصان-.

وقال النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما-: **(يا عبد الله بن عمرو، إنَّ لكل عامل شرة، ولكل شرة فترة، فمن كانت فترته إلى سنة أفلح، ومن كانت فترته إلى بدعة خاب وخسر)**.[1] قال له ذلك حين أمره بالاقتصاد في العمل.

فكل الخير في اجتهاد باقتصاد، وإخلاص مقرون بالإتباع ،كما قال بعض

(١) سبق تخريجه.

الصحابة: اقتصاد في سبيل وسنة، خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة، فاحرصوا أن تكون أعمالكم على منهاج الأنبياء عليهم السلام وسنتهم.

وكذلك الرياء في الأعمال يخرجه عن الاستقامة، والفتور والتواني يخرجه عنها أيضًا. وأعظم ما يراعي استقامته بعد القلب من الجوارح اللسان، فإنَّه ترجمان القلب والمعبر عنه، ولهذا لما أمر النبي ﷺ بالاستقامة وصاه بعد ذلك بحفظ لسانه، ففي مسند الإمام أحمد عن أنس عن النبي ﷺ قال: **(لا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ ولا يَسْتَقِيمُ قلبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ)**.[1]

أمور تعين المستقيم على الوقوف عند هذه الضوابط:

والذي يعين العابد على التمييز أن يقف في مقام الفرق، فيشهد الفرق بين الأمر والنهي، والثواب والعقاب، والموالاة والمعاداة، والفرق بين ما يحبه الله تعالى ويرضاه، وبين ما يبغضه ويسخطه، فهو في مقام الفرق الذي لا يحصل للعبد درجة الإسلام فضلا عن مقام الإحسان إلا به.

ولا يحصل هذا إلا بالبقاء مع نور اليقظة، فهو الدوام في اليقظة، لا يطفئ نورها بظلمة الغفلة، بل يستديم يقظته، ويرى أنَّ هذا إنما يحصل له حفظًا من الله تعالى له، لا أنَّ هذه المواهب تحصل بتحفظه واحترازه، وليشهد أنَّ الله تعالى هو المقيم له والمقوم، وأنَّ استقامته وقيامه بالله تعالى، لا بنفسه وطلبه.

ثمرات الاستقامة:

- تنزل الملائكة على أهل الاستقامة بالبشرى.
- الأمن من خوف أهوال القيامة وأحزانها.
- التبشير بالجنة.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[فصلت:٣٠].

(١) أخرجه أحمد: ١٩٨/٣، والحديث حسن.

وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣-١٤].

فتح بركات السماء والأرض عليهم.

وقـال الله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ۝ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [الجن ١٦-١٧].

التقوى

تعريف التقوى :

اجتناب كل ما تخاف منه ضررًا على دينك.

وأصل التقوى: أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه، فتقوى العبد لربه أنْ يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه.

وأصل التقوى: أنْ يعلم العبد ما يتقى ثم يتقي، قال عون بن عبد الله: تمام التقوى أنْ تبتغي علم ما لم يُعلم منها إلى ما عُلمَ منها.

أهميتها :

هي وصية عظيمة جامعة لحقوق الله تعالى وحقوق عباده، فإنّ حق الله تعالى على عباده أنْ يتقوه حق تقاته، والتقوى وصية الله تعالى للأولين والآخرين، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [النساء:١٣١].

والتقوى: هي وصية الله تعالى لجميع خلقه، ووصية رسول الله ﷺ لأمته.

وجاء من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ: أَنَّ رَجُلاً جَاءَهُ فَقَالَ: أَوْصِنِي.

فَقَالَ: سَأَلْتَ عَمَّا سَأَلْتُ عَنْهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَبْلِكَ: (أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ شَيْءٍ، وَعَلَيْكَ بِالْجِهَادِ فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ الإِسْلَامِ وَعَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ رَوْحُكَ فِي السَّمَاءِ، وَذِكْرُكَ فِي الأَرْضِ)[1].

أهل التقوى أكرم الخلق :

فقد جاء من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ! مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ:

(١) وفي لفظه آخر قال عليك بتقوى الله فإنه جماع كل خير. أخرجه أحمد (٣/٨٢) وسنده حسن،وأبو يعلى (١٠٠٠)، الطبراني (ص ٩٤٩) بتقوى به.

أَتْقَاهُمْ، فَقَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ؟ قَالَ: فَيُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ، قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ؟ قَالَ: فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِ؟ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلامِ إِذَا فَقُهُوا. (١)

التقوى أول ما يدخل الناس الجنة :

ومن حديث أَبِي أُمَامَةَ ﷺ قال: سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، فَقَالَ:

(اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ، وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ، وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَأَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُمْ، تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ). (٢)

ولأهمية التقوى فقد كان النبي ﷺ يسأل الله تعالى أنْ يرزقه التقوى: فقد جاء عن عَبْدِ اللَّهِ - يعني ابن مسعود - ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى)(٣).

تواصي الصالحين بها :

ولم يزل السلف الصالح يتواصون بها وكان أبو بكر الصديق ﷺ يقول في خطبه: أما بعد فإني أوصيكم بتقوى الله تعالى، وأنْ تثنوا عليه بما هو أهله، وأنْ تخلطوا الرغبة بالرهبة، وتجمعوا الإلحاف بالمسألة، فإنّ الله ﷻ أثنى على زكريا وأهل بيته، فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠].

ولما حضرته الوفاة وعهد إلى عمر دعاه فوصاه بوصيته، وأول ما قال له: اتق الله يا عمر. وكتب عمر إلى ابنه عبد الله: (أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله ﷻ: فإنّه من اتقاه وقاه، ومن أقرضه جزاه، ومن شكره زاده، واجعل التقوى نصب عينيك، وجلاء قلبك).

واستعمل علي بن أبي طالب رجلاً على سرية، فقال له: أوصيك بتقوى الله ﷻ

(١) أخرجه البخاري برقم :٣٣٥٢ ومسلم برقم :٢٥٢٦

(٢) أخرجه الترمذي برقم: ٦١٦ والحديث صحيح.

(٣) أخرجه مسلم برقم:٢٧٢١

الذي لا بد لك من لقاه، ولا منتهى لك دونه، وهو يملك الدنيا والآخرة.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى رجل: (أوصيك بتقوى الله ﷻ التي لا يقبل غيرها، ولا يرحم إلا أهلها، ولا يثيب إلا عليها، فإنّ الواعظين بها كثير، والعاملين بها قليل، جعلنا الله تعالى وإياك من المتقين).

ولما ولي خطب، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: (أوصيكم بتقوى الله ﷻ، فإنّ تقوى الله ﷻ خلف من كل شيء، وليس من تقوى الله خلف).

حد التقوى :

فحد التقوى الجامع: تنزيه القلب عن شر لم يسبق عنك مثله، بقوة العزم على تركه، حتى يصير ذلك وقاية بينك وبين كل شر.

ثم الشرور ضربان:

١) شر أصلي وهو ما نهى الله تعالى عنه تحريمًا كالمعاصي المحضة.

٢) وشر غير أصلي وهو ما نهى الله تعالى عنه تأديبًا، وهو فضول الحلال كالمباحات المأخوذة بالشهوة.

فالأولى تقوى فرض يُلزِم فعلها عذاب النار، والثانية تقوى خير وأدب يُلزِم فعلها الحبس والحساب والتعيير واللوم.

فمن أتى الأولى؛ فهو في الدرجة الدنيا من التقوى وهي منزلة مستقيمي الطاعة، ومن أتى بالأخرى؛ فهو في الدرجة العليا من التقوى، وتلك منزلة مستقيمي ترك المباح، فإذا جمع العبد بينهما، يعني اجتناب كل معصية وفضول؛ فقد استكمل معنى التقوى، وقام بحقها، وجمع كل خير فيها وهذا هو الورع الكامل الذي هو ملاك أمر الدين، وذلك منزلة الأدب على باب الله تعالى (١).

منازل التقوى :

منازل التقوى ثلاثة :

١) تقوى عن الشرك وهي منزلة الإيمان.

٢) تقوى عن البدعة، وهي منزلة السنة.

(١) منهاج العابدين (٢٨).

٣) تقوى عن المعاصي الفرعية وهي منزلة استقامة الطاعة.

وقد ذكرها الله تعالى في آية واحدة: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا﴾ [المائدة: ٩٣].

الأمور التي تصاحبها التقوى :

ويدخل في التقوى الكاملة فعل الواجبات، وترك المحرمات والشبهات، وربما دخل فيها بعد ذلك فعل المندوبات، وترك المكروهات، وهي أعلى درجات التقوى، قال الله تعالى: ﴿الم ۞ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ۞ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۞ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة ١-٤].

وقال الله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة ١٧٧].

وقد يغلب استعمال التقوى على اجتناب المحرمات كما قال أبو هريرة لمّا سئل عن التقوى، فقال: هل أخذت طريقًا ذا شوك؟ قال: نعم، قال: فكيف صنعت ؟

قال: (إذا رأيت الشوك عدلت عنه، أو جاوزته، أو قصرت عنه، قال: ذاك التقوى).

وأخذ هذا المعنى ابن المعتز فقال :

خلِّ الذنوب صغيرها ... وكبيرها فهو التقى

واصنع كماشٍ فوق أر ... ضِ الشوك يحذرُ ما يرى

لا تحقرنَّ صغيرةً ... إنَّ الجبال من الحصى

من أقوال الصالحين فيها :

قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: (ينادى يوم القيامة: أين المتقون؟ فيقومون في كنف من الرحمن لا يحتجب منهم ولا يستتر، قالوا له: من المتقون؟ قال: قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان، وأخلصوا لله بالعبادة).

وقال ابن عباس: (المتقون الذين يحذرون من الله تعالى عقوبته في ترك ما يعرفون من الهدى، ويرجون رحمته في التصديق بما جاء به).

وقال الحسن: (المتقون اتقوا ما حرم الله تعالى عليهم، وأدوا ما افترض الله تعالى عليهم). وقال عمر بن عبد العزيز: (ليس تقوى الله تعالى بصيام النهار، ولا بقيام الليل، والتخليط فيما بين ذلك، ولكن تقوى الله تعالى ترك ما حرم الله تعالى، وأداء ما افترض الله تعالى، فمن رزق بعد ذلك خيرًا، فهو خير إلى خير).

عن عاصم الأحول، عن بكر المزني — رحمه الله تعالى – قال:

(لما كانت فتنة ابن الأشعث، قال طلق بن حبيب: اتقوها بالتقوى، فقيل له: صِفْ لنا التقوى ؟

فقال: العمل بطاعة الله تعالى، على نور من الله تعالى، رجاء ثواب الله تعالى، وترك معاصي الله تعالى على نور من الله تعالى، مخافة عذاب الله).

قال الذهبي – رحمه الله تعالى-: قلت: (أبدع وأوجز، فلا تقوى إلا بعمل، ولا عمل إلا بترو من العلم والاتباع، ولا ينفع ذلك إلا بالإخلاص لله، لا ليقال: فلان تارك للمعاصي بنور الفقه، إذ المعاصي يفتقر اجتنابها إلى معرفتها، ويكون الترك خوفا من الله تعالى، لا ليمدح بتركها، فمن داوم على هذه الوصية فقد فاز). [١]

وعن أبي الدرداء قال: (تمام التقوى أنْ يتقي الله تعالى العبد حتى يتقيه من مثقال ذرة وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أنْ يكون حرامًا يكون حجابًا بينه وبين

(١) سير أعلام النبلاء: ٤/٦٠١، وحلية الأولياء: ٣/٦٤.

الحرام، فإنّ الله تعالى قد بين للعباد الذي يصيرهم إليه فقال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[الزلزلة ٧-٨] فلا تحقرن شيئًا من الخير أنْ تفعله، ولا شيئا من الشر أنْ تتقيه).

وقال الحسن: (ما زالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيرًا من الحلال مخافة الحرام).

وقال الثوري: (إنما سموا متقين، لأنهم اتقوا ما لا يُتقى).

وقال موسى بن أعين: (المتقون تنـزهوا عن أشياء من الحلال مخافة أنْ يقعوا في الحرام، فسماهم الله تعالى متقين).

وقال ميمون بن مهران: (المتقي أشد محاسبةً لنفسه من الشريك الشحيح لشريكه).

معينات على التقوى:

١) **أنْ يستحيي من الله تعالى** كما يستحي من رجل ذي هيبة من قومه، ومعنى ذلك أنْ يستشعر دائما بقلبه قرب الله تعالى منه وإطلاعه عليه، فيستحيي من نظره إليه.

ومن صار له هذا المقام حالاً دائمًا أو غالبًا، فهو من المحسنين الذين يعبدون الله تعالى كأنهم يرونه، ومن المحسنين الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم.

٢) و لما كان العبد مأمورًا بالتقوى في السر والعلانية، مع أنّه لا بد أنْ يقع منه أحيانًا تفريط في التقوى إما بترك بعض المأمورات، أو بارتكاب بعض المحظورات، فأمره **أنْ يفعل ما يمحو به هذه السيئة وهو أن يتبعها بالحسنة**، قال الله ﷻ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ الَّيْلِ ۚ إِنَّ الْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود ١١٤].

وقد وصف الله تعالى المتقين في كتابه بمثل ما وصى به النبي ﷺ في هذه الوصية في قوله عز وجل: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَٰوَٰتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّآءِ وَالضَّرَّآءِ وَالْكَٰظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۝ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟

فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران ١٣٣-١٣٦].

فوصف المتقين بمعاملة الخلق والإحسان إليهم بالإنفاق، وكظم الغيظ، والعفو عنهم، فجمع بين وصفهم ببذل الندى، واحتمال الأذى، وهذا هو غاية حسن الخلق، ثم وصفهم بأنهم إذا فعلوا فاحشةً أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله تعالى فاستغفروا لذنوبهم، و لم يصروا عليها، فدل على أن المتقين قد يقع منهم أحيانًا كبائر وهي الفواحش، وصغائر وهي ظلم النفس، لكنهم لا يصرون عليها بل يذكرون الله تعالى عقب وقوعها، ويستغفرونه ويتوبون إليه منها.

نماذج من الورع والتقوى:

عن الحسن بن عرفة قال: (قال لي ابن المبارك: استعرت قلمًا بأرض الشام، فذهب علي أن أرده إلى صاحبه، فلما قدمت مرو ونظرت فإذا هو معي، فرجعت يا أبا علي الحسن بن عرفة إلى أرض الشام حتى رددته على صاحبه) (١).

وهذه صورة أخرى في التقوى والورع والزهد حصلت مع المحدث الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي الحنبلي، المتوفى ٦٨٨هـ: قال الذهبي: (كان إمامًا فقيهًا محدثًا زاهدًا عابدًا، كثير الخير، له قدم راسخ في التقوى، ووقع في النفوس، من سادات الشيوخ علمًا وعملاً وصلاحًا وعبادة، حكى لي عنه أنه كان يحفر مكانًا في جبل الصالحية لبعض شأنه، فوجد جرةً مملوءةً دنانيرَ، وكانت زوجته معه تعينه على الحفر، فاسترجع وطم المكان كما كان أولاً، وقال لزوجته: هذه فتنة، ولعل لها مستحقين لا نعرفهم، وعاهدها على أنها لا تشعر بذلك أحدًا، ولا تتعرض إليه، وكانت صالحةً مثله، فتركا ذلك تورعًا مع فقرهما وحاجتهما، وهذا غاية الورع

(١) تاريخ بغداد (١٠/١٦٧).

والزهد)[١].

من اتقى الله تعالى جعل له مخرجًا :

عن الشعبي – رحمه الله تعالى –: أنّ زيادًا يعني ابن أبيه كتب إلى الحكم بن عمرو الغفاري ﷺ وكان على الصائفة.

(إنّ أمير المؤمنين – معاوية–،كتب إليّ يأمرني أنْ أصطفي له الصفراء والبيضاء، فلا تقسم بين الناس ذهبًا ولا فضة، واقسم ما سوى ذلك.

فكتب إليه الحكم :

(إني وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين، والله لو أن السماوات والأرض كانتا رتقًا على عبد، فاتقى الله، لجعل له منهما مخرجًا).

ثم نادى في الناس، وقسم فيهم ما اجتمع له من الفيء). [٢]

إنْ تتق الله تعالى يعصمك من يزيد :

جاء في ترجمة الإمام الرباني القدوة سيد التابعين الحسن بن أبي الحسن البصري –رحمه الله تعالى– ما نصه :

(عن علقمة بن مرثد قال :

لما ولي عمر بن هبيرة العراق، أرسل إلى الحسن وإلى الشعبي فأمر لهما ببيت، وكانا فيه شهرًا أو نحوه.... إلى أنْ قال الحسن البصري له .... أقول يا عمر بن هبيرة ! يوشك أنْ ينزل بك ملك من ملائكة الله، فظ غليظ لا يعصي الله تعالى ما أمره، فيخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك).

يا عمر بن هبيرة ! إنْ تتق الله يعصمك من يزيد بن عبد الملك، ولن يعصمك يزيد بن عبد الملك من الله.

يا عمر بن هبيرة ! لا تأمن أنْ ينظر الله تعالى إليك على أقبح ما تعمل في طاعة يزيد بن عبد الملك نظرة مقت فيغلق بها باب المغفرة دونك.

(١) شذرات الذهب (٣/٤٠٦).
(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه : ١/٥٨

يا عمر بن هبيرة ! لقد أدركت ناسًا من صدر هذه الأمة كانوا والله عن الدنيا وهي مقبلة، أشد إدبارًا من إقبالكم عليها وهي مدبرة.

يا عمر بن هبيرة ! إني أخوفك مقامًا خوفك الله تعالى منه، فقال: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم :١٤].

يا عمر بن هبيرة ! إن تك مع الله تعالى في طاعته، كفاك بائقة يزيد بن عبد الملك، وإنْ تك مع يزيد بن عبد الملك على معاصي الله تعالى، وكلك الله تعالى إليه.

قال: فبكى عمر بن هبيرة، وقام بعبرته.). [١]

ومن ذلك قصة المكاري التي ذكرها الحافظ بن كثير –رحمه الله تعالى– في تفسيره عند قوله تعالى في سورة النمل: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢][٢].

ومن ذلك ما حدث مع الإمام الشافعي :

قال الفضل بن الرَّبيع حاجب هارون الرَّشيد أمير المؤمنين – رحمه الله تعالى – قال: دخلتُ على هارون الرَّشيد، فإذا بين يديه ضُبارة سيوف، وأنواع من العذاب.

فقال لي: يا فضلُ. فقلتُ: لبَّيك، يا أمير المؤمنين.

قال: عليَّ بهذا الحجازيِّ –يعني الشافعيَّ – رحمه الله تعالى –

فقلت: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، ذهب هذا الرجل.

قال: فأتيت الشافعيَّ، فقلت له: أجب أميرَ المؤمنين.

فقال: أُصلِّي ركعتين. فقلت: صلِّ.

فصلَّى، ثمَّ ركب بغلةً كانت له، فسرنا معاً إلى دار الرَّشيد، فلمَّا دخلنا الدِّهْليز الأوَّل حرَّك الشافعيُّ شفتيه، فلمَّا دخلنا الدِّهْليزَ الثاني حرَّك شفتيه فلمَّا وصلنا بحضرة الرَّشيد قام إليه أمير المؤمنين كالمشرئبِّ له، فأجلسه موضعه، وقعد بين يديه يعتذر إليه، وخاصَّةُ أمير المؤمنين قيام ينظرون إلى ما أعدَّ له من أنواع العذاب، فإذا هو جالس بين يديه، فتحدثوا طويلاً، ثم أذن له بالانصراف.

(١) تهذيب الكمال :٦/١١٣-١١٤، وحلية الأولياء :٢/١٤٩-١٥٠.
(٢) تفسير ابن كثير :٣/٣٧١.

فقال لي: يا فضلُ.قلت: لبّيك، يا أمير المؤمنين.

فقال: احمل بين يديه بَدْرةً. فحملت: فلما صرنا إلى الدهليز الأول لخروجه، قلت: سألتك بالذي صيَّر غضبه عليك رضاً إلا ما عرفتني ما قلت في وجه أمير المؤمنين حتى رضيَ. فقال لي: يا فضلُ.

فقلت: لبَّيك، أيُّها السيِّد الفقيه. قال: خُذ منِّي، واحفظ عنِّي. قلت:

شهد الله تعالى أنّه لا إله إلا هو، اللّهمَّ إنّي أعوذ بنور قدسك، وببركة طهارتك، وبعظمة جلالك من كلِّ عاهة، وآفة، وطارق الجنِّ والإنس، إلا طارقاً يطرقني بخير.

يا أرحم الراحمين، اللّهمَّ بكَ ملاذي فبكَ ألوذ، وبك غياثي فبك أغوث يا من ذلّت له رقابُ الفراعنة، وخضعت له مقاليدُ الجبابرة.

اللّهمَّ ذكرك شعاري، ودثاري، ونومي، وقراري.

أشهد أن لا إله إلا أنت، اضرب عليَّ سُرادقات حفظك، وقِني رُعبي بخير منك يا رحمن.

قال الفضل: فكتبتها، وجعلتها في بركة قِباي، وكان الرشيد كثير الغضب عليَّ، وكان كلما همَّ أنْ يغضب أحرِّكها في وجهه فيرضى، فهذا ممّا أدركت من بركة الشافعي).[1].

آثار التقوى وبشائرها :

(البشرى بالكرامات، والعون والنصر، والعلم والحكمة، البشرى بكفارة الذنوب، وتعظيم المتقي بتعظيم أجره، والبشرى بالمغفرة، واليسر والسهولة في الأمر، والخروج من الغم والهم، و الرزق الواسع بالأمن والفراغ، والنجاة من العذاب والعقوبة،والفوز بالمراد، والتوفيق والعصمة، والشهادة لهم بالصدق، وبشارة الكرامة والأكرمية، وبشارة بالمحبة من الله تعالى، والفلاح، ونيل الوصال والقربة، ونيل الجزاء بالمحنة، وقبول الصدقة، والصفاء والصفوة، وكمال العبودية، والجنات والعيون، والأمن من البلية، وزوال الخوف والحزن من العقوبة، والأزواج الموافقة، وقرب الحضرة واللقاء والرؤية) [2].

(١) طبقات الشافعية للسبكي :٢/١٥٢-١٥٣

(٢) انظر بصائر ذوي التمييز للفيروز أبادي (٣٠١-٣٠٣)، لمرفة أدلة هذه البشريات.

❖ من متممات التقوى حسن الخلق :

تعريف حسن الخلق :

قد جاء عن السلف تفسير حسن الخلق :

فعن الحسن -رحمه الله- قال: (حسن الخلق: الكرم، والبذل، والاحتمال).

وعن الشعبي -رحمه الله- قال: (حسن الخلق: البذل والعطية، والبشر الحسن). وكان الشعبي كذلك.

وعن ابن المبارك -رحمه الله- قال: (هو بسط الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى).

وسئل سلام بن أبي مطيع عن حسن الخلق فأنشد شعرًا فقال :

تـراه إذا مـا جئـته مـتهللاً ... كأنـك تعـطـيه الذي أنت سـائله

ولـو لم يكـن في كـفه غير روحـه ... لجـاد بهـا فليـتق الله سـائله

هـو البحـر مـن أي النواحـي أتيته ... فلجـته المعـروف والجـود سـاحله

وقال الإمام أحمد - رحمه الله-: (حسن الخلق أنْ لا تغضب ولا تحقد).

وعنه أنه قال: حسن الخلق أنْ تحتمل ما يكون من الناس.

وقال إسحاق بن راهويه - رحمه الله -: (هو بسط الوجه، وأنْ لا تغضب ونحو ذلك).

قال محمد بن نصر: (حسن الخلق: كظم الغيظ لله، وإظهار الطلاقة والبشر إلا للمبتدع والفاجر، والعفو عن الزالين إلا تأديبا، وكف الأذى عن كل مسلم ومعاهد إلا تغيير منكر وأخذاً بمظلمة لمظلوم من غير تعدٍّ).

أهمية الخلق الحسن ومكانته :

هو من خصال التقوى، ولا تتم التقوى إلا به، فإنَّ كثيرًا من الناس يظن أنَّ التقوى: هي القيام بحق الله تعالى، دون حقوق عباده، فجاء تعليم النبي لنا بالأمر بإحسان العشرة للناس، بقوله: (اتَّقِ اللَّهِ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ

النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ)[١]، وذلك حين أرسل معاذًا ﷺ إلى اليمن معلمًا لهم، ومفقهًا وقاضيًا، ومن كان كذلك فإنه يحتاج إلى مخالقة الناس بخلق حسن، ما لا يحتاج إليه غيره مما لا حاجة للناس به، ولا يخالطهم، وكثيرًا ما يغلب على من يعتني بالقيام بحقوق الله تعالى، والانعكاف على محبته وخشيته وطاعته، إهمال حقوق العباد بالكلية أو التقصير فيها، والجمع بين القيام بحقوق الله تعالى، وحقوق عباده عزيز جدًا لا يقوى عليه إلا الكمل من الأنبياء والصديقين.

وقد عد الله تعالى في كتابه مخالقة الناس بخلق حسن من خصال التقوى، حين قال سبحانه وتعالى في شأن من يدخلون الجنة بأنها ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران ١٣٣-١٣٤].

وقال الحارث المحاسبي –رحمه الله–: ثلاثة أشياء عزيزة أو معدومة، حسن الوجه مع الصيانة، وحسن الخلق مع الديانة، وحسن الإخاء مع الأمانة.

أكمل خصال الإيمان حسن الخلق:

وقد جعل النبي ﷺ حسن الخلق من أكمل أخلاق الإيمان كما جاء من حديث أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا). [٢]

من حديث أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ ﷺ قَالَ: قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا خَيْرُ مَا أُعْطِيَ الْعَبْدُ؟ قَالَ: (خُلُقٌ حَسَنٌ). [٣]

خير الناس أحسنهم أخلاقًا:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو –رضي الله عنهما– حِينَ قَدِمَ مُعَاوِيَةُ –رضي الله عنهما– إِلَى الْكُوفَةِ ،فَذَكَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ:

(١) أخرجه أحمد :١٥٣/٥، والترمذي برقم:١٩٨٧ والحديث حسن
(٢) أخرجه الترمذي برقم:١١٦٢، وأبو داود برقم:٤٦٨٢، وأحمد :٢٥٠، ٤٧٢/٢، وصححه ابن حبان برقم:٤٧٩، ٤١٧٦والحاكم :٣/١ وهو حسن
(٣) أخرجه أحمد :٢٧٨/٤، وابن ماجة برقم: ٣٤٣٦وابن حبان برقم: ٤٨٦ ،٤٧٨ وهو حسن.

(لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا، وَلا مُتَفَحِّشًا، وَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاقًا). [١]

صاحب الخلق الحسن أفضل من الصائم القائم:

وأخبر النبي ﷺ أنَّ صاحب الخلق الحسن يبلغ بخلقه درجة الصائم القائم، لئلا يشتغل المريد للتقوى عن حسن الخلق بالصوم والصلاة، ويظن أنَّ ذلك يقطعه عن فضلهما.

فقد جاء من حديث عَائِشَةَ –رضي الله عنهما– قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ). [٢]

أثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة:

وأخبر النبي ﷺ أنَّ حسن الخلق أثقل ما يوضع في الميزان، وأنَّ صاحبه أحب الناس إلى الله، وأقربهم من النبيين مجلسًا.

فقد جاء من حديث أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: (مَا مِنْ شَيْءٍ يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ، وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الْخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلاةِ)[٣].

أقربُ الناس منزلاً من النبي يوم القيامة:

فقد جاء من حديث جَابِرٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاقًا). [٤]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي مَجْلِسٍ: (أَلا أُحَدِّثُكُمْ بِأَحَبِّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ ثَلاثَ مَرَّاتٍ يَقُولُهَا، قَالَ: قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَقَالَ: (أَحْسَنُكُمْ أَخْلاقًا). [٥]

(١) أخرجه البخاري برقم:٣٥٥٩، ومسلم برقم:٢٣٢١، والترمذي برقم:١٩٧٥.
(٢) أخرجه أبو داود برقم:٤٧٩٨، وأحمد: ٩٤/٦، وابن حبان برقم: ٤٨٠ والحاكم :٦٠/١ وهو حسن
(٣) أخرجه أبو داود برقم :٤٧٩٩، والترمذي برقم:٢٠٠٢، وأحمد :٤٤٢/٦، ٤٤٦، ابن حبان برقم:٤٨١ والحديث صحيح
(٤) أخرجه الترمذي برقم:٢١٠٨ وهو حسن
(٥) أخرجه أحمد :٢١٧/٢-٢١٨ ،و ابن حبان برقم: ٤٨٥ وهو حسن

أكثر ما يُدخل الناسَ الجَنةَ حسنُ الخلق:

وقد أخبر النبي أنّ أكثر ما يُدخل الناسَ الجنةَ حسن الخلق، فقد جاء عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّه ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ ؟ فَقَالَ: **تَقْوَى اللَّهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ**، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: **الْفَمُ وَالْفَرْجُ**. (١)

بل إنّ صاحب الخلق الحسن في أعلي درجات الجنة، فقد جاء عن أبي أُمَامَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: **(أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ)**. (٢)

ميادين حسن الخلق:

وأجمل ما يعبر عن ميدان حسن الخلق ما جاء عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سِمْعَانَ الأَنْصَارِيِّ ﷺ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ عَنْ الْبِرِّ وَالإِثْمِ، فَقَالَ: **(الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ)**. (٣)

فإذا قُرِنَ البرُّ بالتقوى كما في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾[المائدة:٢] فقد يكون المراد بالبر معاملة الخلق بالإحسان، وبالتقوى معاملة الحق بفعل طاعته واجتناب محرماته.

فالبرُّ: يُدخل فيه جميع الطاعات الباطنة: كالإيمان بالله تعالى، وملائكته، وكتبه، ورسله، والطاعات الظاهرة :كإنفاق الأموال فيما يحبه الله تعالى، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والوفاء بالعهد، والصبر على الأقدار كالمرض والفقر، وعلى الطاعات كالصبر على لقاء العدو.

---

(١) أخرجه الترمذي برقم: ٢٠٠٤، وابن ماجة برقم :٤٢٤٦وابن حبان برقم:٤٧٦، والبخاري في الأدب المفرد برقم: ٢٨٩، ٢٩، وأحمد: ٣٩٢/٢ وصححه الترمذي وهو حسن.

(٢) أخرجه أبو داود برقم: ٤٨٠، والترمذي برقم:١٩٩٣، وابن ماجة برقم: ٥١ وهو صحيح.

(٣) أخرجه مسلم برقم:٢٥٥٣، والترمذي برقم:٢٣٨٩، وأحمد: ١٨٢/٤.

فبذلك يكون قول النبي ﷺ: **(الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ)** شاملاً لهذه الخصال كلها، لأنّ حسن الخلق :قد يراد به التخلق بأخلاق الشريعة، والتأدب بآداب الله تعالى التي أدب بها عباده في كتابه، حين قال لرسوله ﷺ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤]

وقالت عائشة رضي الله عنها: **كان خلقه ﷺ القرآن**. (١)

يعني أنّه يتأدب بآدابه، فيفعل أوامره، ويتجنب نواهيه، فصار العمل بالقرآن له خلقًا، كالجبلة والطبيعة لا يفارقه، وهذا من أحسن الأخلاق وأشرفها وأجملها.

ومن أحسن الكلام الذي نقل عن بعض السلف - رحمهم الله-: **(إنّ الدّينَ كُلّه خُلقٌ)**.

أفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة:

جاء من حديث عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ قَالَ: لَقِيتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ فَابْتَدَأْتُهُ، فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِفَوَاضِلِ الأَعْمَالِ ؟ فَقَالَ: **يَا عُقْبَةُ، صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَأَعْرِضْ عَمَّنْ ظَلَمَكَ**.

❖ وفي رواية: يا عقبة: **ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة ؟ تَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ، وتعفو عَمَّنْ ظَلَمَكَ**. (٢)

---

(١) أخرجه مسلم برقم:٧٤٦، وأبو داود برقم:١٣٤٢، وابن حبان برقم:٢٥٥١

(٢) أخرجه الحاكم :١٦١/٤-١٦٢، وأحمد :١٤٨/٤، ١٥٨، وذكره الهيثمي في المجمع :١٨٨/٨ بقوله :رواه أحمد والطبراني وأحد إسنادي أحمد رجاله ثقات، والحديث حسن.

محبة النبي ﷺ

أولاً. حقيقة محبة النبي ومعناها:

إن مفهوم المحبة في اللغة هو :صفاء المودة وميل القلب.

ومعنى محبة الرسول: أنْ يميل قلب المسلم إلى رسول الله ﷺ بحيث يؤثره على كل محبوبٍ من نفسٍ ومالٍ وولدٍ والناس أجمعين.

وهذه المحبة لرسول الله تربط المسلم به وتجعل قلبه وهمه وإرادته متوجهة لتحصيل ما يحبه الله تعالى ورسوله من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

ولهذا اختلفت عبارات العلماء في بيان حقيقة محبة النبي ﷺ وتفسيرها:

فقال بعضهم: محبته اتباعه.

وقال بعضهم: محبة الرسول اعتقاد نصرته، والذب عن سنته، والانقياد لها وهيبة مخالفته.

وقال بعضهم: المحبة دوام الذكر للمحبوب.

وقال آخر: المحبة إيثار المحبوب.

وقيل: المحبة الشوق إلى المحبوب.

قال القاضي عياض: (أكثر العبارات المتقدمة إشارة إلى ثمرات المحبة دون حقيقتها، وحقيقة المحبة: الميل إلى ما يوافق الإنسان).(١)

وهذه الموافقة إما أنْ تكون للاستلذاذ بإدراكه، كحب الصور الجميلة، وإما أنْ تكون للاستلذاذ العقلي، كحب الصالحين والعلماء، وإما أنْ تكون من جهة الإحسان والإنعام، وقد اجتمعت هذه الأسباب الموجبة للمحبة كلها في حقه ﷺ.

فقد اجتمع فيه جمالُ الصورة والظاهر، وكمال الأخلاق والباطن، وتمام الإحسان والإنعام، ما لم يحصل لبشر قبله، ولن يكون لبشر بعده، فاستوجب المحبة الحقيقية شرعًا وعادةً وجبلةً.(٢)

---

(١) الشفا (٢/٢٩).
(٢) الشفا (٢/٢٩ ــ ٣١)

ثانيًا. فضل محبة النبي وثمراتها:

❖ مرافقة النبي ﷺ في الآخرة :

- ومن الأدلة على ذلك ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].
- وقد جاء عن عائشة – رضي الله عنها- قالت: جاء رجل إلى النبي فقال: يا رسول الله، إنك لأحبُّ إليَّ من نفسي، وأحبُّ إليَّ من أهلي، وأحبُّ إليَّ من ولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك، وإذا ذكرتُ موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلتَ الجنة رُفعت مع النبيين، وإن دخلتُ الجنة خشيت أن لا أراك، فلم يردَّ عليه النبيُّ ﷺ حتى نزلت عليه ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ الآية.(١)
- وعَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ رَجُلا سَأَلَ النَّبِيَّ عَنْ السَّاعَة فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟ قَالَ: لا شَيْءَ إِلاَّ أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. فَقَالَ: أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ. قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ، قَالَ أَنَسٌ: فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ.(٢)

قال الحافظ ابن حجر: (قوله: (إنك مع من أحببت) أي: ملحق بهم حتى تكون من زمرتهم، وبهذا يندفع إيرادُ أن منازلهم متفاوتة فكيف تصحّ المعيّة؟! فيقال: إن المعية تحصل بمجرد الاجتماع في شيء ما، ولا تلزم في جميع الأشياء، فإذا اتفق أنّ الجميع دخلوا

---

(١) عزاه ابن كثير في التفسير (٢/ ٣١٠ ــ ٣١١) إلى ابن مردويه في تفسيره، والحافظ أبي عبد الله المقدسي في صفة الجنة، ونقل عنه أنه قال: (لا أرى بإسناده بأسًا). وقد أخرج نحوه الطبري في تفسيره (٨/٥٣٤ ــ ٥٣٥) مرسلاً عن سعيد بن جبير ومسروق وقتادة والسدي والربيع بن أنس، قال ابن كثير (٢/٣١٠) عن مرسل الربيع: (هو من أحسنها سندًا).
(٢) أخرجه البخاري في المناقب (٣٦٨٨)، ومسلم في البر والصلة (٢٦٣٩)، والترمذي في الزهد (٢٣٨٥)، وأبو داود في الأدب (٥١٢٧).

الجنة صدقت المعية وإنْ تفاوتت الدرجات).[1]

وقال النووي: (فيه فضل حب الله تعالى ورسوله والصالحين وأهل الخير، الأحياء والأموات، ومن فضل محبة الله تعالى ورسوله امتثال أمرهما واجتناب نهيهما، والتأدب بالآداب الشرعية، ولا يشترط في الانتفاع بمحبة الصالحين أنْ يعمل عملهم؛ إذ لو عمله لكان منهم ومثلهم).[2]

وقال الحسن البصري -رحمه الله-: (أنه من أحب قوما اتبع آثارهم ،ولن تلحق بالأبرار حتى تأخذ بهديهم وتقتدي بسنتهم وتأخذ طريقهم وإن كنت مقصرا في العمل فإنما ملاك الأمر أنْ تكون على استقامة).[3]

- وعَنْ عَبْدُ اللَّه بْنُ مَسْعُود ﵁ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُول اللَّه ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه كَيْفَ تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ ؟، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ.[4]

قال المباركفوري: (يعني من أحب قومًا بالإخلاص يكون من زمرتهم وإنْ لم يعمل عملهم لثبوت التقارب بين قلوبهم، وربما تؤدي تلك المحبة إلى موافقتهم).[5]

- عَنْ أَبِي ذَرٍّ أَنَّهُ قَالَ: (يَا رَسُولَ اللَّه الرَّجُلُ يُحِبُّ الْقَوْمَ وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْمَلَ كَعَمَلِهِمْ؟ قَالَ: أَنْتَ يَا أَبَا ذَرٍّ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ، قَالَ: فَإِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ؟ قَالَ: فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ، قَالَ: فَأَعَادَهَا أَبُو ذَرٍّ، فَأَعَادَهَا رَسُولُ اللَّه).[6]

قال ابن تيمية: (هذا الحديث حق، فإنَّ كَوْنَ المحب مع المحبوب أمر فطري، لا يكون غير ذلك، وكونه معه هو على محبته إياه، فإنْ كانت المحبة متوسطة أو قريبة من ذلك كان معه بحسب ذلك، وإنْ كانت المحبة كاملة كان معه كذلك، والمحبة الكاملة تجب معها الموافقة للمحبوب في محابه إذا كان المحب قادرًا عليها، فحيث تخلفت الموافقة مع القدرة يكون قد نقص من المحبة بقدر ذلك، وإنْ كانت موجودة، وحبُّ الشيء وإرادته

(١) فتح الباري (١٠/٥٥٥)
(٢) شرح صحيح مسلم (١٦/١٨٦).
(٣) استنشاق نسيم الأنس لابن رجب :ص٨٧
(٤) أخرجه البخاري (٦١٦٩، ٦١٧٠)، ومسلم (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن مسعود ومن حديث أبي موسى، وأخرجه أحمد (١٧٦٢٥)، والترمذي (٢٣٨٧) من حديث صفوان بن عسال، وقال الترمذي: (حسن صحيح)، وصححه ابن خزيمة.
(٥) تحفة الأحوذي (٧/٥٣).
(٦) أخرجه أحمد (٢٠٨٧١، ٢٠٩٥٢)، وأبو داود في الأدب (٥١٢٦)، والدارمي في الرقاق (٢٧٨٧).

يستلزم بغض ضده وكراهته مع العلم بالتضاد، ولهذا قال الله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]، والموادة من أعمال القلوب؛ فإنَّ الإيمان بالله تعالى يستلزم مودته ومودة رسوله، وذلك يناقض موادة من حاد الله تعالى ورسوله).[1]

❖ الشعور بحلاوة الإيمان ولذة الطاعة :

فقد جاء عَنْ أَنَس بْن مَالك ﵁ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ، أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلَّه، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ).[2]

قال النووي: (هذا حديث عظيم، أصل من أصول الإسلام، قال العلماء -رحمهم الله-: معنى حلاوة الإيمان استلذاذ الطاعات وتحمل المشقات في رضا الله ﷻ ورسوله ﷺ، وإيثار ذلك على عرض الدنيا، ومحبة العبد ربه تحصل بفعل طاعته، وترك مخالفته، وكذلك محبة الرسول ﷺ).[3]

وقال ابن تيمية: (أنْ يكون الله تعالى ورسوله أحب إليه مما سواهما) وهذا من أصول الإيمان المفروضة، التي لا يكون العبد مومنًا بدونها).[4]

وقال ابن أبي جمرة: (إنما عبّر بالحلاوة لأن الله تعالى شبه الإيمان بالشجرة في قوله تعالى: ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ [إبراهيم:٢٤]، فالكلمة هي كلمة الإخلاص، والشجرة أصل الإيمان، وأغصانها اتباع الأمر واجتناب النهي، وورقها ما يهتم به المؤمن من الخير، وثمرها عمل الطاعات، وحلاوة الثمر جني الثمرة، وغاية كماله تناهي نضج الثمرة وبه تظهر حلاوتها).[5]

وقال البيضاوي: (وإنما جعل هذه الأمور الثلاثة عنوانًا لكمال الإيمان؛ لأنَّ المرء إذا

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٧٥٢ - ٧٥٣)
(٢) أخرجه البخاري في الإيمان (١٦، ٢١)، ومسلم في الإيمان (٤٣)، والترمذي في الإيمان (٢٦٢٤)، والنسائي في الإيمان وشرائعه (٤٩٨٧، ٤٩٨٨، ٤٩٨٩)، وابن ماجه في الفتن (٤٠٣٣).
(٣) شرح صحيح مسلم (١/١٣).
(٤) مجموع الفتاوى (١٠/ ٧٥١).
(٥) فتح الباري (١/٦٠).

تأمل أنّ المنعم بالذات هو الله تعالى، وأنّ لا مانح ولا مانع في الحقيقة سواه، وأنّ ما عداه وسائط، وأنّ الرسول هو الذي يبين له مراد ربه، اقتضى ذلك أنْ يتوجه بكليته نحوه، فلا يحب إلا ما يحب، ولا يحب من يحب إلا من أجله، وأنْ يتيقن أنّ جملة ما وعد وأوعد حق يقينًا، ويخيل إليه الموعود كالواقع، فيحسب أنّ مجالس الذكر رياض الجنة، وأنّ العود إلى الكفر إلقاء في النار). (١)

وقال القاضي عياض: (وهذه المعاني كلها موجودة في النبي ﷺ، لما جمع من جمال الظاهر والباطن، وكمال خلال الجلال، وأنواع الفضائل، وإحسانه إلى جميع المسلمين بهدايته إياهم إلى الصراط المستقيم، ودوام النعم والإبعاد عن الجحيم). (٢)

ثالثًا. لزوم محبة النبي ﷺ ووجوبها:

إنّ محبته أصل من أصول الإيمان، وواجب من الواجبات الشرعية، كما أنّ بغضه ناقض من نواقض الإيمان الاعتقادية، وتتفاوت درجة الشعور بهذا الحب تبعا لقوة الإيمان وضعفه.

قال ابن قدامة المقدسي: (واعلم أنّ الأمة مجمعة على أنّ الحب لله ولرسوله فرض). (٣)

وقال ابن تيمية: (محبة الله تعالى بل محبة الله ورسوله ﷺ من أعظم واجبات الإيمان وأكبر أصوله، وأجل قواعده، بل هي أصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين). (٤)

قال الشاعر :

حبُّ النبي رسول الله مفترض ... وحب أصحابه نور ببرهان
من كان يعلم أنّ الله خالقُه ... لا يرمينّ أبا بكر ببهتان
ولا أبا حفص الفاروق صاحبه ... ولا الخليفة عثمان بن عفان
أما عليٌّ فمشهور فضائله ... والبيت لا يستوي إلا بأركان(٥)

والأدلة على ذلك كثيرة منها :

(١) فتح الباري (١/ ٦١).
(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (٢/ ١٤).
(٣) مختصر منهاج القاصدين (ص٣٣٨).
(٤) التحفة العراقية (ص٥٧).
(٥) جامع البيان (١٣/ ١٤٧).

١) قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

قال القرطبي: (في الآية دليل على وجوب حب الله تعالى ورسوله، ولا خلاف في ذلك بين الأمة، وأنّ ذلك مقدم على كل محبوب). (١)

وقال ابن تيمية: (لم يرض منهم أنْ يكون حبهم لله ورسوله كحب الأهل والمال وأن يكون حب الجهاد في سبيله كحب الأهل والمال، بل حتى يكون الجهاد في سبيله الذي هو تمام حبه وحب رسوله أحبَّ إليهم من الأهل والمال، فهذا يقتضي أنْ يكون حبهم لله ورسوله مقدمًا على كل محبة، ليس عندهم شيء يحبونه كحب الله تعالى، بخلاف المشركين، ويقتضي الأصل الثاني وهو أنْ يكون الجهاد في سبيله أحب إليهم من الأهل والمال، فإنّ ذلك هو تمام الإيمان الذي ثوابه حب الله تعالى ورسوله). (٢)

وقال أيضًا: (فانظر إلى هذا الوعيد الشديد الذي قد توعّد الله تعالى به من كان أهلُه وماله أحبَّ إليه من الله تعالى ورسوله وجهاد في سبيله، فعلم أنه يجب أنْ يكون الله تعالى ورسوله والجهاد في سبيله أحبَّ إلى المؤمن من الأهل والمال والمساكن والمتاجر والأصحاب والإخوان، وإلا لم يكن مؤمنًا حقًا). (٣)

قال القاضي عياض مفسرًا هذه الآية: (كفى بها حضًا وتنبيهًا ودلالة وحجة على إلزام محبته، ووجوب فرضها، وعظم خطرها، واستحقاقه لها ﷺ، إذ قرّع تعالى من كان ماله وأهله وولده أحبَّ إليه من الله تعالى ورسوله). (٤)

٢) وقال تعالى: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦].

قال سهل: من لم يرَ ولايةَ الرسول عليه في جميع الأحوال وير نفسَه في ملكه لا

(١) الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٩٥).
(٢) الاستقامة (١/ ٢٦٣ ــ ٢٦٤)
(٣) مجموع الفتاوى (١٠/ ٧٥٠ ــ ٧٥١).
(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ١٨).

يذوق حلاوة سنته لأنّ النبي ﷺ قال: (**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه**) الحديث. (١)

قال ابن تيمية: (والله سبحانه وتعالى أمرنا أن نطيع رسوله ﷺ فقال الله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾، وأمرنا أنْ نتبعه فقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾، وأمرنا أنْ نعزِّره ونوقِّره وننصره، وجعل له من الحقوق ما بيَّنه في كتابه وسنة رسوله ﷺ، حتى أوجب علينا أنْ يكون أحب الناس إلينا من أنفسنا وأهلينا). (٢)

وقال أيضًا: (وذلك أنه لا نجاة لأحد من عذاب الله تعالى ولا وصول له إلى رحمة الله تعالى إلا بواسطة الرسول؛ بالإيمان به ومحبته وموالاته واتباعه، وهو الذي ينجيه الله تعالى به من عذاب الدنيا والآخرة، فأعظم النعم وأنفعها نعمة الإيمان، ولا تحصل إلا به، وهو أنصح وأنفع لكل أحد من نفسه وماله؛ فإنه الذي يخرج الله تعالى به من الظلمات إلى النور، لا طريق له إلا هو، وأما نفسه وأهله فلا يغنون عنه من الله تعالى شيئًا). (٣)

وقال ابن القيم: (أن يكون أحب إلى العبد من نفسه لأن الألوهية أصلها الحب ونفس العبد أحب إليه من غيره، ومع هذا يجب أنْ يكون الرسول أولى به منها وأحب إليه منها). (٤)

وقال: (من آثر محبوبه بنفسه فهو بماله أشد إيثارًا... ولا يتم للمؤمنين مقام الإيمان حتى يكون الرسول أحب إليهم من أنفسهم فضلاً عن أبنائهم وآبائهم). (٥)

٣) عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**). (٦)

قال ابن حجر: (من علامة الحب المذكور أنْ يعرض على المرء أنْ لو خُيِّر بين فَقْد غرض من أغراضه، أو فقدِ رؤية النبي ﷺ (أنْ لو كانت ممكنة، فإنْ كان فقدها أنْ لو

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١٩/٢).
(٢) مجموع الفتاوى (١٠٤/٢٧).
(٣) مجموع الفتاوى (٤٢٦/٢٧).
(٤) الرسالة التبوكية :ص٢١
(٥) روضة المحبين (ص ٢٧٦)
(٦) أخرجه البخاري في الإيمان (١٥)، ومسلم في الإيمان (٤٤)، والنسائي في الإيمان وشرائعه (٥٠١٣، ٥٠١٤)، وابن ماجه في المقدمة (٦٧)، وأحمد (١٢٤٠٣، ١٣٤٩٩)،والدارمي في الرقاق (٢٧٤١).

كانت ممكنةً أشدَّ عليه من فقد شيء من أغراضه فقد اتصف بالأحبية المذكورة، ومن لا فلا، وليس ذلك محصورًا في الوجود والفقد، بل يأتي مثله في نصرة سنته والذبّ عن شريعته وقمع مخالفيها، ويدخل فيه باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر). (١)

وقال القرطبي: (كل من آمن بالنبي ﷺ إيمانًا صحيحًا لا يخلو عن وجدان شيء من تلك المحبة الراجحة، غير أنّهم متفاوتون، فمنهم من أخذ من تلك المرتبة بالحظ الأوفى، ومنهم من أخذ منها بالحظ الأدنى، كمن كان مستغرقًا في الشهوات محجوبًا في الغفلات في أكثر الأوقات، لكن الكثير منهم إذا ذكر النبي ﷺ اشتاق إلى رؤيته، بحيث يؤثرها على أهله وولده وماله ووالده، ويبذل نفسه في الأمور الخطيرة، ويجد مخبر ذلك من نفسه وجدانًا لا تردد فيه، وقد شوهد من هذا الجنس من يؤثر زيارة قبره ورؤية مواضع آثاره على جميع ما ذكر، لما وقر في قلوبهم من محبته، غير أنّ ذلك سريع الزوال بتوالي الغفلات، والله تعالى المستعان). (٢)

٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (**فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ**). (٣)

قال الحافظ ابن حجر: (والمراد بالمحبة هنا حب الاختيار لا حب الطبع، قاله الخطابي). (٤)

وقال أيضا: (الأحبية المذكورة تعرف بالتفكر... فإذا تأمل النفع الحاصل له من جهة الرسول الذي أخرجه من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، إما بالمباشرة وإما بالسبب، علم أنّه سببُ بقاء نفسه البقاء الأبدي في النعيم السرمدي، وعلم أنّ نفعه بذلك أعظم من جميع وجوه الانتفاعات، فاستحق لذلك أنْ يكون حظه من محبته أوفر من غيره؛ لأنّ النفع الذي يثير المحبة حاصل منه أكثر من غيره، ولكنّ الناس يتفاوتون في ذلك بحسب استحضار ذلك والغفلة عنه، ولا شك أنّ حظ الصحابة – رضي الله عنهم- من هذا المعنى أتم؛ لأنّ هذا ثمرة المعرفة، وهم بها أعلم). (٥)

٥) عن عَبْدَ اللَّه بْنَ هشَامٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ وَهُوَ آخذٌ بِيَد عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلاَّ مِنْ نَفْسِي.

(١) فتح الباري (٥٩/١).
(٢) فتح الباري (٦٠/١).
(٣) أخرجه البخاري في الإيمان (١٤)، والنسائي في الإيمان وشرائعه (٥٠١٥).
(٤) فتح الباري (٥٩/١).
(٥) فتح الباري (٥٩/١ — ٦٠).

فَقَالَ النَّبِيُّ (لا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَده حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسكَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الآنَ وَاللَّه لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ (الآنَ يَا عُمَرُ).[1]

قال الحافظ ابن حجر: (قوله: ((لا – والذي نفسي بيده – حتى أكون أحبُّ إليك من نفسك)) أي: لا يكفي ذلك لبلوغ الرتبة العليا حتى يضاف إليه ما ذكر، وعن بعض الزهاد: تقدير الكلام: لا تصدُق في حبي حتى تؤثر رضاي على هواك، وإنْ كان فيه الهلاك).[2]

وقال أيضًا: (جواب عمر أولاً كان بحسب الطبع، ثم تأمل فعرف بالاستدلال أن النبي أحب إليه من نفسه، لكونه السبب في نجاتها من المهلكات في الدنيا والآخرة فأخبر بما اقتضاه الاختيار، ولذلك حصل الجواب بقوله: ((الآن يا عمر)) أي: الآن عرفت فنطقت بما يجب).[3]

رابعًا. علامات محبة النبي ﷺ:

١) **امتثال أوامره واجتناب نواهيه**: وهذا من أقوى العلامات على صدق الحب وإلا كانت الدعوى كاذبة، فقد جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ، وَاخْتِلافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ).[4]

قال القاضي عياض – رحمه الله-: (فالصادق في حب النبي ﷺ من تظهر علامات ذلك عليه، وأولها: الاقتداء به، واستعمال سنته، واتباع أقواله وأفعاله، والتأدب بآدابه في عسره ويسره).[5]

قال الشاعر:

شـــرط المحبـة أنْ توافـق مما تحب ... علـى محبتـه بـلا عصيـان
فـإذا ادعيـت لـه المحبـة مـع ... خلافـك مـا يحبّ فأنـت ذو بهتان[6]

(١) أخرجه البخاري في الأيمان والنذور (٦٦٣٢)، وأحمد (١٧٥٨٦، ١٨٤٨٢، ٢١٩٩٧).
(٢) فتح الباري (١١/٥٢٨).
(٣) فتح الباري (١١/٥٢٨).
(٤) أخرجه البخاري برقم :٧٢٨٨ ،ومسلم برقم:١٣٣٧.
(٥) الشفا : (٢/٥٧١)
(٦)الهداية لأسباب السعادة لعبد الله بن جار الله (ص ٩٤).

٢) **اتباع سنته**: قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١].

وقال الله تعالى : ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[الأحزاب :٢١]

قال جعفر بن محمد: (أي ليس الطريق إلى محبة الله تعالى إلا اتباع حبيبه، ولا يتوصل إلى الحبيب بشيء أحسن من متابعة حبيبه، ذلك رضاه).[1]

وقال سهل التستري: (علامة حب الله تعالى حب القرآن، وعلامة حب القرآن حب النبي ﷺ، وعلامة حب النبي ﷺ حب سنته، وعلامة حب السنة حب الآخرة، وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا، وعلامة بغض الدنيا أنْ لا يدخر منها إلا زادا وبُلْغة إلى الآخرة).[2]

قال سفيان: (المحبة اتباع الرسول).[3]

عن شقيق بن إبراهيم قال: (مرَّ إبراهيم بن أدهم في أسواق البصرة فاجتمع الناس إليه، فقالوا له: يا أبا إسحاق، إن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠] ونحن ندعوه منذ دهر فلا يستجيب لنا؟! قال: فقال إبراهيم: (يا أهل البصرة ماتت قلوبكم في عشرة أشياء: **أولها** عرفتم الله تعالى ولم تؤدوا حقه، **والثاني** قرأتم كتاب الله تعالى ولم تعملوا به، **والثالث ادعيتم حب رسول الله ﷺ وتركتم سنته**، **والرابع** ادعيتم عداوة الشيطان ووافقتموه، **والخامس** قلتم: نحب الجنة ولم تعملوا لها، **والسادس** قلتم: نخاف النار ورهنتم أنفسكم بها، **والسابع** قلتم: إنّ الموت حق ولم تستعدوا له، **والثامن** اشتغلتم بعيوب إخوانكم ونبذتم عيوبكم، **والتاسع** أكلتم نعمة ربكم ولم تشكروها، **والعاشر** دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم).[4]

قال ابن تيمية: (جعل محبتهم لله موجبة لمتابعة رسوله، وجعل متابعة رسوله موجبة لمحبة الله تعالى لهم).[5]

(١) أخرجه البيهقي في الشعب (٢/١٨٤).
(٢) الشفا (٢/٢٨).
(٣) الشفا (٢/٢٩).
(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/١٥ — ١٦).
(٥) التحفة العراقية (ص ٨٥).

وقال: (فاتباع سنة رسول الله ﷺ (وشريعته باطنًا وظاهرًا هي موجب محبة الله تعالى كما أنّ الجهاد في سبيله وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه هو حقيقتها... وكثير ممن يدعي المحبة هو أبعد الناس من غيره عن اتباع السنة، وعن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله). (١)

وقال القاضي عياض: (فمن اتصف بهذه الصفة - يعني: الاقتداء بالنبي - فهو كامل المحبة لله ورسوله، ومن خالفها في بعض هذه الأمور فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها، ودليله قوله ﷺ للذي حدّه في الخمر فلعنه بعضهم وقال: ما أكثر ما يؤتى به!! فقال النبي ﷺ: **(لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله)**.(٢)

٣) تقديم محبته على سائر المحبات :

قال الله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢].

قال ابن تيمية: (ما من مؤمن إلا وهو يجد في قلبه للرسول من المحبة ما لا يجد لغيره، حتى إنه إذا سمع محبوبًا له من أقاربه وأصدقائه يسب الرسول هان عليه عداوته ومهاجرته بل وقتله لحب الرسول، وإنْ لم يفعل ذلك لم يكن مؤمنًا). (٣)

وقال القاضي عياض: (وهؤلاء أصحابه قد قتلوا أحباءهم وقاتلوا آباءهم وأبناءهم في مرضاته ﷺ، وقال له عبد الله بن عبد الله بن أبي: لو شئت لأتيتك برأسه، يعني أباه). (٤)

وقال ابن القيم: (فمُحبّ الله تعالى ورسوله يغار لله ورسوله على قدر محبته وإجلاله، وإذا خلا قلبه من الغيرة لله ولرسوله فهو من المحبة أخلى وإنْ زعم أنه من المحبين،

(١) التحفة العراقية (ص ٩١).
(٢) الشفا (٢/٢٥).
(٣) منهاج السنة (٥/٤٠١).
(٤) الشفا (٢/٢٧ ــ ٢٨).

فكذب من ادّعى محبة محبوب من الناس وهو يرى غيره ينتهك حُرْمَةَ محبوبه ويسعى في أذاه ومساخطه ويستهين بحقه ويستخف بأمره وهو لا يغار لذلك، بل قلبه بارد، فكيف يصح لعبد أنْ يَدّعي محبة الله تعالى وهو لا يغار لمحارمه إذا انتُهكت، ولا لحقوقه إذا ضُيّعت. وأقل الأقسام أنْ يغار له من نفسه وهواه وشيطانه، فيغار لمحبوبه من تفريطه في حقه وارتكابه لمعصيته. وإذا ترحّلت هذه الغيرة من القلب ترحلت منه المحبة، بل ترحل منه الدين وإن بقيت فيه آثاره، وهذه الغيرة هي أصل الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي الحاملة على ذلك، فإنه إنما يأتي بذلك غيرة منه لربه، ولذلك جعل الله سبحانه وتعالى علامة محبته ومحبوبيته الجهاد فقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة:٥٧]). (١)

٤) محبة من أحب وعداوة من عادى: وخاصة محبة قرابته وأزواجه وأصحابه :

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ **(اللَّهَ اللَّهَ فِي أَصْحَابِي !!اللَّهَ اللَّهَ فِي أَصْحَابِي !! لاَ تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ، وَمَنْ آذَى اللَّهَ يُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ)**.(٢)

قال سهل بن عبد الله التستري: (لم يؤمن بالرسول من لم يوقر أصحابه، ولم يعزّ أوامره). (٣)

قال عبد الله بن المبارك: (خصلتان من كانتا فيه نجا: الصدق وحب أصحاب محمد ﷺ). (٤)

وقال البيهقي: (ويدخل في جملة حب النبي حب أصحابه لأن الله ﷻ أثنى عليهم

(١) روضة المحبين (ص ٢٨١ ــ ٢٨٢).
(٢) أخرجه أحمد (٢٠٠٢٦، ٢٠٠٥٥)، والترمذي في المناقب (٣٨٦٢)، والخلال في السنة (٣/٥١٤)، والبيهقي في الشعب (٢/١٩١)، وقال الترمذي: (حديث حسن غريب).
(٣) الشفا (٢/٥٦).
(٤) الشفا (٢/٥٤).

ومدحهم... وإذا ظهر أنّ حب الصحابة من الإيمان فحبهم أنْ يعتقد فضائلهم، ويعترف لهم بها، ويعرف لكل ذي حق منهم حقه، ولكل ذي غَنًى في الإسلام منهم غناه، ولكل ذي منزلة عند الرسول ﷺ منــزلته، وينشر محاسنهم، ويدعو بالخير لهم، ويقتدي بما جاء في أبواب الدين عنهم، ولا يتبع زلاتهم وهفواتهم... ويسكت عما لا تقع ضرورة إلى الخوض فيه مما كان بينهم).[1]

٥) كثرة تذكره وتمني رؤيته والشوق إلى لقائه :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي، يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَآنِي بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ)**.[2][3]

٦) التحاكم إلى شريعته في جميع شؤون الحياة :

قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء:٦٥].

وقال سهل التستري: (من لم يرَ ولاية الرسول عليه في جميع الأحوال، وير نفسه في ملكه لا يذوق حلاوة سنته؛ لأن النبي ﷺ قال: **((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه))** الحديث.[4]

٧) الشوق إلى معرفة شريعته بطلب العلم النافع من الكتاب والسنة:

قال عبد الله بن مسعود ﷺ: (لا يسأل أحد عن نفسه إلا القرآن، فإنْ كان يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله).[5]

قال علي ﷺ في وصف رسول الله ﷺ: (من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه).[6]

٨) نصر سنته والذب عن شريعته : قال القاضي عياض: ومن محبته نصرة سنته والذب عن شريعته.[7]

---

(١) شعب الإيمان (٢/١٨٩، ١٩٢).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجنة (٢٨٣٢).

(٣) وكان الشيخ المؤلف -إبراهيم العلي رحمه الله- يحب رؤية النبي ﷺ، وحدثني غير مره ومرات متعددة ومتغايرة أنه رأى النبي ﷺ في منامه ومرة منها كان جالسًا في محراب مسجده يصلي بالناس فلما إفاقة حدثني بعدها أنه رأى النبي ﷺ في هذه اللحظات -رحمه الله- وجعله مع النبي ﷺ في جنات النعيم.

(٤) الشفا (٢/١٩)، وسبق تخريج الحديث.

(٥) الشفا (٢/٢٨).

(٦) الشفا (٢/٣١).

(٧) شرح النووي لمسلم:٢/١٦

٩) كثرة الصلاة والسلام عليه عند ذكره.

١٠) تعظيمه وتوقيره والأدب معه :

وأساس التعظيم له هو تصديقه وطاعته والتأدب معه، فمن أخل بذلك لم يعظمه.

١١) النصيحة له :

فقد جاء عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ.**[1]

قال النووي -رحمه الله-: وأما النصيحة لرسول الله ﷺ فتصديقه على الرسالة، والإيمان بجميع ما جاء به، وطاعته في أمره ونهيه ، ونصرته حيًا وميتًا، ومعاداة من عاداه، وموالاة من والاه، وإعظام حقه، وتوقيره، وإحياء طريقته وسنته، وبث دعوته، ونشر شريعته، ونفي التهمة عنها، واستثارة علومها، والتفقه في معانيها، والدعاء إليها، والتلطف في تعلمها وتعليمها، وإعظامها، وإجلالها، والتأدب عند قراءتها، والإمساك عن الكلام فيها بغير علم ، وإجلال أهلها لانتسابهم إليها، والتخلق بأخلاقه، والتأدب بآدابه ، ومحبة أهل بيته وأصحابه، ومجانبة من ابتدع في سنته، أو تعرض لأحد من أصحابه، ونحو ذلك.[2]

خامسا :أسباب تزيد محبة النبي في القلب :

يرتبط الحب في القلب بما يحركه من أسباب ودواعٍ، مع وجود هذه الأسباب يزداد الحب ويقوى حتى يصل إلى رتبة الكمال.

ومن أهم هذه الأسباب :

١) معرفة خصائصه وصفاته ومنها :

- أنّ الله تعالى أحبه واختاره من خلقه، فحب ما يحب الله تعالى من لوازم محبته.
- كمال رأفته ورحمته بأمته وحرصه على هدايتها وانقاذها من الهلكة، حتى قال الله تعالى عنه: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة:١٢٨].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ **تَلا قَوْلَ اللَّهِ ﷻ فِي إِبْرَاهِيمَ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾**[إبراهيم:٣٦]،

---

(١) أخرجه مسلم برقم:٥٥

(٢) شرح صحيح مسلم: ١/٣٨

وَقَالَ عِيسَى ﷺ، ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[المائدة:١١٨]، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ أُمَّتِي، أُمَّتِي، وَبَكَى، فَقَالَ اللَّهُ ﷻ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ - وَرَبُّكَ أَعْلَمُ- فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ ﷺ فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ، فَقَالَ اللَّهُ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ).(١)

- ومن صفاته: كمال نصحه لأمته، وهدايته لها، وإحسانه إليها، لأنه دل هذه الأمة على كل خير يقربها إلى ربها، وحذرها من كل شر يجلب لها الذل والخزي في الدنيا والآخرة.

٢) **تذكره ومعرفة أحواله:** فإذا أراد المسلم أن يزداد حبه لرسول الله ﷺ فلا بد له من معرفته، ومعرفة جوانب شخصيته وأخلاقه، وذلك بمطالعة سيرته وشمائله، وأعماله وسننه، والقراءة لكتب الحديث، وحضور مجالس أهل الحديث ومصاحبتهم.

٣) **الوقوف على هديه والاشتغال بالسنة قولاً وعملاً ودعوة:** فإذا جعل المسلم رسوله أمامه في كل أمر يقوم به من أمور الدين وتمسك بهديه وسنته، ازداد حبه له.

٤) **كثرة الصلاة والسلام عليه** :قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب :٥٦].

٥) **طلب العلم الشرعي والتفقه في دين الله تعالى.**

سادسا: نماذج من حب السلف للنبي ﷺ:

١) قال ابن القيم: (كان الصحابة يقون رسول الله ﷺ في الحرب بنفوسهم حتى يُصرعوا حوله). (٢)

وقال الشاعر:

(١) أخرجه مسلم برقم:٢٠٢.

(٢) روضة المحبين (ص ٢٧٥).

إن المحب إذا أحب حبيبه ... تلقاه يبذل فيه ما يُبذلُ.(١)

٢) فهذه امرأة من بني دينار، أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ في أحد، فلما نُعوا لها، قالت: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيرًا يا أم فلان، هو بحمد الله تعالى كما تحبين، قالت: أرونيه حتى أنظر إليه، فأشير لها إليه حتى إذا رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل، تريد: صغيرة.(٢)

٣) وهذا زيد بن الدَّثِنَة ﷺ كان أسيرًا في مكة، فبعث به صفوان بن أمية بن خلف مع مولى له يقال له نسطاس إلى التنعيم ليقتله بأبيه، واجتمع رهط من قريش، فيهم أبو سفيان بن حرب، فقال له أبو سفيان حين قُدِّم لِيُقتل: أنشدك الله يا زيد، أتحب أن محمدًا عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك؟ قال زيد: والله ما أحب أن محمدًا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأني جالس في أهلي. قال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحدًا يحب أحدًا كحب أصحاب محمد محمدًا، ثم قتله نسطاس. (٣)

٤) وعن عائشة - رضي الله عنها- قالت: جاء رجل إلى النبي (فقال: يا رسول الله، إنّك لأحبُّ إليَّ من نفسي، وأحبُّ إليَّ من أهلي، وأحبُّ إليَّ من ولدي، وإنّي لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك، وإذا ذكرتُ موتي وموتك عرفت أنّك إذا دخلتَ الجنة رُفعت مع النبيين، وإنْ دخلتُ الجنة خشيت أنْ لا أراك، فلم يردَّ عليه النبيُّ ﷺ حتى نزلت عليه ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ [النساء: ٦٩]. (٤)

قال الشاعر:

ولي فؤاد إذا لج الغرام به ... هام اشتياقًا إلى لُقيا معذِّبه
يفديك بالنفس صبٌّ لو يكون له ... أعز من نفسه شيء فداك به(٥)

(١) معجم روائع الحكمة للدكتور روحي البعلبكي (ص ٧٩).

(٢) رواه ابن إسحاق كما في السيرة النبوية (٢/٩٩)، ومن طريقه الطبري في تاريخه (٢/٧٤).

(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٢/١٧٢).

(٤) أخرجه الطبراني وأبو نعيم كما في مجمع الزوائد:٧/٧ وعزاه ابن كثير في التفسير (٢/ ٣١٠ ــ٣١١) إلى ابن مردويه في تفسيره، والحافظ أبي عبد الله المقدسي في صفة الجنة، ونقل عنه أنه قال: (لا أرى بإسناده بأسًا). وقد أخرج نحوه الطبري في تفسيره (٨/٥٣٤ ــ ٥٣٥) مرسلاً عن سعيد بن جبير ومسروق وقتادة والسدي والربيع بن أنس، قال ابن كثير (٢/٣١٠) عن مرسل الربيع: (هو من أحسنها سندًا).

(٥) انظر: روضة المحبين (ص ٢٧٦).

٥) وعن أبي بكر الصديق ﵁ أنه قال: والذي نفسي بيده، لقرابة رسول الله ﷺ أحب إليّ أن أصل من قرابتي.[١]

وفي صحيح البخاري عن عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَقَنِّعًا فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدَاءٌ لَهُ أَبِي وَأُمِّي، وَاللَّهِ مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ، قَالَتْ: فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لَهُ فَدَخَلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ: أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصَّحَابَةُ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: نَعَمْ.[٢]

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح: زاد ابن إسحاق في روايته: قالت عائشة:فرأيت أبا بكر يبكي، وما كنت أحسب أنّ رجلاً يبكي من الفرح [٣]

وعند البخاري: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﵁ قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ، وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ ذَلِكَ الْعَبْدُ مَا عِنْدَ اللَّهِ، قَالَ: فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ فَعَجِبْنَا لِبُكَائِهِ أَنْ يُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ عَبْدٍ خُيِّرَ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الْمُخَيَّرَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا.[٤]

وفي رواية عن معاوية: فلم يلقنها إلا أبو بكر، فبكى وقال: نفديك بآبائنا وأمهاتنا).[٥]

٦) عَنْ عُمَرَ أَنَّهُ فَرَضَ لِأُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ وَخَمْسِ مِائَةٍ، وَفَرَضَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ لِأَبِيهِ: لِمَ فَضَّلْتَ أُسَامَةَ عَلَيَّ، فَوَاللَّهِ مَا سَبَقَنِي إِلَى مَشْهَدٍ؟ قَالَ: لِأَنَّ زَيْدًا كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَبِيكَ، وَكَانَ أُسَامَةُ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ مِنْكَ، فَآثَرْتُ حُبَّ رَسُولِ اللَّهِ عَلَى حُبِّي).[٦]

---

(١) الشفا (٢/٤٩).
(٢) أخرجه البخاري برقم:٣٩٠٥
(٣) فتح الباري :٢٣١/٧
(٤) أخرجه البخاري برقم:٣٦٥٤
(٥) المجمع :٤٢/٩ وإسناده حسن.
(٦) أخرجه الترمذي في المناقب (٣٨١٣)، وقال: حديث حسن غريب (وهو ضعيف).

قَالَ عُمَرُ: انْطَلِقْ إِلَى عَائِشَةَ - أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ-، فَقُلْ: يَقْرَأُ عَلَيْكِ عُمَرُ السَّلَامَ، وَلَا تَقُلْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنِّي لَسْتُ الْيَوْمَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَمِيرًا، وَقُلْ يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَنْ يُدْفَنَ مَعَ صَاحِبَيْهِ، فَسَلَّمَ، وَاسْتَأْذَنَ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهَا، فَوَجَدَهَا قَاعِدَةً تَبْكِي، فَقَالَ: يَقْرَأُ عَلَيْكِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ السَّلَامَ، وَيَسْتَأْذِنُ أَنْ يُدْفَنَ مَعَ صَاحِبَيْهِ، فَقَالَتْ: كُنْتُ أُرِيدُهُ لِنَفْسِي، وَلَأُوثِرَنَّ بِهِ الْيَوْمَ عَلَى نَفْسِي، فَلَمَّا أَقْبَلَ، قِيلَ: هَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ قَدْ جَاءَ، قَالَ: ارْفَعُونِي، فَأَسْنَدَهُ رَجُلٌ إِلَيْهِ، فَقَالَ: مَا لَدَيْكَ ؟ قَالَ: الَّذِي تُحِبُّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَذِنَتْ، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ مَا كَانَ مِنْ شَيْءٍ أَهَمُّ إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ، فَإِذَا أَنَا قَضَيْتُ، فَاحْمِلُونِي ثُمَّ سَلِّمْ، فَقُلْ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَإِنْ أَذِنَتْ لِي فَأَدْخِلُونِي، وَإِنْ رَدَّتْنِي رُدُّونِي إِلَى مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ.[١]

٧) الأنصار يفرحون بمقدم رسول الله ﷺ في الهجرة: عن عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ: وَسَمِعَ الْمُسْلِمُونَ بِالْمَدِينَةِ مَخْرَجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ، فَكَانُوا يَغْدُونَ كُلَّ غَدَاةٍ إِلَى الْحَرَّةِ، فَيَنْتَظِرُونَهُ حَتَّى يَرُدَّهُمْ حَرُّ الظَّهِيرَةِ.[٢]

عن الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ... ثُمَّ قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ فَمَا رَأَيْتُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَرِحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى جَعَلَ الْإِمَاءُ يَقُلْنَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.[٣]

عَنْ أَنَسٍ ﵁ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ انْهَزَمَ النَّاسُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَبُو طَلْحَةَ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ ﷺ مُجَوِّبٌ[٤] عَلَيْهِ بِحَجَفَةٍ لَهُ، وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَجُلًا رَامِيًا شَدِيدَ النَّزْعِ، كَسَرَ يَوْمَئِذٍ قَوْسَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، وَكَانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ مَعَهُ بِجَعْبَةٍ مِنْ النَّبْلِ، فَيَقُولُ: انْثُرْهَا لِأَبِي طَلْحَةَ، قَالَ: وَيُشْرِفُ النَّبِيُّ ﷺ يَنْظُرُ إِلَى الْقَوْمِ، فَيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَا تُشْرِفْ يُصِيبُكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ الْقَوْمِ، نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ..[٥]

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُفْرِدَ يَوْمَ أُحُدٍ فِي سَبْعَةٍ مِنْ الْأَنْصَارِ، وَرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا رَهِقُوهُ، قَالَ: مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ؟ فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ رَهِقُوهُ أَيْضًا، فَقَالَ: مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا

---

(١) أخرجه البخاري برقم: ٣٧٠٠
(٢) أخرجه البخاري برقم:٣٩٠٦
(٣) أخرجه البخاري برقم:٣٩٢٥
(٤) يحوّط على النبي ﷺ يقي النبي ﷺ من العدو.
(٥) أخرجه البخاري برقم :٤٠٦٤ ومسلم برقم:١٨١١

وَلَهُ الْجَنَّةُ أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ؟ فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ السَّبْعَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِصَاحِبَيْهِ: مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا. (١)

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَوَلَّى النَّاسُ، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي نَاحِيَةٍ فِي اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ، وَفِيهِمْ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، فَأَدْرَكَهُمُ الْمُشْرِكُونَ، فَالْتَفَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: مَنْ لِلْقَوْمِ؟ فَقَالَ طَلْحَةُ: أَنَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كَمَا أَنْتَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: أَنْتَ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ الْتَفَتَ فَإِذَا الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ: مَنْ لِلْقَوْمِ ؟ فَقَالَ طَلْحَةُ: أَنَا، قَالَ: كَمَا أَنْتَ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: أَنَا، فَقَالَ: أَنْتَ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَقُولُ ذَلِكَ، وَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَيُقَاتِلُ قِتَالَ مَنْ قَبْلَهُ حَتَّى يُقْتَلَ، حَتَّى بَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ لِلْقَوْمِ؟ فَقَالَ طَلْحَةُ: أَنَا، فَقَاتَلَ طَلْحَةُ قِتَالَ الأَحَدَ عَشَرَ، حَتَّى ضُرِبَتْ يَدُهُ فَقُطِعَتْ أَصَابِعُهُ، فَقَالَ: حَسِّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَوْ قُلْتَ بِسْمِ اللَّهِ لَرَفَعَتْكَ الْمَلاَئِكَةُ، وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ رَدَّ اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ. (٢)

٨) عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ قَالَ :وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،وَلا أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلاَلاً لَهُ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ، لأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ، وَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ. (٣)

٩) عن رَبِيعَةَ بْنِ كَعْبٍ الأَسْلَمِيِّ ﷺ قَالَ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ، فَقَالَ لِي: سَلْ؟ فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ؟ قَالَ: أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟ قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ، قَالَ: فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ. (٤)

١٠) وقال إسحاق التجيبي: كان أصحاب النبي بعده لا يذكرونه إلا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا.

قال القاضي عياض: (وكذلك كثير من التابعين، منهم من يفعل ذلك محبة له وشوقًا إليه، ومنهم من يفعله تهيبًا وتوقيرًا). (٥)

(١) أخرجه مسلم برقم:١٧٨٩
(٢) أخرجه النسائي برقم:٣١٤٩ وهو صحيح
(٣) أخرجه مسلم في الإيمان (١٢١).
(٤) أخرجه مسلم برقم:٤٨٩
(٥) الشفا (٢/٣٦).

١١) وقال مصعب بن عبد الله: (كان مالك إذا ذكر النبي ﷺ يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه، فقيل له يومًا في ذلك، فقال: لو رأيتم ما رأيت لما أنكرتم عليَّ ما ترون، ولقد كنت أرى محمد بن المنكدر، وكان سيد القراء، لا نكاد نسأله عن حديث أبدًا إلا يبكي حتى نرحمه، ولقد كنت أرى جعفر بن محمد، وكان كثير الدعابة والتبسم، فإذا ذكر عنده النبي ﷺ اصفرَّ، وما رأيته يحدث عن رسول الله ﷺ إلا على طهارة، ولقد اختلفت إليه زمانًا فما كنت أراه إلا على ثلاث خصال: إما مصليًا وإما صامتًا وإما يقرأ القرآن، ولا يتكلم فيما لا يعنيه، وكان من العلماء والعباد الذين يخشون الله ﷻ، ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي ﷺ فيُنظر إلى لونه كأنه نزف منه الدم، وقد جف لسانه في فمه هيبة منه لرسول الله ﷺ، ولقد كنت آتي عامر بن عبد الله بن الزبير فإذا ذكر عنده النبي ﷺ بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع، ولقد رأيت الزهري وكان من أهنأ الناس وأقربهم فإذا ذكر عنده النبي ﷺ فكأنه ما عرفك ولا عرفته، ولقد كنت آتي صفوان بن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين فإذا ذكر النبي ﷺ بكى، فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه). (١)

١٢) وقال القاضي عياض: (فالحقيقة من أحبَّ شيئًا أحبَّ كل شيء يحبه، وهذه سيرة السلف حتى في المباحات وشهوات النفس، وقد قال أنس حين رأى النبي ﷺ يتتبع الدباء من حوالي القصعة: فما زلت أحب الدباء من يومئذ، وهذا الحسن بن علي وعبد الله بن عباس وابن جعفر أتوا سلمى وسألوها أن تصنع لهم طعامًا مما كان يعجب رسول الله ﷺ، وكان ابن عمر يلبس النعال السبتية ويصبغ بالصفرة إذ رأى النبي ﷺ **(يفعل نحو ذلك)**. (٢)

(١) الشفا (٢/٤٢ — ٤٣).
(٢) الشفا (٢/٢٧).

الصدق وأثره في السلوك الإنساني

الصدق: هو الشعاع الداخلي الذي يظهر أثره على السلوك الخارجي، والتاج المعقود في الرؤوس، وهي السمية التي تجري وتطل من قسمات الوجوه، فإذا رآهم الناس قالوا: هذه ليست بوجوه كذابين.

والصدق: هو اللغة التي لا يجيدها إلا الصادقون، فشعاع حديثهم نور من القلب إلى القلب، ولذا فإن شعاع الصدق نابع من الداخل، من الأعماق النفسية، ولا يمكن تمثيله أو صناعته أو تزيينه، فنظرة تثبت من عبد الله بن سلام وكان يهوديًا، نظرة عميقة ومتأنية إلى وجه النبي محمد ﷺ جعلته يسلم قائلاً: **(عرفت أنه ليس بوجه كذاب)**. (١)

كلمات السابقين في حقيقة الصدق:

قال عبد الواحد بن زيد -رحمه الله- : الصدق الوفاء لله بالعمل.

وقيل: موافقة السر النطق .

وقيل: استواء السر والعلانية، يعني أنّ الكاذب علانيته خير من سريرته، كالمنافق الذي ظاهره خير من باطنه.

وقال الجنيد -رحمه الله-: حقيقة الصدق أنْ تصدق في موطن لا ينجيك منه إلا الكذب.

الصدق هو مقام الإسلام والإيمان:

الصدق هو روح الأعمال، ومحك الأحوال، والحامل على اقتحام الأهوال، والباب الذي دخل منه الواصلون إلى حضرة ذي الجلال، وهو أساس بناء الدين، وعمود فسطاط اليقين، ودرجته تالية لدرجة النبوة التي هي أرفع درجات العالمين.

وقد أمر الله -سبحانه وتعالى- أهل الإيمان أنْ يكونوا مع الصادقين، وخص المنعم عليهم بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا

(١) أخرجه الترمذي برقم :٢٤٨٥، وابن ماجة برقم :١٣٣٤ وصححه الترمذي وهو كما قال.

ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة ١١٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

وأخبر تعالى عن أهل البر، وأثنى عليهم بأحسن أعمالهم من الإيمان والإسلام والصدقة والصبر بأنهم أهل الصدق، فقال اله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وهذا صريح في أنّ الصدق بالأعمال الظاهرة والباطنة، وأنّ الصدق هو مقام الإسلام والإيمان.

خير خصال الرجال الصدق:

ومن علامات الصدق طمأنينة القلب إليه، ومن علامات الكذب حصول الريبة، كما جاء من حديث الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ: قال رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: **(دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لا يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ)**. (١)

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا)**. (٢)

(١) أخرجه الترمذي برقم:٢٥١٨، والنسائي :٨/٣٢٧-٣٢٨، وابن حبان برقم: ٧٢٠ والحديث حسن.

(٢) أخرجه البخاري برقم :٦٠٩٤، ومسلم برقم :٢٦٠٦، والترمذي برقم :١٩٧١، وأبو داود برقم:٤٩٨٩، وابن ماجة برقم :٤٦

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: (أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ: كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ، قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ ؟ قَالَ: هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ لا إِثْمَ فِيهِ، وَلا بَغْيَ، وَلا غِلَّ، وَلا حَسَدَ). (١)

جاء في ترجمة الإمام الفقيه البارع القاضي إياس بن معاوية بن قرة المزني البصري -رحمه الله تعالى- ما نصه :

(عن الأصمعي -رحمه الله تعالى-: قال إياس بن معاوية -رحمه الله تعالى-:

امتحنت خصال الرجال، فوجدت أشرفها صدق اللسان، ومن عدم فضيلة الصدق، فقد فجع بأكرم أخلاقه). (٢)

لو وضع الصدق على جرح لبرأ :

إنَّه العلاج الحقيقي لكل المشاكل، فحين يكون الإنسان من داخله صادقًا، فهو التعبير الذي يفوح على الإنسان من خلال تعامله ويحوله إلى قدوة في الخير، ولذلك فهو حبل النجاة، وشفاء الأسقام.

فقد جاء في ترجمة الإمام حقًا وشيخ الإسلام صدقًا، أحد الأئمة الأعلام، إمام أهل السنة، الحافظ القدوة أحمد بن حنبل الشيباني-رحمه الله تعالى- ما نصه :

عن تميم الرازي: قال: سمعت أبا زرعة الرازي -رحمه الله تعالى-: يقول :

قلت لأحمد بن حنبل -رحمه الله تعالى-: كيف تخلصت من سيف المعتصم وسوط الواثق ؟

فقال: لو وضعوا الصدق على جرح لبرأ (٣)

الصدق أحيانا معجزة :

إنَّ حمل الصدق كحمل الجبال الرواسي، لا يطيقه إلا أصحاب العزائم، فهم يتقلبون تحت تقلب الحامل بحمله الثقيل، والرياء والكذب خفيف كالريشة، لا يجد له صاحبه ثقلا البتة، فهو حامل له في أي موضع اتفق بلا تعب، ولا مشقة، ولا كلفة، فهو لا يتقلب تحت حمله ولا يجد ثقله.

(١) أخرجه ابن ماجة برقم:٤٢١٦،والبيهقي في شعب الايمان برقم:٦٦٠٤، والحديث حسن.
(٢) تهذيب الكمال :٤١٣/٣
(٣) مناقب الإمام أحمد بن حنبل لابن الجوزي :ص.٣٥

ولأنَّ حمل الصدق ثقيل على النفس، فإنَّ التصرف بصدق أحيانًا معجزة، فقد جاء في كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة، عن الأصمعي -رحمه الله تعالى-: قال :

جاءوا زيادًا بلص وعنده جماعة فيهم الأحنف، فانتهروه وقالوا :

اصدق الأمير.

فقال الأحنف -رحمه الله تعالى-:

إنَّ الصدق أحيانًا معجزة.

فأعجب ذلك زيادًا-رحمه الله تعالى-: وقال: جزاك الله خيرًا. (١)

اصدق والق من شئت :

جاء في ترجمة علي بن هلال بن البواب البغدادي أبي الحسن -رحمه الله - ما نصه:

(قال أبو علي بن البناء: حكى لي أبو طاهر بن الغباري أنَّ الحسن بن البواب أخبره:

أنَّ ابن سهلان استدعاه، فأبي، وتكرر ذلك، قال: فمضيت إلى أبي الحسن ابن القزويني - رحمه الله -، وقلت: ما ينطقه الله به أفعله.

فلما دخلت، قال: يا أبا الحسن: اصدق والق من شئت.

فعدت، فإذا على بابي رسل الوزير، فمضيت معهم، فلما دخلت، قال: ما أخرك عنا؟

فاعتذرت، ثم قال: رأيت منامًا. فقلت: مذهبي تعبير المنام من القرآن؟ فقال: رضيت.

قال: رأيت كأن الشمس والقمر قد اجتمعا وسقطا في حجري.

قال: وعنده فرح بذلك: كيف يجتمع له الملك والوزارة.

قلت: قال الله تعالى: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾ [القيامة :٩-١٠] وكررت عليه هذا ثلاثًا.

قال: فدخل إلى حجرة النساء، وذهبت، فلما كان بعد ثلاث، انحدر إلى واسط على أقبح حال، وكان قتله هناك) (٢)

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة :١٤١/١
(٢) سير أعلام النبلاء :٣١٦/١٧ -٣١٧.

أبواب الصدق وميادينه

١) الصدق مع الله تعالى :

فهو الأساس، ومنه ينطلق نور الصدق في الميادين المختلفة من الحياة، ولا يكون ذلك إلا بالرجوع الصادق إليه بالتوبة والانكسار، والافتقار إليه، عندها تتحرك الأرض لك. (وهو حديث قاتل المائة). (١)

إنّه الصوت العالي الخفي من الأرض للسماء، شعاره: إنْ تصدق الله تعالى يصدقك. وهو حديث شَدَّاد بْنِ الْهَادِ: أَنَّ رَجُلاً مِنْ الأَعْرَابِ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَآمَنَ به وَاتَّبَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: أُهَاجِرُ مَعَكَ، فَأَوْصَى به النَّبِيُّ ﷺ بَعْضَ أَصْحَابه، فَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةٌ، غَنِمَ النَّبِيُّ ﷺ سَبْيًا، فَقَسَمَ، وَقَسَمَ لَهُ، فَأَعْطَى أَصْحَابَهُ مَا قَسَمَ لَهُ، وَكَانَ يَرْعَى ظَهْرَهُمْ، فَلَمَّا جَاءَ دَفَعُوهُ إِلَيْه، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: قِسْمٌ قَسَمَهُ لَكَ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَخَذَهُ فَجَاءَ به إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالَ: **قَسَمْتُهُ لَكَ؟** قَالَ: مَا عَلَى هَذَا اتَّبَعْتُكَ، وَلَكِنِّي اتَّبَعْتُكَ عَلَى أَنْ أُرْمَى إِلَى هَاهُنَا، وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِه بِسَهْمٍ، فَأَمُوتَ فَأَدْخُلَ الْجَنَّةَ؟ فَقَالَ: **إِنْ تَصْدُقْ اللَّهَ يَصْدُقْكَ**، فَلَبِثُوا قَلِيلاً، ثُمَّ نَهَضُوا فِي قِتَالِ الْعَدُوِّ، فَأُتِيَ به النَّبِيُّ ﷺ يُحْمَلُ قَدْ أَصَابَهُ سَهْمٌ حَيْثُ أَشَارَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **أَهُوَ هُوَ؟** قَالُوا: نَعَمْ، **قَالَ: صَدَقَ اللَّهَ فَصَدَقَهُ**، ثُمَّ كَفَّنَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي جُبَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَدَّمَهُ فَصَلَّى عَلَيْه، فَكَانَ فِيمَا ظَهَرَ مِنْ صَلَاتِه: اللَّهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ، فَقُتِلَ شَهِيدًا، أَنَا شَهِيدٌ عَلَى ذَلِكَ. (٢)

وقد أخبر الله تعالى أنّ من صدقه فهو خير له فقال: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد:٢١].

٢) الصدق في الإرادة:

صدق الداخل، وهو ينبع من الداخل للخارج، وإنّ أغلب الصعوبات التي تواجهنا تحتاج إلى إرادة وعزيمة لتخطيها، قوة الإرادة تكمن في صدق الإنسان في التعامل مع الصعوبات، في أضيق الأمور وأصعب الأوقات وهو الذي يظهر صدق الإرادة قال الله

(١) أخرجه البخاري برقم: ٣٤٧٠، ومسلم برقم: ٢٧٦٦.
(٢) أخرجه النسائي برقم: ١٩٥٣ والحديث صحيح.

تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ [التوبة:٤٦].

فعندما يتدفق الصدق من الأعماق تلتهب العزائم وتشتعل، فلا تردد ولا خور، فيستفرغ الوسع ويبذل الجهد، إذ الإرادة شعور ينبعث من الداخل.

وصدق الإرادة بأن يكون في القلب داعية صادقة إلى السلوك، وميل شديد يقهر السر على صحة التوجه، ويتلافى به كل تفريط، ومظاهر ذلك :

الصدق في الأقوال: باستواء اللسان على الأقوال كاستواء السنبلة على ساقها. **والصدق في الأعمال:** باستواء الأفعال على الأمر والمتابعة، كاستواء الرأس على الجسد.

والصدق في الأحوال: باستواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص، واستفراغ الوسع وبذل الطاقة.

٣) الصدق في محبة الناس :

إنّه الحب النابع من الصميم، الصدق في أنْ تأتي إلى من هم أقل منك فتجلس معهم وتسألهم عن احتياجاتهم ومشاكلهم، الصدق الذي جعل النَّبِيَّ ﷺ يُصَلِّي وَهُوَ قَاعِدٌ. وحينما سئلت السيدة عائشة – رضي الله عنها– أجابت: نَعَمْ بَعْدَ مَا حَطَمَهُ النَّاسُ. (١)

إنّه صدق يحرك قلوب الناس للاستجابة، صدق العين التي تدمع، لأنها العين التي تجمع.

الصدق في مشاعرك تجاه الآخرين، فتجعلهم ينفسون عما في صدورهم، الصدق في توجيه الناس للتغلب على ظروفهم ومشاكلهم، الصدق في النظرة الحانية المشعرة أن وراءها قلبًا صادقًا يحترق من أجلهم، الصدق في الابتسامة الصادقة الباعثة بالأمل، ولن يكون ذلك إلا عندما تحبهم وترحمهم.

٤) الصدق في التوجه :

وهو الأمر الذي لا يمكن تزويره وتدليسه، فأنت قد تخدع الأفراد ولفترة محدودة بالكلمات المعسولة، إلا أنْ التوجيه هو المحك العملي لكشف التزوير الداخلي، فالتوجيه

(١) أخرجه مسلم برقم: ٧٣٢.

والإستجابة هي العلامة البارزة في القبول، شعار الصادقين تلك الكلمات العميقة التي جاءت على لسان أسعد بن زرارة لمصعب بن عمير حين جاءه أسيد بن حضير فقال: يا مصعب هذا سيد قومه قد جاء فاصدق الله تعالى فيه. (١)

٥) الصدق في حمل القيم والمبادئ :

فهي روح الإنسان وعبيره الفياض، إنّ القيم والمبادئ التي لم تترسم في داخلك وفي واقعك، وفي كلماتك، قيم زائلة لا محالة، مهما ضحكت على الآخرين فإنّك لن تستمر، وسوف تنهار علاقتك معهم، اغرس في نفسك أسلوبًا جديدًا في التعلم ممن هم أقل منك أو أصغر منك سنا، بأنْ تفترض أنّك لم تعلم ما يقولون وإن كنت تعلمه.

واغرس في نفسك مبدأ أنّك تتعامل مع بشر، ولست تتعامل مع آلات صماء، هذا المبدأ الذي دمر الكثير من العلاقات، ففي ساعات الغضب، ولحظات الغفلة تطلق الكلمات مشعرة الآخرين بأنّهم الآن ينبغي أنْ يعملوا وبلا مقابل، وبلا شعور وإحساس، تتعامل على أنّهم جمادات لا شعور لهم.

إنْ كانت قيمك عكس ذلك فابدأ من الآن، قبل أنْ يأتي عليك يوم تبقى وحيدًا، وعليك بكلام عمر بن الخطاب ﵁: عليك بإخوان الصدق فعش في أكنافهم فهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء.

وهاهو محمد إقبال يختصر لنا الصدق بقوله :

ولــو صــدقوا ومــا في الأرض حــرٌّ   لأحــرينا الســماء لهــم عــيونا

أثر الصدق في استجابة الدعاء :

جاء في ترجمة الإمام الرباني العابد القدوة بسر بن سعيد المدني الحضرمي -رحمه الله تعالى- ما نصه:

(عن الحجاج بن صفوان بن أبي يزيد :

وشى رجل ببسر بن سعيد -رحمه الله تعالى-: إلى الوليد بن عبد الملك -رحمه الله تعالى-: أنه يطعن على الأمراء، ويعيب بني مروان، فأرسل إليه والرجل عنده.

قال: فجيء به والرجل ترعد فرائصه، فأدخل عليه، فسأله عن ذلك، فأنكره،

(١) سيرة ابن هشام: ١/٤٣٦

وقال: ما فعلت.

قال: فالتفت إلى الرجل فقال: يا بسر هذا يشهد عليك، فنظر إليه بسر وقال: هكذا؟ فقال: نعم.

فنكس رأسه، وجعل ينكت في الأرض، ثم رفع رأسه فقال:

اللهم قد شهد بما قد علمت أنّي لم أقله، فإن كنت صادقًا، فأرني به آية. قال: فانكب الرجل على وجهه، فلم يزل يضطرب حتى مات). (١)

كثيرك قليل أيّها الصادق :

وهذه المنزلة تقود الصادق إلى أن لا يتمنى الحياة إلا للحق، ولا يشهد من نفسه إلا أثر النقصان، ولا يلتفت إلى ترفيه الرخص، أي لا يحب أن يعيش إلا ليشبع من رضى محبوبه، ويقوم بعبوديته، ويستكثر من الأسباب التي تقربه إليه، وتدنيه منه، لا لعلة من علل الدنيا، ولا لشهوة من شهواتها.

كما قال عمر بن الخطاب ﵁: لولا ثلاث لما أحببت البقاء، لولا أنْ أحمل على جياد الخيل في سبيل الله، ومكابدة الليل، ومجالسة أقوام ينتقون أطايب الكلام كما يُنتقى أطايب الثمر.

وهو يريد ﵁: الجهاد، والصلاة، والعلم النافع، وهذه درجات الفضائل، وأهلها هم أهل الزلفى والدرجات العليا.

وقال معاذ ﵁ عند موته: اللهم إنّك تعلم أنّي لم أكن أحب البقاء لجري الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولا لنكح الأزواج، ولكن لظمأ الهواجر، ومكابدة الليل، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر.

وهو في ذلك لا يرى نفسه إلا مقصرًا، والموجب له لهذه الرؤية استعظام مطلوبه واستصغار نفسه ومعرفته بعيوبها وقلة زاده في عينه فمن عرف الله تعالى وعرف نفسه لم ير نفسه إلا بعين النقصان.

ميزان يكشف الصادقين :

قال الحارث المحاسبي: (الصادق هو الذي لا يبالي لو خرج كل قدر له في قلوب

(١) تهذيب الكمال: ٤/٧٤-٧٥

الخلق، من أجل صلاح قلبه).

جاء عن أبي عثمان الحداد قال:

بلغني أنّ بهلولاً - يعني البهلول بن راشد القيرواني -رحمه الله- كان ذات يوم جالسًا وعنده صاحبه رباح بن يزيد الزاهد، إذ أقبل أخ للبهلول في البادية يلهج بخبر المطر والزرع، والبهلول يتقلى ويتلون اغتمامًا لرباح، لعلمه بكراهيته ذكر الدنيا وأسبابها.

فلما أكثر أخوه من هذا نهض وجعل يقول لبهلول:

سقطت من عيني، تذكر الدنيا في مجلسك ولا تغير.

فقال له البهلول:

إذا لم أسقط من عين الله تعالى فلا أبالي من عين من سقطت.

فخر رباح على رأسه يقبله:

نعم يا حبيبي يا بهلول لا تبالي من عين من سقطت، إذا المرء سقط من عين الله).[1]

فمن ههنا كان الصادق مضطرًا أشد ضرورة إلى متابعة الأمر، والتسليم للرسول في ظاهره وباطنه، والاقتداء به، والتعبد بطاعته في كل حركة وسكون، مع إخلاص القصد لله ﷻ، فإن الله تعالى لا يرضيه من عبده إلا ذلك.

وما عدا هذا فقوت النفس، ومجرد حظها، واتباع أهوائها، وإنْ كان فيه من المجاهدات والرياضات والخلوات ما كان، فإنّ الله سبحانه وتعالى أبى أنْ يقبل من عبده عملاً، أو يرضى به، حتى يكون على متابعة رسوله، خالصًا لوجهه سبحانه.

تميز الصادق:

وبهذا يفارق الصادق أكثر السالكين، فلا يستوحش في طريقه، وذلك لقلة سالكها، فإنّ أكثرهم سائرون على طرق أذواقهم، وتجريد أنفاسهم لنفوسهم.

والصادق في واد، وهؤلاء في واد، لأنّه قد رضي بالله تعالى ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولاً، فرضي الله تعالى به عبدًا، فأعماله مرضية لله، وأحواله صادقة مع الله تعالى، وقصده مستقيم على متابعة أوامر الله ﷻ.

(١) ترتيب المدارك: ١/٣٣٣

الفصل الثاني
ميدان الأخلاق والسلوك

أداء الفرائض والسنن

العبادة لله تعالى وسيلة القرب والمحبة

لقد ذكر الله تعالى أنّ معاداة أوليائه محاربة له، وذكر بعد ذلك وصف أوليائه الذين تحرم معاداتهم وتجب موالاتهم فذكر ما يتقربون به إليه، فأولياء الله تعالى هم الذين يتقربون إليه بما يقربهم منه، وأعداؤه الذين أبعدهم منه بأعمالهم المقتضية لطردهم وإبعادهم منه، وقد قسم أولياءه المقربين قسمين :

الأول: من تقرب إليه بأداء الفرائض، ويشمل ذلك فعل الواجبات، وترك المحرمات، لأن ذلك كله من فرائض الله تعالى التي افترضها على عباده.

الثاني: من تقرب إليه بعد الفرائض بالنوافل.

فظهر بذلك أنّه لا طريق يوصل إلى التقرب إلى الله تعالى وموالاته ومحبته، سوى طاعته التي شرعها على لسان رسوله.

درجات أولياء الله تعالى:

وقد بين النبي ﷺ أنّ أولياء الله تعالى على درجتين :

أحدها: المقربون إليه بأداء الفرائض وهذه درجة المقتصدين أصحاب اليمين، وأداء الفرائض أفضل الأعمال، كما قال عمر بن الخطاب ﷺ: (أفضل الأعمال أداء ما افترض الله تعالى، والورع عما حرم الله تعالى، وصدق النية فيما عند الله تعالى).

وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته:

(أفضل العبادات أداء الفرائض، واجتناب المحارم، وذلك أنّ الله تعالى إنما افترض على عباده هذه الفرائض، فيقربهم عنده ويوجب لهم رضوانه ورحمته).

وأعظم فرائض البدن التي تقرب إليه: **الصلاة** كما قال الله تعالى: ﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق: ١٩].

وقال النبي ﷺ: **(أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد)**[١]. **وقال: (إذا كان أحدكم يصلي فإنما يناجي ربه وربه بينه وبين القبلة)** [٢].

وقال: **(إنّ الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت)** [٣].

الدرجة الثانية: درجة السابقين المقربين: وهم الذين تقربوا إلى الله تعالى بعد الفرائض بالاجتهاد في النوافل والطاعات، والانكفاف عن دقائق المكروهات بالورع، وذلك يوجب للعبد محبة الله تعالى كما قال: **(ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه)**[٤]، ومن أحبه الله تعالى رزقه محبته وطاعته، والاشتغال بذكره وخدمته، فأوجب له ذلك القرب منه، والزلفى لديه والحظ عنده، كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة ٥٤].

فأهل هذه الدرجة من المقربين ليس لهم هم إلا فيما يقربهم ممن يحبهم ويحبونه:

قال بعض السلف: (العمل على المخافة قد يغير الرجاء، والعمل على المحبة لا يدخله الفتور).

وقال فتح الموصلي: (المحب لا يجد مع حب الله تعالى للدنيا لذة، ولا يغفل عن ذكر الله طرفة عين).

وقال محمد بن النضر الحارثي: (ما يكاد يمل القربة إلى الله تعالى محب لله، وما يكاد يسأم من ذلك).

وقال بعضهم: (المحب لله طائر القلب، كثير الذكر متسبب إلى رضوانه بكلّ سبيل يقدر عليها من الوسائل والنوافل، دأبًا وشوقًا).

---

(١) مسلم (٤٨٢)، أبو داود (٨٧٥)، عن أبي هريرة.
(٢) البخاري (٤٠٥).
(٣) الترمذي (٢٨٦٣) الحارث الأشعري.
(٤) البخاري (٦٥٠٢).

قواعد هامة في أصول التقرب إلى الله تعالى:

قد آذن الركب بالرحيل ومازال الكثيرون حائرين، تتعثر خطاهم، وهم يتساءلون قائلين: من أين نبدأ ؟.

وللإجابة على هذا التساؤل نقول: إنّ لمنهج التربية والتزكية قواعدَ وأصولاً يجب أنْ ينضبط المسلم بها حتى لا يخطئ الطريق الصحيح وفيما يلي بيانها :

١) **لقبول العبادة شرطان:** الإخلاص ومتابعة الرسول ﷺ.

قيل: (قولوا لمن لم يك مخلصاً: (لا تتعنّ)).

فلذلك حرر الإخلاص واجتهد في ذلك واحرص على أنْ يكون عملك لله وحده لا رياء الناس، ولا شهوة، ولا هوى وحظ نفس، ولا لطلب الدنيا والعلو فيها، والأمر يحتاج إلى جهاد وصبر ومثابرة.

٢) قال رسول الله ﷺ **(من عَمِل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)**.[١]

فلا تتعبد إلا بالوارد عن رسول الله ﷺ وبفهم السلف لأصول العبادات، ولا تبتدع في دينك، فالبدعة شر من المعصية.

٣) **التدرج أصل في هذا المنهج فأوغل في الدين برفق**، وراع فقه النفس، ولا تحملها فوق طاقتها فتستحسر وتترك، ولكن لا يكون التدرج تكأة للتفريط، ولا مدعاة للكسل، ولا سبيلاً لسقوط الهمة وعدم طلب الأعلى والأكمل والأفضل، قال ابن الجوزي:

(للنفس حظ وعليها حق، فلا تميلوا كل الميل، وزنوا بالقسطاس المستقيم).

٤) **والصبر أصل آخر** :فلا تظن أنك ستجد قرة العين في الصلاة من أول مرة أو تستشعر حلاوة ولذة القيام في البداية أو تجد الخشوع والدموع عند تلاوة القرآن منذ الآية الأولى، كلا ولا، فالأمر يحتاج إلى صبر وصدق ومعاناة.

قال بعض السلف: **(عالجت قيام الليل سنة ثم تمتعت به عشرين سنة)** فاصبر سنة وسنوات لتنال الرتب العالية.

---

(١) أخرجه مسلم (١٧١٨) ك الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور.

٥) المجاهدة والمعاناة أصل مع الصبر والاصطبار:

قال بعض العلماء: **(من أراد أنْ تواتيه نفسه على الخير عفواً فسينتظر طويلاً بل لابد من حمل النفس على الخير قهراً)** وهذا هو الحق المطلوب أنْ يحمل الإنسان نفسه على الخير حملاً.

قال بعض السلف: **(عودوا أنفسكم على الخير فإنّ النفوس إذا اعتادت الخير ألفته)** جاهد نفسك لعمل الخير، جاهد نفسك لتحقيق الإخلاص، جاهد نفسك لتحسين العمل، جاهد نفسك للارتفاع بمستوى إيمانك، جاهد نفسك لتكون من المتقين.

٦) تدرب ذهنياً على العبادات قبل أدائها:

بمعنى أنّك ينبغي أنْ تقرأ عن الصلاة، وفضل قيام الليل، وجزاء الصائمين القائمين، وعاقبة المتصدقين قبل أداء هذه العبادات، وكذلك قراءة أحوال النبي ﷺ والصحابة والصالحين لتكوين صورة لهذه العبادات ذهنياً، واستشعارها قلبياً، ثمّ الدخول في هذه العبادات بهذا التصور، فيكون الأمر أسلم وأدعى لتحصيلها على أحسن صورها وأكمل أحوالها.

٧) لا تستخف بقدراتك وكن مستعداً للمجازفة:

إنّ عدم المجازفة نتيجة الخوف من الفشل عائق للنجاح، إنّ العبد الرباني الذي يعتمد على الله تعالى ويتوكل عليه ثم يحزم أمره وينطلق في عمله.

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران/١٥٩].

وقال الله جل وعلا: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد/٢١]

أنت قوي فتوكل على الله تعالى، وأنت تستطيع الكثير، ولست أقل ممّن وصلوا إلى المراتب العليا في العلم والعمل، بقي لك الصدق والتوكل، ثمّ إذا أخفقت أو فشلت؛ فأعمل فكرك كيف تجنب نفسك الإخفاق مرة أخرى.

٨) اطلب النتيجة لا الكمال:

إنّ المسلم الحكيم هو الذي يطلب النتيجة الصحيحة عبر مقدماتها الصحيحة دون أنْ يبالغ في مطلبه، فينـزع إلى اشتراط الكمال في مواهبه، فإذا وجد قصوراً في نفسه

– وهو لا شك واجد– سارع إلى إصلاحه، واجتهد في تصحيحه، وليس شرطاً أن يصير صحيحاً مائة في المائة، لابد من قصور (**فاستمتع بها على عوج**).

إنّ الانشغال بتحسين نتائج العمل خير ألف مرة من اشتراط الكمال في الأعمال لأن ذلك مثبط عن الأعمال ودافع إلى الانقطاع والاستحسار.

٩) تكامل الشخصية الإيمانية بتكامل أعمال الإيمان:

قالوا: (لو أنّ للنفوس بصمات لكانت أشد اختلافاً من بصمات الأصابع).

ومن ثمّ فليس كل علاج موصوفاً يناسب جميع النفوس ؛ وقد علم فاطر النفوس سبحانه أنّ خلقه هكذا، فجعل مراضيه سبحانه متعددة، تناسب إمكانات النفوس وطاقاتها وقدراتها، فشرع سبحانه الصيام والصلاة، والذكر والصدقة، والقرآن وخدمة المسلمين، وطلب العلم وتعليم الناس، والحج والعمرة، كل من هذه العبادات وعشرات غيرها منها فرائض، ومنها نوافل، وجعل سبحانه الفرائض بقدر ما لا يشق على النفوس، ثمّ فتح الباب في النوافل يستـزيد منها من يشاء، ولا حرج على فضل الله تعالى، فقم بالفرائض فأدّها كما ينبغي، ثمّ اعمد إلى النّوافل فاستـزد ممّا تجد في نفسك رغبة وهمة إليه.

قال الله تعالى في الحديث القدسي: **(وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه)** [1]، فزد في النوافل قدر ما تستطيع، ولكن لكل نفس باباً يفتح لها من الخير، تلج فيه إلى منتهاه.

قال ابن مسعود ﵁: أنا لا أصوم – يعني النوافل– لأنّ الصوم يضعفني عن الصلاة، وأنا أفضّل الصلاة على الصيام.

هذا المنهج يناسب – إنْ شاء الله تعالى– جميع النفوس، وقد أستوعب جميع جوانب العبادة، ولكن إذا وجدت من نفسك همة ونشاطاً في جوانب العبادة فاسلكه، ولا تتوان وزد فيه، ولا تتأخر لعل الله تعالى يجعل فيه زكاة نفسك، والتزم جميع الجوانب بقدر الإمكان، فإنّها مكملات لشخصيتك الإيمانية.

١٠) المتابعة أم المداومة والاستمرار أبو الاستقرار:

لابد لشيخ متابع، أو أخ كبير معاون، أو على الأقل زميل مشارك، لا تكن وحدك

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢)

(فإنما يأكلُ الذئبُ من الغنم القاصيةَ) (١) فليكن لك شيخ يتابعك إيمانياً كان رسول الله ﷺ يتابع أصحابه يومياً فيقول: **(من أصبح منكم اليوم صائماً، من أطعم اليوم مسكيناً، من عاد اليوم مريضاً).** (٢)

وقد أمره ربه بذلك في أصل أصول التربية فقال:

﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴾[الكهف/٢٨] فابحث لك عن شيخ وبالإخلاص ترزق، وابحث عن أخ كبير تستشيره، فهو ذو خبرة سابقة تنفعك، وائتلف بمجموعة من الاخوة الأقران يكونون عوناً لك على طاعة الله تعالى ورسوله، فتكونون ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح:٢٩].

١١) لا تمنن تستكثر :

ولنعلم رزقنا الله تعالى وإياكم الإخلاص في القول والعمل، والسر والجهر، أنّ التحدث بالعمل لا يخلو من آفات، فإمّا أن يكون إظهار العمل للرياء والفخر والسمعة فيحبط عملك أو تحسد.

فالإيمان يتعرض للحسد فتحصل الانتكاسة، فاكتم عملك، وأسرَّ بقرباتك، ولا تحدث بطاعاتك تسلم.

ونصيحة أخرى: **أنّك لا تدري أي أعمالك حاز القبول، ونلت به الرضا، فمهما كثر عملك فلتكن على وجل خوفَ الرد وعدم القبول، أو حَذر الحسد، وإفساد الأحوال، ولا تفتر فتهلك.**

(١) أخرجه أبو داود (٥٤٧)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٠٧٥).
(٢) أخرجه مسلم (١٠٢٨).

أهم الأعمال التي يتقرب بها إلى الله تعالى

أولاً : القرآن الكريم :

قال بعض السلف: كل ما شغلك عن القرآن فهو شوم عليك.

اعلم أنّ القرآن العظيم كلام الله تعالى من أكبر عوامل التثبيت على الإيمان.

قال رسول الله ﷺ: **(أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم نزل القرآن، فعلموا من القرآن وعلموا من السنة)**(١).

وتلاوة القرآن من أفضل القربات.

قال رسول الله ﷺ: **(اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه)** (٢).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: (إنّ الله أنزل هذا القرآن ليعمل به فاتخذوا تلاوته عملاً) ولذلك اجتهد في تلاوة القرآن ليلك ونهارك.

قال خباب بن الأرت لرجل: (تقرب إلى الله تعالى ما استطعت، واعلم أنّك لن تقرب إليه بشيء هو أحب إليه من كلامه) (٣).

وقال ابن مسعود: (من أحب القرآن فهو يحب الله ورسوله)(٤).

وهاهنا منهج في تلاوته :

١) التلاوة أهم من الحفظ، **والجمع بينهما هو المتحتم لمن يريد التربية.**

٢) ختم المصحف كل جمعة هو هدي السلف -رضوان الله عليهم أجمعين-، وذلك بأنْ تتعود أنْ تقرأ حزءًا من القرآن كل صلاة فريضة، إما قبلها، وإما بعدها، أو يتم قسمته ما بين الصلاتين، تبدأ من عصر الجمعة، وتنتهي عصر الخميس من كل أسبوع، ولليلة الجمعة وظائفها.

فإنْ لم تستطع فعلى الأقل حزأين كل يوم في الصباح جزء وفي المساء مثله، أدنى الأحوال أنْ تقرأ جزءاً كل يوم فلك كل شهر ختمة، وهذا فعل ضعيف الهمة فلا تدم عليه وإنّما زد وردك بالتدرج لتختم كل أسبوع.

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري (٧٠٨٦)، ومسلم (١٤٣)
(٢) أخرجه مسلم (٨٠٤).
(٣) الحاكم (٢/٤٤١)، وصححه ووافقه الذهبي.
(٤) أخرجه الطبراني في الكبير برقم (٨٦٥٨) وقال الهيثمي في المجمع: (٧/١٦٥) رجاله ثقات.

٣) عند التلاوة اجتهد في التدبر وذلك يحصل بالآتي :

• حضور القلب عند التلاوة وتفريغه من الشواغل بقدر الإمكان.

• استشعار أنّ القرآن كلام الله العظيم فاخشع.

• اجمع أهلك على التلاوة معك حتى ولو في بعض ما تتلو وتدارس معهم القرآن.

• الأمر يحتاج إلى صبر فليس من أول مرة يحصل لك الخشوع فلا تعجل واصبر ولا تجزع.

• مصحف يشتمل على معاني الكلمات على الأقل فتنظر فيما تريد فهمه.

• لابد من حفظ القرآن فهو من فروض الكفايات ولذلك طرق منها :

❖ تعلم القرآن على يد شيخ متقن ولوْ بالأجر فالقرآن أغلى.

❖ استشر أهل الخبرة في كيفية حفظ القرآن وطالع بعض الكتب المهمة في ذلك.

❖ لابد من التسميع اليومي لزوجتك أو أحد أولادك، ولا تتكبر عن ذلك، ومن التسميع الأسبوعي أو نصف أسبوعي للشيخ.

ثانياً: الصلاة:

١ - الفرائض:

• أصلح صلاة الفريضة أولاً بالحرص على صلاة الجماعة في المسجد.

قال رسول الله ﷺ: **(من صلى لله أربعين يوماً في جماعة لا تفوته تكبيرة الإحرام كتبت له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق)** (١).

حاول تحقيق هذا الحديث، وكلما فاتتك تكبيرة الإحرام؛ فابدأ الأربعين مرة أخرى من الأول.

• احرص على الوضوء والوصول إلى المسجد مبكراً فإنه مهم لصلاح القلب.

• احرص على الصف الأول خلف الإمام فإنّه أدعى للخشوع وحضور القلب.

• اطرد الشواغل وفرغ قلبك واستشعر حلاوة الإيمان واجعل الصلاة قرة عين لك.

(١) أخرجه الترمذي (٢٤١)؛ وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٦٣٦٥)

• أذكار الصلاة مهمة تدبرها وابحث عن معانيها وافهم ما تقول واستحضر معنى ما تدعو به.

• تدبر ما تتلو من القرآن في الصلاة فإنّه أدعى لحضور القلب واجعل قراءتك من المحفوظ الجديد ولا تصل بالعادة بسور محددة تكررها في كل صلاة.

٢ - النوافل :

❖ قال الله في الحديث القدسي: **(ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها ،ولئن سألني لأعطينه، وإنْ استعاذني لأعيذنّه)**.(١)

١) استحضر هذا الحديث عن صلاة النوافل لتطلب بها حب الله تعالى حتى يعطيك ما تسأل ويعيذك مما تكره.

٢) النوافل حرم الفرض فمن فرط في السنن، أوشك أنْ يفرط في الفريضة ومن حافظ على السنن، كانت الفرائض في حماية، فأحط فريضتك بسنن تحميها.

٣) النوافل تتمم الفرائض الناقصة:

قال رسول الله ﷺ: **(من صلى عليَّ صلاة لم يتمها زيد عليها من سبحاته حتى تتم)**(٢) فأتمم النواقص بنوافل كثيرة يتم الله تعالى لك.

٤) السنن الراتبة لا تفرط في شيء منها أبداً :

قال رسول الله ﷺ: **(من صلى في يوم وليلة ثنتي عشرة ركعة بُني له بيت في الجنة، أربعا قبل الظهر وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء، وركعتين قبل صلاة الفجر)**.(٣)

٥) صلاة التطوع كثيرة: فأكثر ما استطعت فقد قال الله تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق: ١٩]، فكلما سجدت أكثر؛ كان قربك من الله تعالى أكثر؛ وصرت عن الدنايا أعلى.

(١) تقدم تخريجه.
(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٢/١٨) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٦٣٤٨)
(٣) أخرجه الترمذي (٤١٤)؛ وابن ماجه (١١٤٠)؛ وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٦٣٦٢)

قال رسول الله ﷺ: (عليك بكثرة السجود لله فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة).[(١)]

وهاهي بعض المستحبات:

❖ **ثمان ركعات ضحى:** قال رسول الله ﷺ: (من صلَّى الضحى ركعتين لم يكتب من الغافلين، ومن صلى أربعاً كتب من العابدين، ومن صلى ستاً كفي ذلك اليوم، ومن صلى ثمانياً كتبه الله من القانتين، ومن صلى ثنتي عشرة ركعة بنى الله له بيتاً في الجنة).[(٢)]

❖ **أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها:** قال رسول الله ﷺ: (من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها حرمه الله على النار).[(٣)]

❖ **أربع ركعات قبل العصر:** قال رسول الله ﷺ: (رحم الله امرأ صلى قبل العصر أربعًا) [(٤)].

❖ **ركعتين قبل المغرب وركعتين قبل العشاء:** قال رسول الله ﷺ: (بين كل أذانين صلاة، قالها ثلاثًا قال في الثالثة: لمن شاء).[(٥)]

ثالثا: القيام:

وما أدراك ما القيام، إنّ لقيام الليل أسرارًا. إنّه إعداد للرجال.. إنّه يثبت القلوب على الحق ويزيدها قوة إلى قوتها، إنّه سر فلاح العبد، يبعد عن الخطايا والذنوب ويزيد الإيمان، يلحق العبد بالصالحين، ويبلغه مرتبة القانتين المحسنين يعبد الله تعالى كأنّه يراه فإنْ لم يكن يراه فإنّ الله تعالى يراه.

---

(١) أخرجه مسلم (٧٥٣)

(٢) أخرجه الطبراني في الصغير (١/١٨٢) وقال الهيثمي في المجمع (٢/٢٣٧): رواه الطبراني في الكبير، وفيه موسى بن يعقوب الزمعي وثقه ابن معين وابن حبان، وضعفه ابن المديني وغيره وبقية رجاله ثقات.

(٣) أخرجه الترمذي (٤٢٨) وقال: حسن صحيح غريب، وابن ماجه (١١٦٠). وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٦٣٦٤)

(٤) أخرجه الترمذي (٤٣٠) وقال: غريب حسن، وأبو داود (١٢٧١). وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٣٤٩٣)

(٥) أخرجه مسلم (٨٣٨).

قال رسول الله ﷺ: (إنّ في الجنة لغرفًا، يرى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها.

فقام إليه أعرابي فقال: لمن هي يا رسول الله ؟

قال: هي لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى لله بالليل والنّاس نيام).[(١)]

وقال الرسول ﷺ: (عليكم بقيام الليل فإنّه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهاة عن الإثم).[(٢)]

وللتعود على هذه العبادة على المسلم أنْ يأخذها بالتدرج على النحو التالي :

❖ ركعتين على الأقل في جوف الليل، وليس الطول شرطاً لهما، ولابد من القراءة من المحفوظ من القرآن.

❖ في اليوم الثاني مباشرة، لا تتكاسل، ولا تفرط، اجعلها أربعاً، واجتهد في التدبر لتشعر بحلاوة الإيمان.

❖ وبعد أسبوع، اجعلها ستاً، ثم ثمانية غير الوتر.

❖ ابدأ بعد ذلك بتطويل الركعات؛ حتى ولو بالقراءة من المصحف.

❖ استشعر حال قيام الليل، الأنس بالله تعالى، والخلوة معه سبحانه.

❖ لعدم الملال المسبب للترك، لا تجعل صلاتك على وتيرة واحدة كل ليلة:

فليلة أوتر بخمس، وليلة أخرى أوتر بثلاث، وليلة أوتر بسبع، وليلة طول القيام مع عدد ركعات أقل، وليلة لطول السجود، وليلة لتكثير الركعات وتخفيف الصلاة... وهكذا

❖ إذا فاتك القيام بالليل، اقضه بالنهار.

رابعا: الصيام :

● صيام الاثنين والخميس، والثلاثة أيام البيض من كل شهر، مدرجة لخير الصيام.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٢٦)، وقال: حديث غريب، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢١٢٣)

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٤٩) وقال: حديث غريب، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٠٩٧).

- إذا صمت؛ فليصم سمعك وبصرك، ولا تجعل يوم صومك كيوم فطرك، ففي الصيام احفظ لسانك، وليكثر ذكرك لله تعالى، وليظهر على سمتك الخشوع والوقار والإخبات، وإياك والمعاصي فيفسد الصيام.
- احرص على السحور متأخراً، وعجل الإفطار.
- احرص على أنْ يصوم معك أهل البيت، وشجعهم على ذلك، واجتمعوا على الإفطار والسحور.
- احرص على إفطار الصائم: ادع غيرك إلى الصيام، وفطر الصائمين.
- استشعر المعاني الإيمانية أثناء الصيام من إقامة حاكمية الله تعالى على النفس الأمارة بالسوء؛ فتعود أمة مأمورة غير آمرة ومطيعة غير مطاعة، وأيضا استشعار ذل الفقر والحاجة والضعف والفاقة، وأيضاً استشعار نعمة الله تعالى في المطعم والمشرب.

خامسا: الاعتكاف:

مع ضجيج الحياة، وكثرة صخبها، مع المادية القاتلة التي تطحن الناس بين رحاها، مع ضرورة الاختلاط بالناس، يتكدر القلب، ويتعكر صفو النفس، فنحتاج إلى هدوء وراحة فلابد لها من عزلة وخلوة، ولذلك يلزمك أخي طالب التربية إلى اعتكاف يومي؛ فاتخذ لنفسك الأنسب لحالك، ولا تفرط: إما بين المغرب والعشاء يومياً وإما بعد صلاة الفجر إلى شروق الشمس كل يوم.

وفي هذا الاعتكاف اليومي لابد لك من أمور :

١) استصحب النية أولاً وارج ثواب الله تعالى.

٢) ذكر الله تعالى هو الأصل في هذه الجلسة واستشعر أنَّ جليسك الله تعالى، قال تعالى في الحديث القدسي: **(أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت بي شفتاه)**[1] فاجلس بالرغبة والرهبة.

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٧٩٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٩٠٦).

٣) من آداب هذه الجلسة: ألا تلتفت، ولا تنشغل بغير ذكر الله تعالى، وليتعود النَّاس منك ذلك، ألا تكلم أحداً، ولا تسلم على أحدٍ، ولا تشارك في شيء، بل هذه خلوتك.

٤) وقد يكون هذا الاعتكاف في مسجد لا يعرفك فيه أحد، أو إذا تعذر الأمر فاجعل لك خلوة في بيتك ساعات كل يوم، حيث لا يراك أحد، ولا يشغلك شيء.

٥) المحاسبة اليومية من أهم أعمال هذه الخلوة، فالزم نفسك المحاسبة، والتـزم بالكلمات الخمس :

- **المشارطة:** أنْ تشترط على نفسك صبيحة كل يوم، وأنْ تسلمها رأس المال وهو العمر (٢٤ ساعة)، والأدوات: وهي القلب والجوارح، وتشترط عليها أنْ تضمن لك بذلك الجنة بالأعمال الصالحة آخر النهار.
- **المراقبة:** أنْ تراقب نفسك طيلة اليوم، فإنْ همّت بمعصية ذكّرتها بالمشارطة، وإنْ توانت عن طاعة زجرتها بالمشارطة.
- **المحاسبة:** أنْ تستعرض شريط يومك نهاية كل يوم، وبالورقة والقلم يتم حساب الخسائر والأرباح، ومعرفة مصير المشاركة مع النفس.
- **المعاتبة:** أنْ يحصل عتاب على التقصير.
- **المعاقبة:** أنْ يتم العقاب على الذنوب والغفلة، فتعاقب نفسك بحرمانها من بعض شهواتها، وإلزامها بزيادة قرباتها، بذلك تنجو من شرها، وتقودها سالمة إلى ربها، والله تعالى المستعان.

اعتياد هذا الاعتكاف بهذا البرنامج يومياً يؤدي إلى تلافي الأخطاء، وإصلاح الأحوال فاصبر، والزم تلتـزم.

سادسا: كثرة ذكر الله تعالى الذي يتواطأ عليه القلب واللسان:

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران/١٩١].

وقال جل وعلا: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد/٢٨].

عن معاذ قال: (قلت: يا رسول الله أخبرني بأفضل الأعمال وأقربها إلى الله تعالى؟ قال: (**أنْ تموت ولسانك رطب من ذكر الله تعالى**) [١].

وفي الحديث الصحيح [٢] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: (**يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، فإنْ ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإنْ ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ خير منهم**).

وفي حديث آخر: (**أنا مع عبدي ما ذكرني، وتحركت بي شفتاه**) [٣].

وقال رجل لرسول الله ﷺ: (دلني على عمل أتشبث به، قال: **لا يزال لسانك رطباً بذكر الله**)[٤].

وفي الكلمات الخمس التي أمر الله تعالى بها يحيى بن زكريا -عليهما السلام- أنْ يعمل بها، ويأمر بني إسرائيل أنْ يعملوا بهن: (**وآمركم أنْ تذكروا الله، فإنَّ مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعًا، حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله**)[٥].

فذكر الله تعالى نجاة، وذكر الله تعالى بركة، وذكر الله تعالى هداية، وذكر الله تعالى نعمة ونعيم، وقرة عين، وأنس روح، وسعادة نفس، وقوة قلب، نعم ذكر الله تعالى روح وريحان، وجنة نعيم.

- عوِّد لسانك: (**رب اغفر لي**) فإنَّ لله ساعات لا يرد فيها سائلاً.
- الأذكار الموظفة في اليوم والليلة افرضها على نفسك فرضاً، وعاقب نفسك على التفريط في شيء منها، وهي أذكار دخول البيت والخروج منه، وكذا المسجد

(١) مسند البزار (٣٠٥٩)، وحسنه الهيثمي (١٠/٧٤).
(٢) (٩٢) خ (٧٥٠٥)، م (٢٦٧٥)، حم (٢/٢٥١).
(٣) (٩٣) حم (٢/٥٤٠)، جة (٣٧٩٢)، وصححه الحاكم (١/٤٩٦)، ووافقه الذهبي.
(٤) أخرجه الترمذي (٣٣٧٥) وقال: حسن غريب، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٧٠٠).
(٥) أخرجه الترمذي (٢٨٦٣) وقال: حسن صحيح، وهو صحيح.

وكذا الخلاء، وأذكار الطعام والشراب واللباس، والوضوء والصلاة والنوم والجماع، وأذكار الصباح والمساء.

- احمل في جيبك المصحف، وكتاب حصن المسلم، ولا تفرط فيهما أبداً.
- احفظ الأذكار، وراجعها دائماً على الكتاب، واسأل عن معناها، وافهم ما تقول.
- كثرة الصلاة على النبي ﷺ بلا عدد محصور تــزيل الهمّ.
- كثرة الاستغفار تــزيد القوة.
- الباقيات الصالحات: (**سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله**) خير ثواباً وخير أملاً.
- التهليل قول: (**لا إله إلا الله**) حصن حصين من الشيطان، والحوقلة قول: (**لا حول ولا قوة إلا بالله**) كنــز من كنوز الجنة.
- سبحان الله تعالى وبحمده سبحان الله العظيم ثقيلتان في الميزان.

عموماً قال الله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٢] فاذكر الله تعالى يذكرك، ولا تنسه فينساك.

سابعا: عبودية المال:

المال فتنة، قال رسول الله ﷺ: (**لكل أمة فتنة، وفتنة أمتي المال**).[١]

ونحن في زمن الماديات، وصراع الناس على الكماليات، وهموم الناس الدنيئة التي خرّبت قلوبهم وعلاقتهم بربهم في زمن التعاسة قال رسول الله ﷺ: (**تعس عبد الدرهم والدينار**)[٢].

في هذا الزمن الحرج؛ يحتاج الإنسان إلى التخلص من ربقة المادية الطاغية؛ وذلك ببذل المال، قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٣٦)، وقال: حسن صحيح غريب، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢١٤٨).
(٢) جزء من حديث، أخرجه البخاري (٢٨٨٧).

وقال رسول الله ﷺ: (**الصدقة برهان**)[1] أي دليل على حب صاحبها لله.

فيا طالب التربية – لتربي نفسك على الزهد في الدنيا :

❖ ألاّ يكون للدنيا أي قيمة في قلبك، فهي لا تساوي عند الله تعالى جناح بعوضة، فلا تفرح بإقبالها، ولا تحزن على إدبارها، ولتستوِ عندك الحالتان؛ لأنّك عبد للمعطي المانع قال الله تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد/٢٣].

قيل للإمام أحمد بن حنبل: الرجل يملك ألف دينار ويكون زاهداً !!

قال: نعم. قيل: كيف ؟! قال: إذا لم يفرح إذا زادت، و لم يحزن إذا نقصت.

ثامنا : محبة أحبابه وأوليائه فيه ومعاداة أعدائه فيه :

عن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**إنّ من عباد الله لأناسًا ما هم بأنبياء، ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء بمكانهم من الله تعالى**)، قالوا: يا رسول الله، من هم؟ قال: (**هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله، إنّ وجوههم لنور، وإنّهم لعلى منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس**)، ثم تلا هذه الآية: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] "[2].

المراد من هذا الكلام: أنّ من اجتهد بالتقرب إلى الله تعالى بالفرائض، ثم بالنوافل، قربه إليه، ورقاه من درجة الإيمان إلى درجة الإحسان، فيصير يعبد الله تعالى على الحضور والمراقبة كأنه يراه، فيمتلئ قلبه بمعرفة الله تعالى، ومحبته، وعظمته، وخوفه، ومهابته، وإجلاله، والأنس به، والشوق إليه، حتى يصير هذا الذي في قلبه من المعرفة مشاهدًا له بعين البصيرة.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٥٢٧)، والحديث حسن لشواهده.

قيام الليل

شرف للمؤمن

ينهى عن الإثم

مجلبة للنشاط

بركة في العمل

دأب الصالحين

طارد للمرض

مكفر للسيئات

بركة في العمر

مقرب إلى الرب

الجراءة على الحق

يورث العز



حفظ الآداب

تعريف الأدب:

الأدب: اجتماعُ خصالِ الخيرِ في العبد، ومنه المأدبة وهي الطعام الذي يجتمع عليه الناس.

وعلم الأدب: هو علم إصلاح اللسان والخطاب، وإصابة مواقعه و تحسين ألفاظه، وصيانته عن الخطأ والخلل، وهو شعبة من الأدب العام. وحقيقة الأدب: استعمال الخلق الجميل.

مكانته وحاجة الناس إليه :

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِب ﷺ: **(إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ وَمَحَاسِنَهَا وَصْلاً بَيْنَهُ وَبَيْنَكُمْ، فَحَسْبُ الرَّجُلِ أَنْ يَتَّصِلَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِخُلُقٍ مِنْهَا)**.

وَقَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ: (مَا نَحْنُ إِلَى مَا نَتَقَوَّى بِهِ عَلَى حَوَاسِّنَا مِنَ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ بِأَحْوَجَ مِنَّا إِلَى الأَدَبِ الَّذِي هُوَ لِقَاحُ عُقُولِنَا، فَإِنَّ الْحَبَّةَ الْمَدْفُونَةَ فِي الثَّرَى لا تَقْدِرُ أَنْ تَطَّلِعَ زَهْرَتَهَا وَنَضَارَتَهَا إِلاَّ بِالْمَاءِ الَّذِي يَعُودُ إِلَيْهَا مِنْ مُسْتَوْدَعِهَا).

وَحَكَى الأَصْمَعِيُّ - رحمه الله تعالى - أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ لابنه: (يَا بُنَيَّ الْعَقْلُ بِلا أَدَبٍ كَالشَّجَرِ الْعَاقِرِ، وَمَعَ الأَدَبِ دِعَامَةٌ أَيَّدَ الله تعالى بِهَا الأَلْبَابَ، وَحِلْيَةٌ زَيَّنَ الله تعالى بِهَا عَوَاطِلَ الأَحْسَابِ، فَالْعَاقِلُ لا يَسْتَغْنِي وَإِنْ صَحَّتْ غَرِيزَتُهُ، عَنِ الأَدَبِ الْمُخْرِجِ زَهْرَتَهُ، كَمَا لا تَسْتَغْنِي الأَرْضُ وَإِنْ عَذُبَتْ تُرْبَتُهَا عَنِ الْمَاءِ الْمُخْرِجِ ثَمَرَتَهَا).

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: (الأَدَبُ وَسِيلَةٌ إِلَى كُلِّ فَضِيلَةٍ، وَذَرِيعَةٌ إِلَى كُلِّ شَرِيعَةٍ).

وَقَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ فيه :

فَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِثْلَ الْعُقُولِ ... وَلا اكْتَسَبَ النَّاسُ مِثْلَ الأَدَبْ
وَمَا كَرَمُ الْمَرْءِ إِلاَّ التُّقَى ... وَلا حَسَبُ الْمَرْءِ إِلاَّ النَّسَبْ
وَفِي الْعِلْمِ زَيْنٌ لأَهْلِ الْحِجَا ... وَآفَةُ ذِي الْحِلْمِ طَيْشُ الْغَضَبْ

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: (إِذَا وُصِفَ لِي رَجُلٌ لَهُ عِلْمُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ لا

أَتَأَسَّفُ عَلَى فَوْتِ لِقَائِهِ، وَإِذَا سَمِعْتُ رَجُلاً لَهُ أَدَبُ النَّفْسِ أَتَمَنَّى لِقَاءَهُ وَأَتَأَسَّفُ عَلَى فَوْتِهِ).

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ قَالَ الشَّاعِرُ:

خَيْرُ مَا وَرَّثَ الرِّجَالُ بَنِيهِمْ ... أَدَبٌ صَالِحٌ وَحُسْنُ الثَّنَاءِ
هُوَ خَيْرٌ مِنَ الدَّنَانِيرِ وَالأَوْرَاقِ ... فِي يَوْمِ شِدَّةٍ أَوْ رَخَاءِ
تِلْكَ تَفْنَى وَالدِّينُ وَالأَدَبُ ... الصَّالِحُ لا يَفْنَيَانِ حَتَّى اللِّقَاءِ
إِنْ تَأَدَّبْتَ يَا بُنَيَّ صَغِيرًا ... كُنْتَ يَوْمًا تُعَدُّ فِي الْكُبَرَاءِ

وقال رويم بن أحمد البغدادي لابنه: (يا بني اجعل عملك ملحًا، وأدبك دقيقًا، أي استكثر من الأدب حتى تكون نسبته في سلوكك من حيث الكثرة، كنسبة الدقيق إلى الملح الذي يوضع فيه عند عجنه لصنعه خبزًا، وكثير من الأدب مع قليل من العمل الصالح، خير من كثير من العمل مع قلة الأدب) (١).

أركانه :

والأدب ثلاثة أنواع:

١) أدب مع الله سبحانه وتعالى.
٢) أدب مع رسوله ﷺ وشرعه.
٣) أدب مع خلقه.

(١) الأدب مع الله تعالى:

فالأدب مع الله تعالى ثلاثة أنواع:

أحدها: صيانة معاملته أنْ يشوبها بنقيصة.

الثاني: صيانة قلبه أنْ يلتفت إلى غيره.

الثالث: صيانة إرادته أنْ تتعلق بما يمقتك عليه.

وقال يحيى بن معاذ: (من تأدب بأدب الله تعالى صار من أهل محبة الله تعالى) وقال ابن المبارك: (نحن إلى قليل من الأدب، أحوج منا إلى كثير من العلم).

وسئل الحسن البصري -رحمه الله- عن أنفع الأدب؟ فقال: (التفقه في الدين

---

(١) الفروق للقرافي (٣/٩٦).

والزهد في الدنيا والمعرفة بما لله عليك).

فالأدب مع الله تعالى: حسن الصحبة معه بأنْ تجعل حركاتنا الظاهرة والباطنة، على مقتضى التعظيم والإجلال والحياء كحال مجالس الملوك ومصاحبهم.

وقال سهل: (من قهر نفسه بالأدب فهو يعبد الله تعالى بالإخلاص).

والمقصود: أنّ الأدب مع الله تبارك وتعالى هو القيام بدينه، والتأدب بآدابه ظاهرًا وباطنًا، ولا يستقيم لأحد قط الأدب مع الله تعالى إلا بثلاثة أشياء: معرفته بأسمائه وصفاته، ومعرفته بدينه وشرعه، وما يحب وما يكره، ونفس مستعدة قابلة لينة متهيئة لقبول الحق، علمًا وعملاً وحالاً.

والأدب: (هو الدين كله، فإنّ ستر العورة من الأدب، والوضوء وغسل الجنابة من الأدب، والتطهر من الخبث من الأدب، حتى يقف بين يدي الله تعالى طاهرًا، ولهذا كانوا يستحبون أنْ يتجمل الرجل في صلاته للوقوف بين يدي ربه).

ومن الأدب مع الله تعالى: أنْ لا يستقبل بيته ولا يستدبره عند قضاء الحاجة، كما ثبت عن النبي في حديث أبي أيوب وسلمان وأبي هريرة وغيرهم -رضي الله عنهم-، والصحيح أنّ هذا الأدب يعم الفضاء والبنيان.

ومن الأدب مع الله تعالى: في الوقوف بين يديه في الصلاة، وضع اليمنى على اليسرى حال قيام القراءة، ففي الموطأ لمالك عن سهل بن سعد أنّه من السنة، وكان الناس يؤمرون به ولا ريب أنّه من أدب الوقوف بين يدي الملوك والعظماء فعظيم العظماء أحق به.

ومنها: السكون في الصلاة: وهو الدوام الذي قال الله تعالى فيه: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ [المعارج ٢٣]، وفسر الدوام بسكون الأطراف والطمأنينة وأدبه في استماع القراءة أنْ يلقي السمع وهو شهيد.

وأدبه في الركوع: (أن يستوي ويعظم الله تعالى حتى لا يكون في قلبه شيء أعظم منه ويتضاءل ويتصاغر في نفسه حتى يكون أقل من الهباء).

(٢) الأدب مع رسول الله ﷺ:

وأما الأدب مع الرسول فالقرآن مملوء به :

فرأس الأدب معه: كمال التسليم له والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أنْ يحمله معارضة خيال باطل، أو يقدم عليه آراء الرجال وزبالات أذهانهم، فيوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان.

ومن الأدب مع الرسول: أنْ لا يتقدم بين يديه بأمر ولا نهي، ولا إذن ولا تصرف حتى يأمر هو وينهى ويأذن، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١].

ومن الأدب معه: أنْ لا ترفع الأصوات فوق صوته فإنّه سبب لحبوط الأعمال، فما الظن برفع الآراء ونتائج الأفكار على سنته، وما جاء به، أترى ذلك موجبًا لقبول الأعمال، ورفع الصوت فوق صوته موجبًا لحبوطها؟!

ومن الأدب معه: أنّهم إذا كانوا معه على أمر جامع من خطبة أو جهاد أو رباط لم يذهب أحد منهم مذهبًا في حاجته حتى يستأذنه، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾ [النور: ٦٢]، فإذا كان هذا مذهبًا مقيدًا بحاجة عارضة لم يوسع لهم فيه إلا بإذنه، فكيف بمذهب مطلق في تفاصيل الدين أصوله وفروعه دقيقه وجليله، هل يشرع الذهاب إليه بدون استئذانه، ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، [الأنبياء: ٧].

ومن الأدب معه: ألاّ يستشكل قوله بل تستشكل الآراء لقوله، ولا يعارض نصه بقياس، بل تهدر الأقيسة وتلقى لنصوصه، ولا يحرف كلامه عن حقيقته لخيال يسميه أصحابه معقولاً، نعم هو مجهول وعن الصواب معزول، ولا يوقف قبول ما جاء به على موافقة أحد، فكل هذا من قلة الأدب معه، وهو عين الجرأة.

(٣) الأدب مع الخلق :

وأما الأدب مع الخلق: فهو معاملتهم على اختلاف مراتبهم بما يليق بهم، فلكل مرتبة أدب، والمراتب فيها أدب خاص: فمع الوالدين أدب خاص، وللأب منهما أدب هو أخص به، ومع العالم أدب آخر، ومع السلطان أدب يليق به، وله مع الأقران أدب يليق

بهم، ومع الأجانب أدب غير أدبه مع أصحابه وذوي أنسه، ومع الضيف أدب غير أدبه مع أهل بيته.

ولكل حال أدب: فللأكل آداب، وللشرب آداب، وللركوب والدخول والخروج والسفر والإقامة والنوم آداب، وللبول آداب، وللكلام آداب، وللسكوت والاستماع آداب.

ميادينه :

وَالتَّأديبُ يَلْزَمُ منْ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: مَا لَزِمَ الْوَالدَ لوَلَده في صغَره.

وَالثَّاني: مَا لَزِمَ الإنْسَانَ في نَفْسه عنْدَ نُشُوئه وكبَره.

فَأَمَّا التَّأديبُ اللاَّزِمُ للأَب: فَهُوَ أَنْ يَأْخُذَ وَلَدَهُ بمَبَادئ الآدَاب ليَأْنَسَ بهَا، وَيَنْشَأَ عَلَيْهَا، فَيَسْهُلَ عَلَيْه قَبُولُهَا عنْدَ الْكبَرِ لاسْتئْنَاسه بمَبَادئهَا في الصِّغَرِ؛ لأَنَّ نُشُوءَ الصِّغَرِ عَلَى الشَّيْءِ يَجْعَلُهُ مُتَطَبِّعًا به.

وَأَمَّا الأَدَبُ اللاَّزِمُ للإنْسَان عنْدَ نُشُوئه وَكبَره: فَأَدَبَان: أَدَبُ مُوَاضَعَة وَاصْطلاح، وَأَدَبُ رِيَاضَة وَاسْتصْلاح.

فَأَمَّا أَدَبُ الْمُوَاضَعَة وَالاصْطلاح: فَيُؤْخَذُ تَقْليدًا عَلَى مَا اسْتَقَرَّ عَلَيْه اصْطلاحُ الْعُقَلاء، وَاتَّفَقَ عَلَيْه اسْتحْسَانُ الأُدَبَاء.

وَأَمَّا أَدَبُ الرِّيَاضَة وَالاسْتصْلاح: فَهُوَ مَا كَانَ مَحْمُولاً عَلَى حَالٍ لا يَجُوزُ في الْعَقْلِ أَنْ يَكُونَ بخلافهَا، وَلا أَنْ تَخْتَلفَ الْعُقَلاءُ في صَلاحهَا وَفَسَادهَا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾[الشمس: ٨]، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ -رضي الله عنهما-: بَيَّنَ لَهَا مَا تَأْتي منَ الْخَيْرِ وَتَذَرُ منَ الشَّرِّ.

فَأَوَّلُ مُقَدِّمَات أَدَب الرِّيَاضَة وَالاسْتصْلاح:

أَنْ لا يَسْبِقَ إلَى حُسْنِ الظَّنِّ بنَفْسه: فَيَخْفَى عَنْهُ مَذْمُومُ شيَمه وَمَسَاوئُ أَخْلاقه؛ لأَنَّ النُّفُوسَ بالشَّهَوَات آمرَةٌ، وَعَنْ الرُّشْد زَاجرَةٌ. وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣].

فَأَخَذَهُ بَعْضُ الشُّعَرَاء فَقَالَ:

قَلْبِي إِلَى مَا ضَرَّنِي دَاعِي ... يُكْثِرُ أَسْقَامِي وَأَوْجَاعِي
كَيْفَ احْتِرَاسِي مِنْ عَدُوِّي ... إِذَا كَانَ عَدُوِّي بَيْنَ أَضْلاعِي

وَقَدْ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ: (الْعَاجِزُ مَنْ عَجَزَ عَنْ سِيَاسَةِ نَفْسِهِ).

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: (مَنْ سَاسَ نَفْسَهُ سَادَ نَاسَهُ).

فَأَمَّا سُوءُ الظَّنِّ بِهَا: فَقَدْ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ كَرِهَهُ لِمَا فِيهِ مِنْ اتِّهَامِ طَاعَتِهَا، وَرَدِّ مُنَاصَحَتِهَا.

وَقَدْ قَالَ الْجَاحِظُ فِي كِتَابِ الْبَيَانِ: (يَجِبُ أَنْ يَكُونَ فِي التُّهْمَةِ لِنَفْسِهِ مُعْتَدِلاً، وَفِي حُسْنِ الظَّنِّ بِهَا مُقْتَصِدًا، فَإِنَّهُ إِنْ تَجَاوَزَ مِقْدَارَ الْحَقِّ فِي التُّهْمَةِ ظَلَمَهَا فَأَوْدَعَهَا ذِلَّةَ الْمَظْلُومِينَ، وَإِنْ تَجَاوَزَ بِهَا الْحَقَّ فِي مِقْدَارِ حُسْنِ الظَّنِّ أَوْدَعَهَا تَهَاوُنَ الآمِنِينَ، وَلِكُلِّ ذَلِكَ مِقْدَارٌ مِنَ الشُّغْلِ، وَلِكُلِّ شُغْلٍ مِقْدَارٌ مِنَ الْوَهْنِ، وَلِكُلِّ وَهْنٍ مِقْدَارٌ مِنَ الْجَهْلِ).

وَقَالَ الأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ: مَنْ ظَلَمَ نَفْسَهُ كَانَ لِغَيْرِهِ أَظْلَمَ، وَمَنْ هَدَمَ دِينَهُ كَانَ لِمَجْدِهِ أَهْدَمَ.

وَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّ سُوءَ الظَّنِّ بِهَا أَبْلَغُ فِي صَلاحِهَا، وَأَوْفَرُ فِي اجْتِهَادِهَا ؛ لأَنَّ لِلنَّفْسِ جَوْرًا لا يَنْفَكُّ إِلاَّ بِالسُّخْطِ عَلَيْهَا، وَغُرُورًا لا يَنْكَشِفُ إِلاَّ بِالتُّهْمَةِ لَهَا؛ لأَنَّهَا مَحْبُوبَةٌ تَجُورُ إِدْلالاً وَتَغُرُّ مَكْرًا، فَإِنْ لَمْ يُسِئْ الظَّنَّ بِهَا غَلَبَ عَلَيْهِ جَوْرُهَا، وَتَمَوَّهَ عَلَيْهِ غُرُورُهَا فَصَارَ بِمَيْسُورِهَا قَانِعًا، وَبِالشُّبْهَةِ مِنْ أَفْعَالِهَا رَاضِيًا.

وَقَدْ قَالَتْ الْحُكَمَاءُ: (مَنْ رَضِيَ عَنْ نَفْسِهِ أَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ).

ثمراته :

وأدب المرء: عنوان سعادته وفلاحه، وقلة أدبه: عنوان شقاوته وبواره، فما استجلب خير الدنيا والآخرة بمثل الأدب، ولا استجلب حرمانها بمثل قلة الأدب، فانظر إلى الأدب مع الوالدين كيف نجى صاحبه من حبس الغار حين أطبقت عليهم الصخرة، والإخلال به مع الأم تأويلاً وإقبالاً على الصلاة، كيف امتحن صاحبه بهدم صومعته، وضرب الناس له، ورميه بالفاحشة.

ضرر الجهل به :

وقال بعضهم: الزم الأدب ظاهراً وباطنًا، فما أساء أحد الأدب في الظاهر، إلا عوقب ظاهرًا، وما أساء أحد الأدب باطنًا، إلا عوقب باطنًا.

وقال عبد الله بن المبارك -رحمه الله-: (من تهاون بالأدب، عوقب بحرمان السنن، ومن تهاون بالسنن عوقب بحرمان الفرائض، ومن تهاون بالفرائض، عوقب بحرمان المعرفة، وقيل الأدب في العمل، علامة قبول العمل).

ضوابط لابد منها :

والأدب لابد له من ضوابط منها :

١) الوقوف في الوسط بين الطرفين، فلا يقصر بحدود الشرع عن تمامها، ولا يتجاوز بها ما جعلت حدودًا له، فكلاهما عدوان والله تعالى لا يحب المعتدين، والعدوان هو سوء الأدب.

وقال بعض السلف: دين الله تعالى بين الغالي فيه والجافي عنه.

فإضاعة الأدب بالجفاء: كمن لم يكمل أعضاء الوضوء، ولم يوف الصلاة آدابها التي سنها رسول الله ﷺ، وفعلها وهي قريب من مائة أدب ما بين واجب ومستحب.

وإضاعته بالغلو: كالوسوسة في عقد النية، ورفع الصوت بها، والجهر بالأذكار والدعوات التي شرعت سرًا، وتطويل ما السنة تخفيفه وحذفه، كالتشهد الأول والسلام الذي حذفه سنة، وزيادة التطويل على ما فعله رسول الله، لا على ما يظنه سُرّاق الصلاة، والنقارون لها ويشتهونه، فإنّ النبي لم يكن ليأمر بأمر ويخالفه، وقد صانه الله تعالى من ذلك وكان يأمرهم بالتخفيف.

ومثال هذا التوسط في حق الأنبياء عليهم السلام أنْ لا يغلو فيهم، كما غلت النصارى في المسيح، ولا يجفو عنهم كما جفت اليهود، فالنصارى عبدوهم، واليهود قتلوهم وكذبوهم، والأمة الوسط: آمنوا بهم وعزروهم ونصروهم واتبعوا ما جاءوا به.

ومثال ذلك في حقوق الخلق: أن لا يفرط في القيام بحقوقهم، ولا يستغرق فيها بحيث يشتغل بها عن حقوق الله تعالى، أو عن تكميلها، أو عن مصلحة دينه وقلبه، وأنْ لا يجفو عنها حتى يعطلها بالكلية، فإنّ الطرفين من العدوان الضار، وعلى هذا الحد، فحقيقة الأدب هي العدل والله تعالى أعلم.

٢) منع الخوف أنْ لا يتعدى إلى اليأس، يريد أنّه لا يدع الخوف يفضي به إلى حد يوقعه في القنوط واليأس من رحمة الله، فإنّ هذا الخوف مذموم: وجاء عن شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- يقول: (حد الخوف ما حجزك عن معاصي الله

تعالى، فما زاد على ذلك فهو غير محتاج إليه).

وهذا الخوف الموقع في الإياس إساءة أدب على رحمة الله تعالى، التي سبقت غضبه وجهل بها.

٣) أنْ لا يبلغ به الرجاء إلى حد يأمن معه العقوبة، فإنّه لا يأمن مكر الله تعالى إلا القوم الخاسرون، وهذا إغراق في الطرف الآخر.

بل حد الرجاء ما طيب لك العبادة، وحملك على السير، فهو بمنزلة الرياح التي تسير السفينة، فإذا انقطعت وقفت السفينة وإذا زادت ألقتها إلى المهالك وإذا كانت بقدر أوصلتها إلى البغية.

٤) وأما ضبط السرور أنْ يخرج إلى مشابهة الجرأة: فلا يقدر عليه إلا الأقوياء أرباب العزائم الذين لا تستفزهم السراء، فتغلب شكرهم،ولا تضعفهم الضراء فتغلب صبرهم.

متانة الأخلاق

أمهات لأخلاق



المروءة

اعلم أن من شواهد الفضل ودلائل الكرم المروءة التي هي حلية النفوس وزينة الهمم

تعريفها :

الْمُرُوءَةُ مُرَاعَاةُ الأَحْوَالِ الَّتِي تَكُونُ عَلَى أَفْضَلِهَا حَتَّى لا يَظْهَرَ مِنْهَا قَبِيحٌ عَنْ قَصْدٍ وَلا يَتَوَجَّهُ إِلَيْهَا ذَمٌّ بِاسْتِحْقَاقٍ.

رُوِيَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (مَنْ عَامَلَ النَّاسَ فَلَمْ يَظْلِمْهُمْ، وَحَدَّثَهُمْ فَلَمْ يَكْذِبْهُمْ، وَوَعَدَهُمْ فَلَمْ يُخْلِفْهُمْ، فَهُوَ مِمَّنْ كَمُلَتْ مُرُوءَتُهُ وَظَهَرَتْ عَدَالَتُهُ وَوَجَبَتْ أُخُوَّتُهُ).

الْمُرُوءَةُ هِيَ مُرَاعَاةُ النَّفْسِ عَلَى أَفْضَلِ أَحْوَالِهَا. وقيل فيها المروءة اجتناب الرجل ما يشينه !! واجتناؤه ما يزينه !! [1].

قال ابن حبان فيها: (اسم يقع على العلم بسلوك الصواب و اجتناب الخطأ)[2].

وقال: المروءة عندي خصلتان: اجتناب ما يكره الله تعالى والمسلمون من الفعال، واستعمال ما يحب الله تعالى والمسلمون من الخصال.

وقال شيخ الأزهر محمد الخضر حسين –رحمه الله–: (جماع مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب).

وأجمع ما قيل فيها: (أنّها كمال الإنسانية)[3].

ما جاء في الحث عليها :

قال حافظ إبراهيم –رحمه الله–:

إنّي لتُطربني الخِلالُ كريمةً   طَرَبَ الغريبِ بأوبةٍ و تلاقي

(١) المروءة والأدب لصالح بن جناح (٢٣).

(٢) روضة العقلاء.

(٣) أحمد أمين، أخذه عن لسان العرب.

و تَمـزُّني ذكـرى المروءة و النـدى ... بـين الشـمائل هِـزةَ المشـتاق
فـإذا رُزقـتَ خليقـةً محمـودةً ... فقـد اصـطفاكَ مقسـمُ الأرزاقِ
فالـنَّاسُ هـذا حظـهُ مـالٌ، وذا ... علـمٌ و ذاكَ مكـارمُ الأخـلاقِ

ميادينها :

تحقيق مفهوم الإنسانية الكاملة (كمال الرجولة للرجال، وكمال الأنوثة للنساء).
ويتحقق ذلك من خلال الأمور التالية :

١) التزام الأوامر واجتناب النواهي: بأنْ يَتَعَفَّفَ عَنْ الْحَرَامِ، وَيَتَصَلَّفَ عَنْ الآثَامِ.
٢) إتباع العدل في معاملاته: فَيُنْصِفَ فِي الْحُكْمِ، وَيَكُفَّ عَنْ الظُّلْمِ.
٣) حفظ الأدب في التعامل والعلاقات الاجتماعية بأنْ يعرف قدر نفسه: فلا يَطْمَعَ فِيمَا لا يَسْتَحِقُّ، وَلا يَسْتَطِيلَ عَلَى مَنْ لا يَسْتَـرِقُّ.
٤) نصرة المظلوم والتوازن في معاملة الخلق: وَلا يُعِينَ قَوِيًّا عَلَى ضَعِيفٍ، وَلا يُؤْثِرَ دَنِيًّا عَلَى شَرِيفٍ.
٥) المحافظة على نظافة الباطن كما يحافظ على نظافة الظاهر: فلا يُسِرُّ مَا يَعْقُبُهُ الْوِزْرُ وَالإِثْمُ، وَلا يَفْعَلُ مَا يُقَبِّحُ الذِّكْرَ وَالاسْمَ.

أصناف الناس مع المروءة:

١) عالي الهمة ليس له شرف نفس :

فَأَمَّا مَنْ مُنِيَ بِعُلُوِّ الْهِمَّةِ وَسُلِبَ شَرَفُ النَّفْسِ فَقَدْ صَارَ عُرْضَةً لأَمْرٍ أَعْوَزَتْهُ آلَتُهُ، وَأَفْسَدَتْهُ جَهَالَتُهُ، فَصَارَ كَضَرِيرٍ يَرُومُ تَعَلُّمَ الْكِتَابَةِ، وَأَخْرَسَ يُرِيدُ الْخُطْبَةَ، فَلا يَزِيدُهُ الاجْتِهَادُ إلاَّ عَجْزًا وَالطَّلَبُ إلاَّ عَوَزًا.

وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ: (مَنْ أَسْوَأُ النَّاسِ حَالاً؟ قَالَ: مَنْ بَعُدَتْ هِمَّتُهُ، وَاتَّسَعَتْ أُمْنِيَّتُهُ، وَقَصُرَتْ آلَتُهُ، وَقَلَّتْ مَقْدِرَتُهُ. وَقِيلَ فِي مَنْثُورِ الْحِكَمِ: (**الْمُنَى مِنْ بَضَائِعِ النَّوْكَى**). فَإِنْ صَادَفَ بِهِمَّتِهِ حَظًّا نَالَ بِهِ أَمَلاً كَانَ فِيمَا نَالَهُ كَالْمُغْتَصِبِ، وَفِيمَا وَصَلَ إلَيْهِ كَالْمُتَغَلِّبِ، إذْ لَيْسَ فِي الْحُظُوظِ تَقْدِيرٌ لِحَقٍّ، وَلا تَمْيِيزٌ لِمُسْتَحِقٍّ، وَإِنَّمَا هِيَ كَالسَّحَابِ الَّذِي يَمْسِكُ عَنْ مَنَابِتِ الأَشْجَارِ إلَى مَغَايِصِ الْبِحَارِ وَيَتْـرُكُ حَيْثُ صَادَفَ

مِنْ خَبِيثٍ وَطَيِّبٍ، فَإِنْ صَادَفَ أَرْضًا طَيِّبَةً نَفَعَ وَإِنْ صَادَفَ أَرْضًا خَبِيثَةً ضَرَّ. كَذَلِكَ الْحَظُّ إنْ صَادَفَ نَفْسًا شَرِيفَةً نَفَعَ، وَكَانَ نِعْمَةً عَامَّةً، وَإِنْ صَادَفَ نَفْسًا دَنِيَّةً ضَرَّ وَكَانَ نِقْمَةً طَامَّةً).

٢) شريف النفس بدون همة عالية :

فَأَمَّا شَرَفُ النَّفْسِ إذَا تَجَرَّدَ عَنْ عُلُوِّ الْهِمَّةِ فَإِنَّ الْفَضْلَ بِهِ عَاطِلٌ، وَالْقَدْرَ بِهِ خَامِلٌ، وَهُوَ كَالْقُوَّةِ فِي الْجَلْدِ الْكَسِلِ، وَالْجَبَانِ الْفَشِلِ، تَضِيعُ قُوَّتُهُ بِكَسَلِهِ، وَجَلَدُهُ بِفَشَلِهِ. وَقَدْ قِيلَ فِي مَنْثُورِ الْحِكَمِ: **مَنْ دَامَ كَسَلُهُ خَابَ أَمَلُهُ**.

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: نَكَحَ الْعَجْزُ التَّوَانِي فَخَرَجَ مِنْهُمَا النَّدَامَةُ، وَنَكَحَ الشُّؤْمُ الْكَسَلَ فَخَرَجَ مِنْهُمَا الْحِرْمَانُ.

وَقَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ :

إذَا أَنْـتَ لَـمْ تَعْـرِفْ لِنَفْسِـكَ حَقَّهَا ... هَـوَانًا بِهَـا كَانَتْ عَلَى النَّاسِ أَهْوَنَا
فَنَفْسَـكَ أَكْـرِمْهَا وَإِنْ ضَـاقَ مَسْكَنٌ ... عَلَـيْكَ لَهَـا فَاطْلُبْ لِنَفْسِكَ مَسْكَنَا
وَ إِيَّـاكَ وَ السُّـكْنَى بِمَنْـزِلِ ذِلَّـةٍ ... يُعَـدُّ مُسِـيئًا فِـيهِ مَـنْ كَانَ مُحْسِنَا

وَشَرَفُ النَّفْسِ مَعَ صِغَرِ الْهِمَّةِ أَوْلَى مِنْ عُلُوِّ الْهِمَّةِ مَعَ دَنَاءَةِ النَّفْسِ؛ لأَنَّ مَنْ عَلَتْ هِمَّتُهُ مَعَ دَنَاءَةِ نَفْسِهِ كَانَ مُتَعَدِّيًا إلَى طَلَبِ مَا لا يَسْتَحِقُّهُ، وَمُتَخَطِّيًا إلَى الْتِمَاسِ مَا لا يَسْتَوْجِبُهُ، وَمَنْ شَرُفَتْ نَفْسُهُ مَعَ صِغَرِ هِمَّتِهِ فَهُوَ تَارِكٌ لِمَا يَسْتَحِقُّ وَمُقَصِّرٌ عَمَّا يَجِبُ لَهُ. وَفَضْلُ مَا بَيْنَ الأَمْرَيْنِ ظَاهِرٌ وَإِنْ كَانَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنْ الذَّمِّ نَصِيبٌ.

٣) عالي الهمة شريف النفس :

فَإِذَا اجْتَمَعَ الأَمْرَانِ وَاقْتَـرَنَ بِشَرَفِ النَّفْسِ عُلُوُّ الْهِمَّةِ كَانَ الْفَضْلُ بِهِمَا ظَاهِرًا، وَالأَدَبُ بِهِمَا وَافِرًا، وَمَشَاقُّ الْحَمْدِ بَيْنَهُمَا مُسَهَّلَةً، وَشُرُوطُ الْمُرُوءَةِ بَيْنَهُمَا مُتَبَيَّنَةً.

وَقَالَ أَنُو شِرْوَانَ لابْنِهِ هُرْمُزَ: مَنْ الْكَامِلُ الْمُرُوءَةِ ؟ فَقَالَ: مَنْ حَصَّنَ دِينَهُ وَوَصَلَ رَحِمَهُ وَأَكْرَمَ إخْوَانَهُ.

٤) دنيء المروءة: المتكل على الحسب والنسب في الذكر والمروءات، ولا يقوم فيها بنفسه:

وفي هذا الصنف يقول ابن حبان: ما رأيت أخسر صفقة ولا أظهر حسرةً، ولا أخيب مقصدًا، ولا أقل رشدًا، ولا أحمق شعارًا، ولا أدنس دثارًا، من المفتخر بالآباء الكرام وأخلاقهم الجسام، مع تعريه عن سلوك أمثالهم، وقصد أشباههم، متوهمًا أنهم ارتفعوا بمن قبلهم، وسادوا بمن تقدمهم، وهيهات أنْ يسد المرء على الحقيقة إلا بنفسه، وأنى ينبل في الدارين إلا بكده ؟

وَقَدْ قَالَ الْحُصَيْنُ بْنُ الْمُنْذِرِ الرَّقَاشِيُّ في هؤلاء :

إنَّ الْمُـرُوءَةَ لَـيْسَ يُـدْرِكُهَا امْـرُؤٌ ... وَرِثَ الْمَكَـارِمَ عَـنْ أبٍ فَأَضَـاعَهَا
أَمَـرَتْهُ نَفْـسٌ بِالـدَّنَاءَةِ وَالْخَـنَا ... وَ نَهَـتْهُ عَـنْ سُـبُلِ الْعُـلا فَأَطَاعَهَا
فَـإِذَا أَصَـابَ مِـنَ الْمَكَـارِمِ خَلَّـةً ... يَبْنِـي الْكَـرِيمُ بِهَـا الْمَكَـارِمَ بَاعَهَا

وقال الحسين بن أحمد البغدادي:

ليس الكـريم بمـن يـدنس عرضـه ... و يرى مروءته تكـون بمـن مضـى
حـتى يشـيد بـناءه بـبنـائـه ... ويزين صـالح مـا أتـوه بمـا أتـى

صفات أصحاب المروءة :

وَإِذَا كَانَتْ الْمُرُوءَةُ كَذَلِكَ فَلَيْسَ يَنْقَادُ لَهَا مَعَ ثِقَلِ كُلَفِهَا إلاَّ مَنْ تَسَهَّلَتْ عَلَيْهِ الْمَشَاقُ رَغْبَةً فِي الْحَمْدِ، وَهَانَتْ عَلَيْهِ الْمَلاذُ حَذَرًا مِنْ الذَّمِّ.

وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ الطَّائِيُّ :

وَ الْحَمْـدُ شَـهْدٌ لا يُـرَى مُشْـتَارُهُ ... يَجْنِـيهِ إلاَّ مِـنْ نَقِـيعِ الْحَـنْظَلِ
غُـلٌّ لِحَامِلِـهِ وَيَحْسَـبُهُ الَّـذِي ... لَـمْ يُـوهِ عَاتِقَـهُ خَفِـيفَ الْمَحْمَلِ

وَقَدْ لَحَظَ الْمُتَنَبِّي ذَلِكَ فِي قَوْلِه :

لَـوْلا الْمَشَـقَّةُ سَـادَ الـنَّاسُ كُلُّهُمْ ... الْجُـودُ يُفْقِـرُ وَالإِقْـدَامُ قَـتَّالُ

وَلَهُ أَيْضًا:

وَإِذَا كَانَـتْ الـنُّفُوسُ كِـبَارًا ... تَعِـبَتْ فِـي مُـرَادِهَا الأَجْسَـامُ

ومن تلك الصفات التي يجب أنْ يتحلى بها صاحب المروءة الخصال والصفات التالية:

أولها: السمت الحسن وطلاقة الوجه.

ثانيها: التودد إلى الإخوان والصبر على المكاره في معاشرتهم.

ثالثها: قضاء الحوائج.

رابعها: صيانة النفس عن كل خلق رديء، وحفظ اللسان أنْ يلفظ مثلما يلفظ أهل الخلاعة من سفه القول :

وحـذار مـن سـفه يشـينك وصفه ... إنَّ السـفاه بـذي المـروءة زاري

خامسها: ومن أدب صاحب المروءة: الصراحة والترفع عن المواربة والنفاق فلا يبدي لشخص الصداقة وهو يحمل له العداوة، أو يشهد له باستقامة السيرة وهو يراه منحرفاً عن السبيل.

سادسها: ويتصل بهذا الأدب أدب آخر هو أنْ لا يفعل الرجل في الخفاء ما لو ظهر للناس لعدوه من سقطاته. وقد رفع محمد بن عمران التميمي شأن هذا الأدب حتى جعله هو المروءة، (فقال لما سئل عن المروءة، أنْ لا تعمل في السر ما تستحي منه في العلانية).

وعمل القبيح يدل على أنْ تجنبه في العلانية تصنع ورياء، والمروءة أن يجتنب الرجل القبائح لقبحها و وخامة عاقبتها.

أما صاحب المروءة الصادقة فيبخل في وقته عن هذه الطوية الحقيرة، ولا يرضى إلا أنْ يشغله بما تتقاضاه المروءة من حقوق.

سابعها: ومن الاحتفاظ بالمروءة أنْ يتجنب الرجل تكليف زائريه ولو بعمل خفيف، كأنْ يكون بالقرب من الزائر كتاب، فيطلب منه مناولته إياه، أو يكون بجانبه الزر الكهربائي فيشير إليه بالضغط عليه لإنارة المنـزل أو استدعاء الخادم.

ثامنها: والمروءة تنادي صاحبها أنْ يسود في مجلسه الجد والحكمة، وأنْ لا يلم في حديثه بالمزاح إلا إلماماً مؤنساً في أحوال نادرة.

ومن أدب المروءة حسن إصغاء الرجل لمن يحدثه من الإخوان، فإقباله على محدثه بالإصغاء إليه يدل على ارتياحه لمجالسته وأنسه بحديثه.

مـن لي بإنسـان إذا أغضـبته ... ورضـيت كـان الحلـم رد جـوابه

و تــراه يصــغي للحــديث بقلــبه و بســمعه و لعلــه أدرى بــه

تاسعها: ويعد في مروءة الرجل أنْ يكون حافظاً لما يؤتمن عليه من أسرار، قال المتنبي من أبيات جعلها خطاباً لمن أودعه، وخشي من إذاعته :

كفــتك المــروءة مــا تتقــي و أمــنك الــود مــا تحــذر

عاشرها: وذو المروءة يحذر أنْ يؤذي شخصاً ما، وأشد ما يحذر أنْ يؤذي ذا مروءة مثله:

وأســتحي المــروءة أنْ تــراني قــتلت مناســي جلــداً وقهــراً

ما يعين على المروءة :

وَالدَّاعِي إِلَى اسْتِسْهَالِ ذَلِكَ عدة أمور:

١) **عُلُوُّ الْهِمَّةِ :**

فَلِأَنَّهُ بَاعِثٌ عَلَى التَّقَدُّمِ وَدَاعٍ إِلَى التَّخْصِيصِ أَنَفَةً مِنْ خُمُولِ الضَّعَةِ، وَاسْتِنْكَارًا لِمَهَانَةِ النَّقْصِ.

وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ وَأَشْرَافَهَا، وَيَكْرَهُ دَنِيَّهَا وَسَفْسَافَهَا)**.

وَجاء عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: لا تُصَغِّرَنَّ هِمَّتَكُمْ فَإِنِّي لَمْ أَرَ أَقْعَدَ عَنْ الْمَكْرُمَاتِ مِنْ صِغَرِ الْهِمَمِ.

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: (الْهِمَّةُ رَايَةُ الْجِدِّ). وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ: (عُلُوُّ الْهِمَمِ بَذْرُ النِّعَمِ). وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: (إِذَا طَلَبَ رَجُلَانِ أَمْرًا ظَفِرَ بِهِ أَعْظَمُهُمَا مُرُوءَةً). وَقَالَ بَعْضُ الأُدَبَاءِ: (مَنْ تَــرَكَ الْتِمَاسَ الْمَعَالِي بِسُوءِ الرَّجَاءِ لَمْ يَنَلْ جَسِيمًا).

٢) **شَرَفُ النَّفْسِ :**

فَإِنَّ بِهِ يَكُونُ قَبُولُ التَّأْدِيبِ، وَاسْتِقْرَارُ التَّقْوِيمِ وَالتَّهْذِيبِ، لِأَنَّ النَّفْسَ رُبَّمَا جَمَحَتْ عَنْ الْأَفْضَلِ وَهِيَ بِهِ عَارِفَةٌ، وَنَفَرَتْ عَنْ التَّأْدِيبِ وَهِيَ لَهُ مُسْتَحْسِنَةٌ؛ لِأَنَّهَا عَلَيْهِ غَيْرُ مَطْبُوعَةٍ، وَلَهُ غَيْرُ مُلَائِمَةٍ، فَتَصِيرُ مِنْهُ أَنْفَرَ، وَلِضِدِّهِ الْمُلَائِمِ آثَرَ. وَقَدْ قِيلَ: مَا أَكْثَرَ مَنْ يَعْرِفُ الْحَقَّ وَلَا يُطِيعُهُ.

وَإِذَا شَرُفَتْ النَّفْسُ كَانَتْ لِلْآدَابِ طَالِبَةً، وَفِي الْفَضَائِلِ رَاغِبَةً، فَإِذَا مَازَجَهَا صَارَتْ طَبْعًا مُلَائِمًا فَنَمَا وَاسْتَقَرَّ.

٣) **مجالسة أهل المروءات :**

وقد جاء أنَّ مجالسة أهل الديانة تجلو عن القلب صدأ الذنوب، ومجالسة أهل المروءات تدل على مكارم الأخلاق، ومجالسة العلماء تذكي القلوب.

٤) **المال الصالح الحلال :**

وهو من أحسن ما يستعين به المرء على إقامة المروءة، فمن رُزق ذلك وضن بإنفاقه في إقامة مروءته فهو الذي خسر الدنيا والآخرة.

ثمراتها :

١) **تكسب صاحبها الاحتــرام والتقدير وترغب الناس في مجالسته لتعلم المروءة منه:** ومن الحكم السائرة: (ذو المروءة يكرم وإن كان معدمًا، كالأسد يهاب وإنْ كان رابضا، ومن لا مروءة له، يهان وإن كان موسرًا، كالكلب يهان وإن طوق وحلي بالذهب)[1].

وقد جاء أنَّ مجالسة أهل الديانة تجلو عن القلب صدأ الذنوب، ومجالسة أهل المروءات تدل على مكارم الأخلاق، ومجالسة العلماء تذكي القلوب.

٢) **لذة النفس:** وتتحقق بشعورها ببلوغ كمال الإنسانية أو الاقتــراب منها.

٣) **راحة الضمير:** وهو ما يجده الإنسان حين يبلغ في المروءة غاية سامية تنسيه كل مشقة، ولا يبقى معها للتعب باقية، قال المتنبــي :

تلــذ لــه المــروءة وهــي تــؤذي و مــن يعشــق يلــذ لــه الغــرام

---

(١) المروءة محمد الخضر حسين (١٢٤).

الصحبة وأثرها على تزكية النفس إيجابًا وسلبًا

أهمية هذا الموضوع :

إنّ هذا الأمر من أعظم ما يبعث الهمة، ويربي الأخلاق الرفيعة في النفس، ويعين على تزكية النفس وتهذيبها، فالإنسان مولع بمحاكاة من حوله، شديد التأثر بمن يصاحبه.

والصداقة أو الصحبة الشريفة لا صداقة المنفعة أو صحبة المصلحة تشبه سائر الفضائل من حيث رسوخها في النفس، وإيتاؤها ثمرًا طيبًا في كل حين، فهي توجد من الجبان شجاعًا، ومن البخيل سخاءً، فالجبان قد تدفعه قوة الصداقة إلى أنْ يخوض في الخطر ليحمي صديقه من نكبة.

والبخيل قد تدفعه قوة الصداقة إلى أنْ يبذل جانبًا من ماله لإنقاذ صديقه من شدة.

فالصحبة المتينة لا تحل في نفس إلا هذبت أخلاقها الذميمة، فالمتكبر تنـزل به الصداقة إلى أنْ يتواضع لأصحابه، وسريع الغضب تضع الصحبة في نفسه شيئًا من كظم الغيظ، فيجلس إلى أصحابه في حلم وأناة، وربما اعتاد التواضع والحلم، فيصير بعد ذلك متواضعًا حليمًا.

بل إنّ كثيرًا من النابغين يعزون نبوغهم إلى أنّهم وفقوا لاختيار صاحب أو أصحاب أثروا فيهم أثرًا صالحًا، ونبهوا فيهم قوى كانت خاملة.

فإذا ما وفق المرء لصحبة الأخلاء العقلاء من ذوي الدين والمروءة فإن ذلك من علامات توفيقه، ومن مهيئات نبوغه. فإذا كان الأمر كذلك فما أجدر المرء أنْ يبحث عن إخوان الثقات، وأصحاب الخير، حتى يعينوه على كل خير، ويقصروه عن كل شر.

قال ابن حزم -رحمه الله-: من طلب الفضائل لم يساير إلا أهلها، ولم يرافق في تلك الطريق إلا أكرم صديق من أهل المواساة، والبر، والصدق، وكرم العشيرة، والصبر، والوفاء، والأمانة، والحلم، وصفاء الضمائر، وصحة المودة.

ومن طلب الجاه، والمال، واللذات لم يساير إلا أمثال الكلاب الكلبة، والثعالب الخلبة، ولم يرافق في تلك الطريق إلا كل عدو المعتقد، خبيث الطبيعة. (١)

قال الشاعر :

لم يخلق الرحمن أحسن منظرًا — من مسلمين على طريق واحد

(١) الأخلاق والسير ص:٢٤-٢٥

متعاونين عليهم حلل الرضا — متساندين بدرهم وبساعد
وإذا تآلفت القلوب على الرضا — فالناس تضرب في حديد بارد

وقال الآخر:

لله في الأرض أجناد مجندة — أرواحها بيننا بالصدق تعترف
فما تعارف منها فهو مؤتلف — وما تناكر منها فهو مختلف

ولما للصديق من تأثير بالغ في صديقه، فقد يكون سببًا للتذكير بالله تعالى، وقد يضل عن الذكر، وقد يكون حاملاً للمسك ،أو يكون نافخًا للكير، ولذلك جاء التأكيد على اختيار الصاحب في كتاب الله تعالى، وعلى لسان رسول الله ﷺ، وجاء الثناء على حسن اختيار الصاحب على ألسنة الصالحين ممن كان لهم قصب السبق في أبواب الخير الكثيرة.

التأصيل الشرعي لهذا الموضوع :

من القرآن:

قال الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف :٢٨].

قال الله تعالى عن موسى مع الرجل الصالح: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف :٦٦].

من السنة:

١) **أمر النبي باختيار الصاحب :**

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ؓ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (لا تُصَاحِبْ إِلاَّ مُؤْمِنًا، وَلا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلاَّ تَقِيٌّ). (١)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ قَالَ: عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلامِ إِذَا فَقُهُوا، وَالأَرْوَاحُ جُنُودٌ

(١) أخرجه أبو داود برقم:٤٨٣٢ ،والترمذي برقم: ٢٣٩٧ والحديث حسن.

مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ). (١)

٢) **إخبار النبي عن تأثير الصاحب على صاحبه في الدنيا :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِه، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ). (٢)

عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً). (٣)

عَنْ عَائِشَةَ -رضي الله عنها- قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِالأَمِيرِ خَيْرًا، جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صِدْقٍ، إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ، جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ سُوءٍ، إِنْ نَسِيَ لَمْ يُذَكِّرْهُ، وَإِنْ ذَكَرَ لَمْ يُعِنْهُ). (٤)

٣) **حرص الصاحب على رؤية صاحبه :**

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِجِبْرِيلَ: مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا؟ فَنَزَلَتْ: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ [مريم:٦٤]. (٥)

٤) **طلب الصاحب من صاحبه الدعاء له :**

عَنْ عُمَرَ ﷺ قَالَ: اسْتَأْذَنْتُ النَّبِيَّ فِي الْعُمْرَةِ فَأَذِنَ لِي، وَقَالَ: لا تَنْسَنَا يَا أُخَيَّ مِنْ دُعَائِكَ، فَقَالَ كَلِمَةً مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لِي بِهَا الدُّنْيَا. (٦)

٥) **إكثار الصاحب من زيارة صاحبه وأجر ذلك:**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ: (أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ

(١) أخرجه مسلم برقم:٢٦٣٨
(٢) أخرجه أبو داود: ٤٨٣٣، والترمذي برقم:٢٣٧٩ والحديث صحيح.
(٣) أخرجه البخاري برقم:٥٥٣٤ ومسلم:٢٦٢٨.
(٤) أخرجه أبو داود برقم:٢٩٣٢ ،والنسائي :٤٢٠٤ والحديث صحيح.
(٥) أخرجه البخاري برقم:٤٧٣١.
(٦) أخرجه أبو داود برقم:١٤٩٨ والترمذي :٣٥٦٢ وقال حسن صحيح، (وهو ضعيف).

الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا ؟ قَالَ: لا غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ ﷻ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ). (١)

٦) **التأثير الأخروي من الصاحب على صاحبه :**

عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: الرَّجُلُ يُحِبُّ الْقَوْمَ وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ ؟ قَالَ: الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ. (٢)

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ: أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟ قَالَ: حُبَّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، قَالَ: أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ. (٣)

شروط الصاحب:

إن لرفقاء درب الآخرة خصائص ومواصفات لا بد منها، فرفقاء طريق الآخرة هم الذين علت هممهم، وصفت نياتهم، وصح سلوكهم، حتى سبقوا الناس وتـركوا السكون، وتزاحموا على ركوب القافلة ركضا إلى الله تعالى، وتسارعًا إلى مرضاته، فقد علت منهم الهمة التي لا تقف دونها حركة السير، ولا يرضى صاحبها بغير الخالق عوضا، كما صفا منهم القصد الخالص من الشوائب حتى لا تعوق عن المقصود، وكان منهم التجرد التام للمعبود، وعلامة أخرى لرفقاء الطريق هؤلاء ألا وهي صحة السلوك السالم من الآفات والعوائق والقواطع والحجب.

ولهؤلاء الرفقاء والأصحاب خصائص لا بد منها لرفقة طريق الآخرة :

- **أولاها** :خصائص فردية تمكن الفرد من العيش والعمل، وتحمل المشاق ،وصحة التوجيه: كالعلم، والحماسة ،وغيرها من مجمل صفات المسلم المقتصد العادية.
- **الثانية**: خصائص ملائمة للحياة الاجتماعية تمكنه من العيش مع جماعة حتى يتفاعل معها، ويؤثر في مسيرتها، كالأخوة، والطاعة، والصبر والإيثار.
- **ثالثها**: خصائص جهادية تمكنه من تحمل مشاق السفر الطويل، والأخذ بالعزائم، والمرونة في التعامل، والشجاعة، والتضحية.

حسن اختيار الصاحب ممن يكونون مفاتيح للخير مغاليق لأبواب الشر :

لما جاء عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ مِنْ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ

(١) أخرجه مسلم برقم:٢٥٦٧.
(٢) أخرجه البخاري برقم: ٦١٧٠ ،ومسلم برقم: ٢٦٤٠.
(٣) أخرجه البخاري برقم: ٦١٧٠ ومسلم برقم:٢٦٣٩

مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ». (١)

- وهذه النوعية المختارة يجب أن تكون ذات مواصفات معينة ذكرها ابن عباس -رضي الله عنهما- فيما يلي :

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: **قيل: يا رسول الله، أي جلسائنا خير ؟. قال: من ذكركم الله رؤيته، وزاد في علمكم منطقه، وذكركم الآخرة عمله.** (٢)

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- عن النبي في قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[يونس: ٦٢] قال: **هـم الذين يذكر الله لرؤيتهم**. (٣)

- ولذا فعلى الإنسان المسلم أنْ يختار من ينفعه في دينه :

ولهذا كان زين العابدين علي بن الحسين -رحمه الله تعالى- يقول: إنما يجلس الرجل إلى من ينفعه في دينه.

ولأن التجريب إنما يكون قبل التقريب، فقد كان الإمام أحمد -رحمه الله- يدقق في اختيار من يقربه منه وبدنيه، وعرف عنه ذلك، حتى قال فيه الشاعر :

ويُحسِــــنُ في ذات الإلــــه إذا رأى ... مضيما لأهل الحـق لا يسـأم البـلا
وإخــوانه الأدنـــون: كــل موفــق ... بصــير بأمــر الله يســمو إلى العــلا

- فصفات أصحاب احمد بن حنبل الذين يختارهم: بصراء بأمر الله تعالى: يجدهم الله تعالى حيث أمرهم، ويفتقدهم حيث نهاهم، إنْ تكلموا فبالله، وإنْ سكتوا فبالله، وإنْ تحركوا فبالله، وإنْ أحبوا فبالله، وإنْ عادوا فبالله، وإنْ قدموا خطوة أو أخروها فبالله.

يَسْمون إلى العلا: فيذكرون بالله إنْ نسيت، وبالموت إنْ غفلت عنه، وبحقيقة الدنيا إنْ انشغلت بها، وبالصف الأول إنْ افتقدك فيه، وبسنة النبي ﷺ إنْ بعدت عنها، وبورد القرآن إنْ هجرته، وباستغفار الأسحار إنْ نمت عنه، وبظمأ الهواجر إنْ تـــركته.

(١) أخرجه ابن ماجة برقم:٢٣٧ والحديث حسن.
(٢) أخرجه أبو يعلى برقم:٢٤٣٧ وقال البوصيري: رواته ثقات، والحديث حسن لغيره.
(٣) رواه أبو نعيم في أخبار أصبهان والواحدي والديلمي كما في السلسلة الصحيحة رقم:١٦٤٦

الآثار الإيجابية للصحبة الخيرة في تزكية النفس

١) تأثير الصاحب في تصحيح المفاهيم الخاطئة عند صاحبه :

عَنْ حَنْظَلَةَ الأُسَيِّدِيِّ -مِنْ كُتَّابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ- قَالَ: لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ ﷺ فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ تعالى مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ، وَالأَوْلادَ، وَالضَّيْعَاتِ، فَنَسِينَا كَثِيرًا.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَمَا ذَاكَ ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ، وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً، ثَلاثَ مَرَّاتٍ**. (١)

والشاهد فيه أنّ صحبة النبي ﷺ ومجالسته كانت تسمو بنفوس الصحابة - رضوان الله عليهم- وتـــرقق قلوبهم حتى أصبح الغيب عندهم شهادة، وأنّ غيابهم عن هذا الجو الطيب كان ينــزل بهم عن هذه الشفافية العالية، كما أنّ صحبة أبي بكر ﷺ لحنظلة كانت بفضل الله تعالى سببا في تصحيح الفهم حيث أشار عليه بالذهاب إلى النبي ﷺ.

وفي هذا يقول بلال بن سعد -رحمه الله-: أخ لك كلما لقيك ذكرك بنصيبك من الله تعالى، وأخبرك بعيب فيك، أحب إليك وخير لك من أخ كلما لقيك، وضع في كفك دينارًا.

ومن ذلك ما جاء عن سفيان بن حسين الواسطي قال:

ذكرتُ رجلاً بسوء عند إياس بن معاوية المُزَني -رحمه الله تعالى - قاضي البصرة، فنظر في وجهي وقال:

أغزوتَ الرومَ؟ قلت: لا!

قال: السِّندَ والهندَ والتُّــركَ؟ قلت: لا!

قال: أفسلمَ منك الروم والسند والهند والتــرك، ولم يَسلم مَنك أخوكَ المسلم؟!

(١) أخرجه مسلم برقم :٢٧٥٠ والترمذي برقم:٢٤٥٢ وابن ماجة برقم:٤٢٣٩

قال سفيان: فلم أعد بعدها -يعني إلى عيب أحد من الناس أو غيبته.[١]

٢) سيرة الأصحاب الصالحين في ترقيق القلوب والتزهيد في الدنيا :

عَنْ إِبْرَاهِيمَ بن عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْف: (أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْف ﷺ أُتِيَ بطَعَام وَكَانَ صَائِمًا، فَقَالَ: قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي، كُفِّنَ فِي بُرْدَةٍ إِنْ غُطِّيَ رَأْسُهُ بَدَتْ رِجْلاهُ، وَإِنْ غُطِّيَ رِجْلاهُ بَدَا رَأْسُهُ، وَأُرَاهُ قَالَ: وَقُتِلَ حَمْزَةُ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي، ثُمَّ بُسِطَ لَنَا مِنْ الدُّنْيَا مَا بُسِطَ، أَوْ قَالَ: أُعْطِينَا مِنْ الدُّنْيَا مَا أُعْطِينَا، وَقَدْ خَشِينَا أَنْ تَكُونَ حَسَنَاتُنَا عُجِّلَتْ لَنَا، ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي حَتَّى تَــرَكَ الطَّعَامَ). [٢]

قال ابن بطال في تعليقه على هذا الحديث: وفيه أنه ينبغي ذكر سير الصالحين وتقللهم في الدنيا لتقل رغبته فيها [٣]

٣) تأثير الصحبة في استدامة طريق التوبة :

عَنْ أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيِّ: أَنَّ نَبِيَّ اللَّه ﷺ قَالَ:

(كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَاهِب فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لا، فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ، انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدْ اللَّهَ مَعَهُمْ، وَلا تَــرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ، أَتَاهُ الْمَوْتُ فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ، وَمَلائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلاً بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ، وَقَالَتْ مَلائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ، قَالَ قَتَادَةُ: فَقَالَ الْحَسَنُ: ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ الْمَوْتُ نَأَى بِصَدْرِهِ).[٤]

(١) البداية والنهاية :٩/٣٣٦، وتهذيب الكمال :٣/٤١٢
(٢) أخرجه البخاري برقم:١٣٧٥
(٣) فتح الباري: ٧/٤١٠
(٤) أخرجه البخاري برقم: ٣٤٧٠ ومسلم برقم:٢٧٦٦

٤) الصاحب الصالح يعين على تحريك القلب الجامد :

شكا شاب إلى الإمام البنا -رحمه الله- جمود قلبه فكان مما وصفه له بقوله:

(صحبة أهل الخشوع والتأمل، وملازمة أهل الفكر والتبتل، وملازمة هذا الصنف من الأتقياء الصالحين الذين تتفجر جوانبهم بالحكمة وتشرق وجوههم بالنور، وتزدان صدورهم بالمعرفة -وقليل ما هم- دواء ناجع، فاجتهد أن يكون لك من هؤلاء أصدقاء تلازمهم وتأوي إليهم وتصل روحك بأرواحهم ،ونفسك بنفوسهم، وتقضي معهم معظم وقت الفراغ، واحذر الأدعياء، وتحر من ينهضك حاله، ويدلك على الخير فعاله، ومن إذا رأيته ذكرت الله تعالى، هذه الصحبة من أنفع الأدوية فالطبع سراق، والقلب يتأثر بالقلب، وتستمد الروح من الروح، فاجتهد أن تجد لك من الأرواح الصالحة صاحبًا).[١]

وفي ذلك أيضا ما جاء عن بشر بن الحارث الحافي -رحمه الله- حيث قال: (بحسبك أنّ قومًا موتى تحيا القلوب بذكرهم، وأن قومًا أحياءً تقسو القلوب برؤيتهم).

ويعتبر إبراهيم الخواص - رحمه الله- أن مصاحبة الصالحين ومجالستهم دواء للقلوب من أمراضها حيث قال: دواء القلوب خمسة أشياء: قراءة القرآن بتدبر، وخلاء البطن وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين.

وعن جعفر قال: (كنت إذا وجدت من قلبي قسوة، نظرت إلى وجه محمد بن واسع نظرة، وكنت إذا رأيت وجه محمد بن واسع حسبت أنّ وجهه وجه ثكلى).

٥) الصحبة الصالحة ترفع الهمة في العبادة والسلوك:

فالصاحب الصالح يكون عونًا لصاحبه في درب العبادة وسلوك طريق الحق بقوله وفعله، فقد جاء عن معاذ ﷺ (أنّه كان يقول للرجل من أصحابه حين يلقاه: اجلس بنا نؤمن ساعة، فيجلسان فيذكران الله تعالى ويحمدانه).

وقد جاء في رفع الصاحب همة صاحبه في العبادة خاصة إذا كان صاحب اجتهاد في العلم والعبادة، فيلاحظ أقواله وأفعاله ويقتدي به حيث جاء عن بعض أصحاب محمد بن واسع -رحمه الله- قوله :

(كنت إذا اعتــرتني فتــرة في العبادة نظرت إلى أحوال محمد بن واسع وإلى اجتهاده، فعملت على ذلك أسبوعًا).

(١) مجلة الإخوان المسلمين ١٥/رمضان ١٣٦١هـ

ولأن هذا النوع من الأصحاب قد تعذر وجوده، أو ندر وجوده في زماننا فإنّ ابن الجوزي -رحمه الله- ينصح طلاب العلم بقوله :

فسبيل طالب الكمال في طلب العلم الاطلاع على الكتب التي قد تخلفت من المصنفات، فليكثر من المطالعة، فإنه يرى من علوم القوم وعلو هممهم ما يشحذ خاطره، ويحرك عزيمته للجد، وما يخلو كتاب من فائدة.

وأعوذ بالله من سير هؤلاء الذين نعاشرهم، لا نرى فيهم ذا همة عالية، فيقتدي بها المبتدي ،ولا صاحب ورع فيستفيد منه الزاهد.

فالله الله وعليكم بملاحظة سير السلف، ومطالعة كتبهم رؤية لهم، كما قال :

فاتني أنْ أرى الديار بطرفي   فلعلي أرى الديار بسمعي

ثم بين -رحمه الله- فائدة مطالعة كتب الأقدمين بقوله: (فاستفدت بالنظر فيها من ملاحظة سير القوم، وقدر هممهم، وحفظهم، وعباداتهم، وغرائب علومهم، ما لا يعرفه من لم يطالع). (١)

٦) الصحبة الصالحة تعين على التسابق إلى الخيرات :

جاء عن محمد بن علي السلمي -رحمه الله- قوله: قمت ليلة لآخذ النوبة على ابن الأخرم، فوجدته قد سبقني ثلاثون قارئًا، ولم تدركني النوبة إلى العصر.

وقال علي بن الحسين بن شقيق: (قمت لأخرج مع ابن المبارك في ليلة باردة من المسجد، فذاكرني عند الباب بحديث، أو ذاكرته فما زلنا نتذاكر حتى جاء المؤذن للصبح).

وفي ذلك يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما أعطي عبد بعد الإسلام خيرًا من أخ صالح، فإذا رأى أحدكم ودًّا من أخيه فليتمسك به.

وقال الحسن البصري -رحمه الله-: (إخواننا أحب إلينا من أهلنا وأولادنا، لأن أهلنا يذكروننا بالدنيا، وإخواننا يذكروننا بالآخرة).

ولذلك كان الشاعر محمد إقبال -رحمه الله- يدعو الله أنْ يهب له ويمنّ عليه بصاحب خير عالي الهمة:

هب نجيا يا ولي النعمة   محرما يدرك ما في فطرتي
هب نجيا لقنا ذا جنة   ليس بالدنيا له من صلة

(١) صيد الخاطر :٣٦٦-٣٦٧

اقرأ وتدبر واحذر

آفات لا بد أنْ يحذر منها :

ومع فضل الصحبة، وقدر الترابط بين الأصحاب، فإنّ مع كل منفعة ومصلحة شائبة قد تحولها إلى المفسدة، أو تغيرها من الخير إلى الشر، ما لم تؤخذ الأمور بضوابطها، وتحدد المسائل بشروطها، فليعلم المسلم أنّ:

الاجتماع بهم على التعاون على أسباب النجاة والتواصي بالحق والصبر، فهذا من أعظم الغنيمة وأنفعها، ولكن فيه ثلاث آفات :

- **إحداها**: تزين بعضهم لبعض.
- **الثانية**: الكلام والخلطة أكثر من الحاجة.
- **الثالثة**: أنْ يصير ذلك شهوة وعادة ينقطع بها عن المقصود. (١)

فإن تزين البعض للبعض يدخل الرياء والنفاق، ويفوت المصالح، وتكون الرفقة لأجل الإثم والعدوان، كما أنّ الخلطة الزائدة عن الحاجة تؤدي إلى اللهو غير المباح، فتضيع الأوقات، وتهدر الطاقات، ويتشتت الخير.

كما أنّ الاجتماع قد يصبح شهوة لذاته، فتفوت به الطاعات، ويصد عن المعروف، وتختلف بسببه الأولويات، فتضيع الأهداف من أجل الوسائل، وتهدر المقاصد من أجل الأساليب.

تأثير الصحبة السيئة على أصحابها :

فالصحبة السيئة تحسن القبيح وتقبح الحسن، وتجر المرء إلى الرذيلة، وتبعده عن كل خير وفضيلة، ذلك أنّ المرء يتأثر بعادات جليسه، فالصاحب ساحب، والطبع سراق.

ثم إنّ مجالسة المخذلين ومرافقتهم تنساق بصاحبها إلى الحضيض، فكلما هم بالصعود عوقوه عن همته، وثنوه عن عزيمته، تارة بالتخذيل، وتارة بالتخويف، وتارة بوضع العراقيل وهكذا.

ولو لم يأته من مجالسة هؤلاء إلا أنْ يقارن حاله بحالهم، فيتعاظم في نفسه، ويرى أنه ارفع منهم قدرا، وأعلى منهم منزلة، فلا يسعى في إصلاح حاله، ولا في رفع شأنه، بل

(١) الفوائد لابن القيم:ص٦٠

ربما قاده ذلك إلى مقارنة سيئاته بسيئاتهم، فيستقل سيئاته بجانب سيئاتهم، فيجره ذلك إلى الجرأة والإقدام على فعل الموبقات والآثام ،فصحبة هؤلاء البطالين تعلم تضييع الزمان.

قال عبد الله بن مسعود ﵁:

اعتبروا الرجل بمن يصاحب، فإنما يصاحب الرجل من هو مثله.

وذكر أبو حامد الغزالي -رحمه الله- أنّ من آداب المتأدب أنْ: (يحترز عن مجالسة صاحب السوء، ليقصي ولاية شياطين الجن والإنس من صحن قلبه، فيصفو عن لوثة الشيطنة). (1)

وصدق البارودي إذ يقول :

تعست مقارنة اللئيم فإنها ... شرق النفوس ومحنة الكرماء
أنا في زمان قلّب ومعاشر ... يتلونون تلون الحرباء
قد أصبحوا للدهر سبة نادم ... من كل مصدر محنة وبلاء
وأشد ما يلقى الفتى من دهره ... فقد الكرام وصحبة اللؤماء(2)

أقوال الصالحين من السلف في مدح الصاحب الصالح والرغبة في تحصيله :

كان الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله-: (إذا بلغه عن شخص صلاح أو زهد أو قيام بحق، أو اتباع للأمر :سأل عنه، وأحب أنْ يجري بينه وبينه معرفة، وأحب أنْ يعرف أحواله).

قال الشاعر :

أنت في الناس تقاس ... بالذي اخترت خليلا
فاصحب الأخيار تعلو ... وتنل ذكرًا جميلا

قال الشيخ بشير الغزي الحلبي – رحمه الله-:

رأيت الطين في الحمام يومًا ... بكف الحب أثر ثم نسم
فقلت له: أمسك أم عبير ... لقد صيرتني بالحب مغرم
أجاب الطين: إني كنت تربًا ... صحبت الورد صيرني مكرم
ألفت أكابرا وازددت علمًا ... كذا من عاشر العلماء يكرم

(1) أيها الولد :ص١٣٠

(2) ديوان البارودي :ص٣١

اقرأ وتدبر

صحبة لا تعني الانعزال عن الآخرين :

إنّ الصحبة الصالحة لا تعني الانعزال عن بقية شرائح المجتمع، فهذا معناه تـرك الكثير من الواجبات وعلى رأسها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإنّما المطلوب أنْ يجعل المسلم أكثر اختلاطه بالصالحين وأنْ يحرس قلبه من التأثر بغيرهم، وإنْ اختلط بغير الصالحين:

وفي هذا يقول الإمام ابن القيم -رحمه الله-: (فليجتهد أنْ يقلب ذلك المجلس طاعة لله إنْ أمكنه، ويشجع نفسه ويقوي قلبه، ولا يلتفت إلى الوارد الشيطاني القاطع له عن ذلك ....

وليستعن بالله ويؤثر فيهم من الخير ما أمكنه، فإنْ أعجزته المقادير عن ذلك فليستل قلبه من بينهم كسل الشعرة من العجين، وليكن فيهم حاضرًا غائبًا، قريبًا بعيدًا، نائمًا يقظان،ينظر إليهم ولا يبصرهم ويسمع كلامهم ولا يعيه، لأنّه قد أخذ قلبه من بينهم ورقى به إلى الملأ الأعلى) (1)

(1) مدارج السالكين :١/٤٩٠.

رعاية ود الأخوة وعدم إنكار فضل الآخرين

(الأخوة ذوق، الأخوة أحاسيس ومشاعر، الأخوة تعامل مع القلوب والمشاعر والأنفاس، الأخوة وداد وانتماء)

بهذه الكلمات نبدأ الحديث عن موضوع في غاية الأهمية، وعن نعمة من النعم الكبرى التي حبانا الله تعالى إياها وامتنَّ بها (رابطة الأخوة في الله تعالى)، حيث قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾[آل عمران ١٠٣]، وهي نعمة لا تشترى بالمال ولا بالأعراض الدنيوية الزائلة، لأنها منحة من الله سبحانه وتعالى يلقيها في قلوب عباده، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال ٦٣].

ولا يشعر بعظمة هذه النعمة إلا من استظل بظلها، وعاش السعادة الغامرة والراحة النفسية التي تظل المتآخين في الله تعالى بصدق.

ولأنَّ الأخوة وداد وانتماء، ولا بد من رعاية هذا الود ليزداد وينمو، ولأجل المحافظة عليه ورعايته جاءت هذه التوجيهات :

١) أنْ تفرح بلقاء إخوانك وتبشَّ في وجوههم، وتُسَرَّ برؤياهم :

وقد ضرب لنا سلفنا الصالح أروع الأمثلة في هذا الباب الذي يزيد مشاعر الود في قلوب المتحابين قوة ومتانة، ويبعث السعادة الغامرة في النفوس.

وقد علمنا رسول الله ﷺ هذا السلوك كما جاء عَنْ جَرِيرٍ ؓ قَالَ: (**مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلا رَآنِي إِلاَّ تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي، وَلَقَدْ شَكَوْتُ إِلَيْهِ أَنِّي لا أَثْبُتُ عَلَى الْخَيْلِ، فَضَرَبَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا**)(١).

وهذا عبد الله بن مسعود ؓ كان يقول لأصحابه: (أنتم جلاء حزني، أنتم جلاء

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٠٣٥)، (٦٠٨٩)، ومسلم برقم (٢٤٧٥)، وابن ماجة برقم (١٥٩).

قلبي)(١).

وكذا أكثم بن صيفي -رحمه الله- كان يقول: (لقاء الأحبة مسلاة للهم)(٢).

ومثله طلحة بن مصرف -رحمه الله- كان يقول لأخ له: (للقياك أحب إلي من العسل)(٣).

بل يبلغ الحب والود للإخوان مداه في قلب بعض السلف حتى يجعل منه لذة العيش في هذه الدنيا: حيث يقول محمد بن مناذر -رحمه الله -، حين سئل في أي شيء وجدت لذة العيش؟ فقال: في محادثة الإخوان والرجوع إلى الكفاية (٤).

قال بعضهم :

أنتم سروري وأنتم مشتكى حزني ... وأنتم في سواد الليل سماري
أنتم وإن بعدت عنا منازلكم ... نوازل بين أسراري وتذكاري
فإنْ تكلمت لم ألفظ بغيركم ... وإنْ سكت فأنتم عقد إضماري
الله جاركم مما أحاذره ... فبكم وحي لكم من هجركم جاري(٥)

٢) إذا أحببت فصرح بحبك لإخوانك :

إنَّ التعبير عن مشاعر المحبة الغامرة في القلب لإخواننا مجلبة للخير، وكشف عن المشاعر النبيلة التي نحملها لمن نحبهم في الله تعالى، ولهذا جاء عَنْ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ ؓ: عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (**إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ**)(٦).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ؓ: (أَنَّ رَجُلاً كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّ هَذَا؟ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: أَعْلَمْتَهُ؟ قَالَ: لا، قَالَ: أَعْلِمْهُ، قَالَ: فَلَحِقَهُ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّكَ فِي اللَّهِ، فَقَالَ: أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ)(٧).

والتصريح بالمشاعر الجياشة بالحب، إما أنْ يكون مواجهة وإمّا أنْ يكون كتابة، فهذا أيوب السختياني -رحمه الله- يقول: (إذا بلغني موت أخ لي، فكأنما سقط عضو

(١) روضة العقلاء لابن حبان (ص٩٢).
(٢) كتاب الإخوان لابن أبي الدنيا برقم (٩٤).
(٣) المرجع السابق برقم (٨٧).
(٤) المرجع السابق برقم (٩١).
(٥) الصداقة والصديق:ص٣٨
(٦) برقم (٥١٢٤)، وأحمد (٥/١٤٥) وهو صحيح.
(٧) أخرجه أبو داود برقم (٥١٢٥)، وأحمد (٣/١٤٠)، وهو صحيح.

مني(١).

وقال أبو حاتم السجستاني: إذا مات لي صديق سقط مني عضو.(٢)

- وهاهنا دعوة إلى إظهار المحبة :فقد علقت لوحة على باب هيئة الأمم المتحدة بنيويورك، مكتوب عليها قطعة جميلة من الشعر للشاعر العالمي السعدي الشيرازي، وقد تـرجمت إلى الإنجليزية، وهي تدعو إلى الإخاء والألفة والاتحاد ويقول :

قال لي المحبوب لما زرته … من ببابي قلت بالباب أنا
قال لي: أخطأت تعريف الهوى … حينما فرقت فيه بيننا
ومضى عام فلما جئته … أطرق الباب عليه موهنا
قال لي :من أنت، قلت: انظر فما … ثم إلا أنت بالباب هنا
قال لي: أحسنت تعريف الهوى … وعرفت الحب فادخل ياأنا

❖ وهذا الأستاذ سيد قطب -رحمه الله- يقول :

أخي ذلك اللفظ الذي في حروفه … رموز، وألغاز، لشتى العواطف
أخي ذلك اللحن الذي في رنينه … ترانيم إخلاص، وريا تآلف
أخي أنت نفسي، حينما أنت صورة … لآمالي القصوى التي لم تشارف
تمنيت ما أعيا المقادير، إنما … وجدتك رمزا للأماني الصوارف
فأنت عزائي في حياة قصيرة … وأنت امتدادي في الحياة وخالفي
على أي حال أراك مخلدي … و باعث أيام العذاب السوالف

وقد كتب بعض الشعراء لبعض إخوانه يعبر عن محبته الصادقة :

أما و الذي شاء لم يخلق النوى … لئن غبت عن عيني لما غبت عن قلبي
أخي رعاك الله في كل وجهة … توجهتها من بين شرق إلى غرب
توهم منك الشوق حتى كأنني … أناجيك من قرب وإن لم تكن قربي
وأرقب إشفاقا عليك من القذى … وهب ضميري منه أجنحة الرعب
عسى و لعل الله يسر ما انطوت … عليه من الأقدار من شدة الكرب

كتب الزهيري لابن السكن :

(١) عيون الأخبار (٤٠٣).
(٢) الصداقة والصديق :ص٣٩

لئن غاب عن عيني شخصك بالنوى … لما غاب عن قلبي المصافاة والود
ولا نسيتك النفس مني ساعة … ولاانتقض الميثاق والود والعقد(١)

وقال علي بن هارون :

لئن غبت عن عيني بالبعد والنوى … لما غبت عن فكري وعن ناظر القلب
أراك على بعد المسافة بيننا … كما تبصر العينان مني على القرب(٢)

٣) الحر من راعى وداد لحظة، ودان لمن علمه لفظة :

عبارة تكتب بماء الذهب أطلقها فيها المودة والمحبة والزهد أيوب السختياني -رحمه الله -، ليجعل منها برقية يرسلها إلى قلوب المتحابين الذين يحسنون رعاية الود، فالحر هو الذي يحسن رعاية ود اللحظات، ويحفظ حق الصحبة والأخوة.

اقرأ وتدبر:

وهذه دعوة لكم لتقرأوا هاتين الحادثتين بإمعان :

(أحضر الحجاج رجلا، فأمر بضرب عنقه، فقال الرجل: أيها الأمير خذ بيدي وامش معي على بساطك،ثم اصنع بي ما شئت.فاستجاب الحجاج لطلبه،فقال الرجل: **بحق هذه الصحبة أن تعفو عني**، فعفا عنه وقال: **أتيت بشفيع عظيم**، فلم يضيع الحجاج صحبة لحظة)(٣).

فهذا الحجاج الذي قيل فيه ما قيل، رعى صحبة لحظة و لم يضيعها، ونحن كم قضينا من لحظات وساعات وأيام وسنوات في صحبة إخواننا، فهذه الصحبة تستحق منا أنْ نراعي حقها.

الحادثة الثانية: فقد جاءت في كتاب الإمتاع والمؤانسة(٤): (أنَّ عبدًا حبشيًا ناوله مولاه شيئا يأكله، ثم قال له: أعطني قطعة منه فأعطاه، فلما أكله وجده مرا، فقال: يا غلام كيف أكلت هذا مع شدة مرارته؟ فقال: يا مولاي، قد أكلت من يدك حلوًا كثيرًا، و لم أحب أنْ أريك من نفسي كراهة لمرارته).

ونحن كم عشنا مع إخواننا من الزمن، وسمعنا من عذب كلماتهم، ورأينا من حلو

(١) الصداقة :١٨٨.
(٢) الصداقة :١٨٨.
(٣) محاسن الإسلام لأبي عبد الله البخاري (ص٤١).
(٤) (٢/١٢١).

تصرفاهم، ألا يدفعنا هذا لتراعي هذه اللحظات عند رؤيتنا لشيء من الجفاء يواجهنا منهم عن غير قصد، فإذا حصل ووقعت الجفوة أو الوحشة أو النفرة، فعلينا ألاّ نترك كرم العهد، ولا نفشي الأسرار التي نعلمها عنهم:

نصل الصديق إذا أراد وصالنا … و نصد عند صدوده أحيانا
إنْ صد عني كنت أكرم مُعرضٍ … و وجدت عنه مذهبًا و مكانا
لا مفشيا بعد القطيعة سره … بل كاتما من ذاك ما استرعانا
إنّ الكريم إذا تقطع وده … كتم القبيح و أظهر الإحسانا

٤) أنْ يعرف لهم مكانتهم وسابقتهم في الخير والدعوة إلى الله تعالى :

إنّ من الأمور التي تعين على رعاية ود الأخوة أنْ نعرف لإخواننا وأخواتنا سابقتهم في الخير والدعوة، والتي نزلوها بعلمهم وبذلهم وتضحيتهم.

وقد علمنا سلفنا الصالح – رحمهم الله تعالى– دروسًا عملية في هذا التوجيه، فنبينا الكريم ﷺ كان لا يعدل بأهل بدر والمهاجرين الأولين أحدًا من الصحابة.

وعلمنا عمر بن الخطاب ﷺ درسًا آخر فقد جاء عَنْ عَديٍّ بْنِ حَاتِمٍ ﷺ قَالَ: (أَتَيْنَا عُمَرَ فِي وَفْدٍ، فَجَعَلَ يَدْعُو رَجُلاً رَجُلاً وَيُسَمِّيهِمْ، فَقُلْتُ: أَمَا تَعْرِفُنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: بَلَى، أَسْلَمْتَ إِذْ كَفَرُوا، وَأَقْبَلْتَ إِذْ أَدْبَرُوا، وَوَفَيْتَ إِذْ غَدَرُوا، وَعَرَفْتَ إِذْ أَنْكَرُوا، فَقَالَ عَدِيٌّ: فَلا أُبَالِي إِذًا)[1].

وفي ذلك يقول الإمام البنا –رحمه الله–: (فمن تبعنا الآن فقد فاز بالسبق، ومن تقاعد عنا من المخلصين اليوم فسيلحق بنا غدًا وللسابق عليه الفضل).

٥) كسب القلوب خير من كسب المواقف :

تقول هذه العبارة لمن يحاولون تسجيل المواقف على إخوانهم، ويتتبعون زلاتهم، لعلهم يراعون ود الأخوة في محاورتهم لإخوانهم، فما أجمل أنْ تبحث عن أفضل الأساليب وتنتقي أرق، وأعذب الكلمات لتعبر عن رأيك، وتصوب خطأ أخيك، ولتكن ممن يعلمون الحق ويرحمون الخلق.

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٣٩٤).

اسمع وتدبر :

ولنستمع جميعًا إلى يحيى بن معاذ الرازي –رحمه الله– وهو يقول: (**أحسن شيء كلام رقيق يستخرج من بحر عميق، على لسان رجل رفيق**).

ولنحذر أنْ نستصغر رأي أحد من إخواننا مهما بلغت بساطته فإنَّا لا ندري لعل الخير فيما قال، فهذا محمد بن حامد الزاهد يقول: (ما استصغرت أحدًا من المسلمين إلا وجدت نقصًا في إيماني و معرفتي). وهذا أبو بكر الطمستاني يقول: (خير الناس من يرى الخير في غيره، ويعلم أنّ السبيل إلى الله تعالى كثير غير السبيل الذي هو عليه، ولكي يرى تقصير نفسه فيما هو عليه، وأشباه هذه الأقوال والأفعال كثيرة في حياة الدعاة المخلصين سابقًا ولاحقًا).

٦) الإكثار من زيارتهم، وتفقد أحوالهم وتتبع أخبارهم :

إنّ مما يحفظ لنا الود عند من نحب من إخواننا أنْ يشعروا أنّا مهتمون بهم، نعينهم عند النوازل ونخفف عنهم عند نزول المصائب، ونفرح لهم إذا أصابتهم نعمة أو سرور، حتى وإن تباعدت الأجسام ،فالأرواح متقاربة، فليس كل بعد جفوة، وليس كل قرب مودة، كما قال الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله تعالى–:

ولنتذكر عظيم الأجر والمثوبة من زيارتنا لمن نحب في الله تعالى كما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ: (**أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ. قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا، قَالَ: لا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ ﷻ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ**)[1].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (**مَنْ عَادَ مَرِيضًا، أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللَّهِ، نَادَاهُ مُنَادٍ: أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتَبَوَّأْتَ مِنْ الْجَنَّةِ مَنْزِلاً**)[2].

اقرأ وتدبر بتأن شديد :

وهذا التواصل هو الذي دفع أبا الجهم العدوي ليستعيد داره حين باعها لأنّه لم يجد

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٧).
(٢) أخرجه الترمذي برقم (٢٠٠٨)، وأحمد (٣٤٤/٢)، وابن ماجة برقم (١٤٤٣) وهو حسن.

لجاره سعيد بن العاص بديلا في أخلاقه، وإنْ وجد للدار بديلاً: فقد جاء أنّ أبا الجهم العدوي باع داره بمائة ألف درهم، ثم قال: فبكم تشترون جوار سعيد بن العاص؟ قالوا: وهل يشترى جوار قط ؟ قال: ردوا علي داري، ثم خذوا مالكم، لا أدع جوار رجل: إن قعدت سأل عني، وإنْ رآني رحب بي، وإنْ غبت حفظني، وإنْ شهدت قربني، وإن سألته قضى حاجتي، وإنْ لم أسأله بدأني، وإنْ نابتني جائحة فرج عني. فبلغ ذلك سعيدا، فبعث إليه بمائة ألف درهم. (١)

وقد جاء في كتاب الأنوار في صحبة الأخيار(٢) أنّ الشافعي - رحمه الله- حين عاتبه بعضهم لكثرة زيارته لأحمد بن حنبل قال :

قالــــوا يــزورك أحـــمـــد وتزوره ... قلـــت الفضائل لا تفارق منــزلـــه
إنْ زارني فبفضـــــــله أو زرتـــــــه ... فلفضـــله فالفضل في الحـــالين لـــــه

فبلغ ذلك أحمد رحمه الله فقال :

إنْ زرتـــنا فبفضــــل فـــيك تمنحـــنا ... أو نحـــن زرنا فللفضـــل الـــذي فيكا
فلا عدمنا كـــلا الحالـــين منـــك ولا ... نـــال الـــذي يتمـــنى فيـــك شانيكا

٧) إحسان الظن بإخوانك :

ومن المبادئ الأساسية التي تحفظ لك ود إخوانك، وتعينك على حفظ ودهم، أنْ تحسن الظن بهم، وتطلب العذر لزلاتهم، وأنْ تنأى بنفسك عن اتهامهم، وأنْ لا تلجأ إلى تزكية نفسك على حساب تجريحهم. وقد جاء عن بعض الصالحين: (ألتمس لأخي من عذر إلى سبعين عذرًا، ثم أقول: لعل له عذرا آخر لا أعرفه).

ولتعلم أنّ سوء الظن يورث البغضاء، ولذلك أمرنا ربنا عز وجل أنْ نتجنب سوء الظن، فقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

وأخبرنا النبي ﷺ أنْ نتجنب الظن لأنه أكذب الحديث :فقد جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ :

(إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلا تَجَسَّسُوا، وَلا تَحَسَّسُوا، وَلا

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان (٢/٥٣٥).
(٢) (٥٦-٥٧).

تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا إِخْوَانًا، وَلا يَخْطُبُ الرَّجُلُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ حَتَّى يَنْكِحَ أَوْ يَتْــرُكَ). (١)

ولتعلم أنّ أبعد الناس عن الرسول منــزلة يوم القيامة الباغون للأبرياء العيب والعثرات، والذين يسعون بالفرقة بين الأحبة.

اقرأ واستمتع وتعلم :

ومن تلك الحوادث العجيبة التي يضرب بها المثل في هذا الميدان هذه الحادثة :

(دخل الربيع بن سليمان تلميذ الإمام الشافعي - رحمهما الله تعالى - على الشافعي وهو مريض، فأراد أنْ يدعو له بالشفاء فقال: قوى الله ضعفك، فقال الشافعي: يا ربيع: لو قوي ضعفي لمت. فقال الربيع: يا إمام ما أردت إلا الخير، فقال الشافعي: يا ربيع، لو شتمتني لعلمت أنك ما أردت إلا الخير).

رحم الله تعالى الشافعي فقد كان إمامًا في الفقه، إمامًا في التـــربية والسلوك، فأين الدعاة وأهل الإسلام من هذا الخلق الرفيع؟!

٨) الدعاء في ظهر الغيب :

ومن تلك الأمور التي تـــرعى لنا ود إخواننا، ويحفظ ودهم، تلك البرقيات التي نرسلها في صلاتنا، أو في مجالسنا، إلى قلوبهم حين نكثر من الدعاء لهم في ظهر الغيب بالمغفرة، وأنْ يديم الله تعالى المحبة بين قلوبنا وقلوبهم، وأنْ يحفظ الله تعالى عليكم نعمة الأخوة، فأنتم بذلك تلتزمون بأخلاق أهل الإيمان الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، ونلتم بذلك أنْ يدعو لكم ملك من الملائكة أنْ يكون لكم مثل ما دعوتم به لإخوتكم، فلا تحرموا إخوتكم من دعوتكم المستجابة، حيث جاء عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ:

(دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ،

(١) أخرجه البخاري برقم (٥١٤٤)، ومسلم برقم (١٤١٣).

كُلَّمَا دَعَا لأَخِيهِ بِخَيْرٍ، قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ، وَلَكَ بِمِثْلٍ)[١] .

انظر بعيني قلبك واعمل :

ومن تلك النماذج العجيبة والغريبة والفريدة في هذا الباب ما ذكره الخطيب البغدادي -رحمه الله -[٢].

فقد جاء عن عبد الله بن الخطيب: (أنْ الطيب بن إسماعيل أبا حمدون وهو أحد القراء المشهورين، كانت له صحيفة مكتوب فيها ثلاثمائة من أصدقائه، وكان يدعو لهم كل ليلة، فتركهم ليلة فنام، فقيل له في نومه: يا أبا حمدون لم لم تسرج مصابيحك الليلة، قال: فقعد فأسرج، وأخذ الصحيفة فدعا لواحد واحد حتى فرغ).

٩) التفاني في الأخوة :

إنّ مما يرعى لنا ود إخواننا أنْ تتفانى في محبتهم، وحفظ إخوتهم، ورعاية ودهم، حتى لو وصل الأمر إلى التضحية بالنفس، وبذل المال لنجدتهم والتفريج عنهم.

فهذا عمر بن عبد العزيز -رحمه الله تعالى - يقول: (ما أعطيت أحدًا مالاً إلا وأنا أستقله، وإني لأستحيي من الله تعالى أنْ أسأله الجنة لأحد من إخواني، وأبخل عليه بالدنيا، فإذا كان يوم القيامة قيل لي: لو كانت الجنة بيدك ما بخلت !).

هل سمعت بمثل هذا؟؟ ؟!!! :

ومن تلك الأحداث العجيبة في التفاني في الأخوة ما جاء في سير أعلام النبلاء في ترجمة أبي الحسين النوري -أحد أئمة الزهد-: (فقد جاء أنّ خليفةً أمر بضرب رقاب ثلاثة من الصالحين فيهم أبو الحسين النوري، فتقدم أبو الحسين ليكون أول من تضرب عنقه، فعجب الخليفة لذلك، وسأله عن سببه، فقال أبو الحسين -رحمه الله-: أحببت أن أوثر إخواني بالحياة في هذه اللحظات. فكان ذلك سبب نجاتهم جميعاً)[٣].

وهذه الحادثة لا تقل عن الأولى في أثرها:

(فقد طُلب عبد الحميد الكاتب وكان صديقا لابن المقفع، ففاجأهما الطلب وهما في بيت، فقال الذين دخلوا عليهما: أيكما عبد الحميد ؟؟

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٣٣).
(٢) في كتابه تاريخ بغداد (٩/٣٦١).
(٣) سير أعلام النبلاء.

فقال كل واحد منهما: أنا، خوفًا من أنْ ينال صاحبه مكروه. وخاف عبد الحميد أنْ يسرعوا إلى ابن المقفع فقال: ترفقوا بنا، فإن كلا منا له علامات ،فوكلوا بنا بعضكم، وليمض البعض بتلك العلامات لمن وجهكم، ففعلوا وأخذ عبد الحميد)[١] .

بطاقة تحذير من الأخوة اللفظية :

ولنحذر أنْ تكون أخوتنا لفظية لاتصل إلى السلوك، والمشاعر والعواطف، وفي ذلك يقول صالح بن عبد القدوس :

إذا كان ود المرء ليس بزائد ... على (مرحبا) أو(كيف أنت؟) وحالكا
أو القول إنّي وامق لك، حافظ ... و أفعاله تبدي لنا غير ذلكا
و لم يك إلا كاشرا أو محدثا ... فأف لود ليس إلا كذلكا
و لكن إخاء المرء من كان دائما ... لذي الوُد منه حيث كان سالكا[٢]

وجاء عن محمد بن حازم :

و إنّ من الإخوان إخوان كشرة ... و إخوان (حياك الإله و مرحبا)
و إخوان كيف الحال و الأهل كله ... و ذلك لا يسوى نقيرا مترِبا
جواد إذا استغنيت عنه بماله ... يقول: إلي القرض، والقرض فاطلبا
فإنْ أنت حاولت الذي خلف ظهره ... و جدت الثريا عنه في البعد اقربا[٣]

وختامًا :

فهذه بعض التوجيهات التي تحفظ ود الأخوة، وتعين على رعايتها انتقيتها وهي ليست كل ما أريد قوله، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله، فما أحوجنا جميعًا إلى أن يتعمق الود والحب في قلوبنا لإخواننا حتى نصل إلى الحد الذي يفضل فيها الأخ أخاه على الدنيا جميعا لو أعطيها كما كان يقول الإمام الزاهد أبو سليمان الداراني -رحمه الله-: (لو أنّ الدنيا كلها في لقمة، ثم جاءني أخ لي لأحببت أنْ أضعها في فيه)[٤].

والله نسأل أنْ يقوي المحبة في قلوبنا، وأنْ يسدد على الحق خطانا ،وأنْ يوفقنا لما يحبه ويرضاه.

(١) وفيات الأعيان (٣/٢٣١).
(٢) روضة العقلاء (١٠٥).
(٣) المرجع السابق.
(٤) كتاب المتحابين في الله (ص٧٨).



الفصل الثالث

الغاية المرجوة من التزكية

تحقيـق الربـــانية

تحقيق الربانية

تعريف الربانية :

الربانية نسبة إلى الرب، والرب هو المربي، والله تعالى هو الذي يربينا بالقرآن والإسلام والدعوة، والبعد التربوي واضح في هذا المفهوم.

التربية: هي إنشاء الشيء حالاً فحالا، إلى حد التمام، ويلاحظ في التربية: البطء والتمهل، والتدرج، والارتقاء والسمو.

الرباني: نسبة للرب ونسبة للتكريم والتشريف، والرّباني هو الذي يربّي نفسه بالعلم والعمل، ويربّي نفسه بالمسائل العلمية الصغيرة قبل الكبيرة.

الربّانية أخذ وعطاء: الداعية يستمد هذه الربانية من الإسلام والعبادة والدعوة، ثم ينشرها بين الناس عطاء ودعوة وتبليغاً.

مراحل الربانية :

الآيتان في سورة آل عمران، سورة المواجهة النظرية والعملية بين الحق والباطل، أي هي سورة المعركة والحشد والإعداد والتحدي.

الربانية مرحلتان: كل آية من الآيتين تتحدث عن مرحلة :

الآية الأولى: قوله الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران:٧٩].

تأمر الآية المسلمين أنْ يكونوا عباداً ربّانيين لله تعالى، وتدلهم على وسيلتين لتحقيق الربّانية في حياتهم :

الوسيلة الأولى: تعليمهم القرآن للناس، ودعوتهم إليه، أي الحركة العمليّة الدعوية بهذا الدين: ﴿بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [آل عمران: من الآية٧٩].

الوسيلة الثانية: دراسة القرآن وفهم الإسلام وفقه الدعوة، والتفقه في الدين،

فالدراسة والعلم والفهم وسيلة مضمونة لتحقيق الربّانية: ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

الآية الثانية التي تمثل المرحلة الثانية لتحقيق الربّانية، هي قوله تعالى:﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٦].

وهذه الآية نزلت في التعقيب على غزوة أحد،وتصف الربّانيين بوصف جديد وهو الربّيّون.

ما الفرق بين الربّانيين والربيّين ؟

الربّانيون منسوبون إلى الرب، ومصدر الكلمة ربب بمعنى التـــربية.

والربيّون منسوبون إلى (الربا) ومصدر الكلمة (ربو) ومعنى الربا: الزيادة. لقوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥].

وهناك صلة وثيقة بين الرباني والربي، فالربي هو الممتلىء ربانية، الذي تمكنت منه وتغلغلت فيه، وزادت نسبتها عنده، والربية هي: الربانية الجهادية: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

وخلاصة الآيتين: أنّ المسلم لابد أن تتمثل فيه الربانية العلمية، والربانية الحركية الدعوية، وأنْ ينتقل بعد ذلك للربانية الجهادية في حمل رسالة الإسلام، وهي الربية التي ذكرتها الآية الثانية.

ميادين الربانية:

تعتبر الربانية أساسًا جامعًا، ومغناطيسًا جاذبًا، ومحورًا ثابتًا، يجمع نشاطات المسلم الداعية، فتجتمع على (نواة) الربانية، وتصدر عن هذه النواة، ويمكن أنْ تلحظ هذه الربانية في كل منها.

فالمسلم الداعية مثلاً: رباني في وسيلته، وفي غايته، وفي دعوته وحركته، وعبادته،

وارتباطه بإخوانه وأحبابه، وفي نشاطه الاجتماعي والسياسي والعلمي والاقتصادي والفني والحزبي.

وهو رباني في مختلف جوانب شخصيته، فهو رباني في قلبه، وفي عقله، وفي فكره، وفي سلوكه، وفي حواسه: عينه، وأذنه، ولسانه، ويده ورجله، وفي آماله وطموحاته، واهتماماته، وتطلعاته، وهمومه.

لسان حاله يخاطب الله تعالى قائلاً: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ﴾ [النمل: ١٩] ويدعو ربه قائلاً: اللهم منك، وإليك.

مظاهر وعلامات الربانية :

والحقيقة أنّ كل مسلم يسأل نفسه باستمرار: هل أنا رباني؟ في شخصيتي، ودعوتي، وحياتي العامة والخاصة؟ ولا بد من الصدق مع الله تعالى ومع النفس عند الجواب، ولا يخدع أحدنا نفسه.

فالمسلم الرباني الذي يعرف بليله حيث يقوم الليل والناس نائمون، ويعرف بمحافظته على صلوات الجماعة في المسجد، ويعرف بصيامه للنوافل، ويعرف بقراءته للقرآن: جزءاً يوميًا على الأقل، وبصلاته للنوافل، وبالأذكار والمأثورات والأوراد اليومية.

والمسلم الداعية الرباني يعرف بحركته لنصرة دين الله تعالى، ويعرف بجده وهمته وعزيمته، ويعرف بوقاره وهدوئه، ويعرف بتجرده وزهده، ويعرف بعلمه وعمله، وإنفاقه وكرمه، ويعرف بجهاده، وبمواجهته للظالمين.

أهمية الربانية :

تتميز الربانية بأنّها تعد العاصمة بإذن الله تعالى من الفتن، وما أكثر الفتن التي تعرض على المسلمين والدعاة منهم بشكل خاص في هذه الأيام، فمن كانت ربانيته ضعيفة استجاب لها وافتتن بها، ومن كانت ربانيته قوية جيدة، اعتصم بالله تعالى ونجا من الفتن.

فقد جاء عَنْ حُذَيْفَةَ ؓ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

(تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ، عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ: عَلَى

أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ، مَا دَامَتْ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ، وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا، لا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلاَّ مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ) (١).

خطورة ضعف الربانية :

ولا شك أنْ فقدان مفهوم الربانية من حياة المسلم الداعية له مظاهر خطيرة تبرز في سائر جوانب حياته من أبرزها :

تحول المسلم الداعية إلى مجرد متكلم، يجيد الكلام والتنظير في أمور الإسلام والدعوة، والنقد الذاتي، وأما رصيده من العبادة والروح والدعوة والعمل فلا يكاد يذكر.

ومن آثار ضعفها: تفشي أمراض الغيبة والنميمة، والذم، والتجريح، والتجهيل، والانتقاص، والشللية، ويتحولون من دعاة ربانيين إلى حزبيين بينهم صراع مرير، لا يراعي أخوة ولا مودة.

ومن آثار ضعفها أيضًا: إقبال الدعاة على الدنيا، وحرصهم على منافعها ومكاسبها، وركونهم للظالمين ،وفقدهم لتميزهم الدعوي والحركي.

وسائل تحقيق الربانية :

نوجز هنا أهم وسائل تحقيق الربانية، بعد أنْ مر ذكر بعضها فيما سبق :

العلم والفهم والفقه في الدين، والإقبال على القرآن تدبراً وفهماً، والعبادة والإكثار من نوافل الصلاة والصيام والذكر والصدقة، والحرص على الأذكار والمأثورات والأوراد المشروعة والمسنونة، والإكثار من الدعاء والتضرع والتوبة والاستغفار والتفكير في آيات الله تعالى.

ومن هذه الوسائل: النشاط الدعوي، والحركة النشطة اليومية، وتوظيف ساعات اليوم في خدمة الدعوة ومصلحة المسلمين، والالتزام الشرعي الدقيق بالإسلام وأحكامه، ومعاملة الأخوة الدعاة بالمحبة والأخوة، وصفاء القلب وحسن الظن.

ومنها الجهاد في سبيل الله تعالى، ومواجهة الظالمين، وتحدي الطواغيت، وإنكار المنكر والوقوف في وجه التنظيمات والأفكار المعادية.

(١) أخرجه مسلم (١٤٤)، و البخاري (٥٢٥).

نموذج لحياة ربانية :

وحين نرغب بأنْ نعيش حياة ربانية مقربة إلى الله تعالى، فإننا لن نجد نموذجًا ربانيًا شاملاً لتلك الحياة أنصع من صورة وحياة النبي ﷺ، ولذلك سأحاول أنْ أقدم نموذجا لهذه الحياة للراغبين بالإقتداء به ﷺ وذلك من خلال الأحاديث الصحيحة التي نقلت عن حياته ﷺ وذلك على النحو التالي:

أ) نموذج ليوم رباني :

١) قيام الليل :

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ؓ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُ دَأَبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَهُوَ قُرْبَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ، وَمَكْفَرَةٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَنْهَاةٌ لِلإِثْمِ).(١)

٢) المحافظة على الصلوات الخمس جماعة :

عن أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (صَلاةُ الرَّجُلِ فِي الْجَمَاعَةِ تُضَعَّفُ عَلَى صَلاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَفِي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ لا يُخْرِجُهُ إِلاَّ الصَّلاةُ لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلاَّ رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ فَإِذَا صَلَّى لَمْ تَزَلْ الْمَلائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا دَامَ فِي مُصَلاَّهُ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ وَلا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلاةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلاةَ). (٢)

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ؓ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

(مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ مُتَطَهِّرًا إِلَى صَلاةٍ مَكْتُوبَةٍ فَأَجْرُهُ كَأَجْرِ الْحَاجِّ الْمُحْرِمِ وَمَنْ خَرَجَ إِلَى تَسْبِيحِ الضُّحَى لا يَنْصِبُهُ إِلاَّ إِيَّاهُ فَأَجْرُهُ كَأَجْرِ الْمُعْتَمِرِ وَصَلاةٌ عَلَى أَثَرِ صَلاةٍ لا لَغْوَ بَيْنَهُمَا كِتَابٌ فِي عِلِّيِّينَ). (٣)

٣) أذكار الصباح والمساء :

وقد جاء عن النبي ﷺ محافظته على أذكار الصباح والمساء، ويستطيع الإنسان أنْ

(١) أخرجه الترمذي برقم: ٣٥٤٩ وهو صحيح.
(٢) أخرجه البخاري برقم :٦٤٧.
(٣) أخرجه أبو داود برقم :٥٥٨ وهو صحيح.

يستعين في هذا الباب بقراءة رسالة المأثورات المختصرة، أو حصن المسلم، أما في الأذكار التي كان يستعملها رسول الله ﷺ في كل أحواله فإننا ننصح بكتاب الأذكار للإمام النووي –رحمه الله–، أو عمل اليوم والليلة لابن السني.

٤) قراءة ورد القرآن بعد الفجر :

عن أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ ﷺ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: (اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَـــرْكَهَا حَسْرَةٌ وَلا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ). (١)

٥) سنة الشروق:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: (مَنْ صَلَّى الْغَدَاةَ فِي جَمَاعَةٍ ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ تَامَّةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ). (٢)

٦) سنة الضحى :

عن أبي الدرداء ﷺ قال قال رسول الله ﷺ:

(من صلى الضحى ركعتين لم يكتب من الغافلين ومن صلى أربعًا كتب من العابدين ومن صلى ستًا كفي ذلك اليوم ومن صلى ثمانيًا كتبه الله من القانتين ومن صلى الثنتي عشرة بنى الله له بيتا في الجنة وما من يوم وليلة إلا لله من يمن به على عباده وصدقة وما من الله على أحد من عباده أفضل من أنْ يلهمه ذكره). (٣)

(١) أخرجه مسلم برقم :٨٠٤.
(٢) أخرجه الترمذي برقم :٥٨٦ والحديث صحيح.
(٣) قال في مجمع الزوائد :٢/٢٣٧ رواه الطبراني في الكبير وفيه موسى بن يعقوب الزمعي وثقة ابن معين وابن حبان وضعفه ابن المديني وغيره وبقية رجاله ثقات، وقد حسنه الألباني في صحيح الترغيب :برقم: ٦٧٤

٧) العمل الوظيفي:

عَنْ الْمِقْدَامِ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّه ﷺ قَالَ:

(مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ ﷺ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ). (١)

٨) طلب العلم :

عَنْ مُعَاوِيَةَ ﷺ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ:

(مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَاللَّهُ الْمُعْطِي وَأَنَا الْقَاسِمُ وَلا تَزَالُ هَذِهِ الأُمَّةُ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ). (٢)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ:

(.... وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَـــزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمْ الْمَلائِكَةُ وَذَكَرَهُمْ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ). (٣)

٩) قضاء حوائج الناس :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ:

(مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَنْ سَتَـــرَ مُسْلِمًا سَتَـــرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ). (٤)

عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ وَأَبِي طَلْحَةَ بْنَ سَهْلٍ الأَنْصَارِيُّ –رضي الله عنهما– قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ:

(مَا مِنْ امْرِئٍ يَخْذُلُ امْرَأً مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ

(١) أخرجه البخاري برقم :٢٠٧٢
(٢) أخرجه البخاري برقم :٣١١٦
(٣) أخرجه مسلم برقم: ٢٦٩٩
(٤) أخرجه مسلم برقم :٢٦٩٩

عرضه إلاّ خذَلَهُ اللَّهُ في مَوْطِنٍ يُحبُّ فيه نُصْرَتَهُ وَمَا مِنْ امْرِئٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا في مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ فيه مِنْ عِرْضِهِ وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ إلاَّ نَصَرَهُ اللَّهُ في مَوْطِنٍ يُحبُّ نُصْرَتَهُ).(١)

١٠) المحافظة على السنن الراتبة :

عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ -رضي الله عنها- قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

(مَنْ صَلَّى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ بُنِيَ لَهُ بِهِنَّ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ).

وفي لفظ الترمذي: (مَنْ صَلَّى فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ أَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعِشَاءِ وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ).(٢)

١١) المحافظة على ركعتي الوضوء :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِبِلالٍ عِنْدَ صَلاةِ الْغَدَاةِ :

(يَا بِلالُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ عِنْدَكَ فِي الإِسْلامِ مَنْفَعَةً فَإِنِّي سَمِعْتُ اللَّيْلَةَ خَشْفَ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ قَالَ بِلالٌ مَا عَمِلْتُ عَمَلاً فِي الإِسْلامِ أَرْجَى عِنْدِي مَنْفَعَةً مِنْ أَنِّي لا أَتَطَهَّرُ طُهُورًا تَامًّا فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ وَلا نَهَارٍ إِلاَّ صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كَتَبَ اللَّهُ لِي أَنْ أُصَلِّيَ).(٣)

١٢) صلاة النوافل في البيت :

عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اتَّخَذَ حُجْرَةً قَالَ: حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ مِنْ حَصِيرٍ فِي رَمَضَانَ فَصَلَّى فِيهَا لَيَالِيَ فَصَلَّى بِصَلاتِهِ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَلَمَّا عَلِمَ بِهِمْ جَعَلَ يَقْعُدُ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ :

(قَدْ عَرَفْتُ الَّذِي رَأَيْتُ مِنْ صَنِيعِكُمْ فَصَلُّوا أَيُّهَا النَّاسُ فِي بُيُوتِكُمْ فَإِنَّ أَفْضَلَ الصَّلاةِ صَلاةُ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلاَّ الْمَكْتُوبَةَ).(٤)

(١) أخرجه أبو داود برقم :٤٨٨٤ والحديث حسن.
(٢) أخرجه مسلم برقم :٧٢٨، وأبو داود برقم :١٢٥٠، والترمذي برقم :٤١٥
(٣) أخرجه البخاري برقم:١١٤٩، ومسلم :٢٤٥٨.
(٤) أخرجه البخاري برقم :٧٣١.

١٣) صلاة الوتر :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

(اجْعَلُوا آخِرَ صَلاتِكُمْ بِاللَّيْلِ وِتْرًا).(١)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي بِثَلاثٍ لا أَدَعُهُنَّ حَتَّى أَمُوتَ صَوْمِ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ وَصَلاةِ الضُّحَى وَنَوْمٍ عَلَى وِتْرٍ.(٢)

١٤) أدعية اليوم والليلة :

وتشتمل على: أذكار الاستيقاظ من النوم، ولبس الثياب، ودخول الخلاء والخروج منه، وذكر قبل الوضوء والفراغ من الوضوء، والخروج من المنزل والدخول إليه، والذهاب إلى المسجد ودخوله والخروج منه، وأذكار الأذان، والنوم، وأذكار الفزع في النوم ورؤية الأحلام.

وننصح باقتناء كتاب في الأذكار ككتاب المأثورات للشيخ حسن البنا، أو الأذكار للإمام النووي ،وكتاب عمل اليوم والليلة لابن السني فإنَّ في هذه الكتب ما يسد حاجة المسلم في هذا الباب.

ب)نموذج للأسبوع الرباني :

١) صلاة الجمعة :

عن أَوْسِ بْنُ أَوْسٍ الثَّقَفِيُّ ﷺ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (مَنْ غَسَّلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاغْتَسَلَ ثُمَّ بَكَّرَ وَابْتَكَرَ وَمَشَى وَلَمْ يَرْكَبْ وَدَنَا مِنْ الإِمَامِ فَاسْتَمَعَ وَلَمْ يَلْغُ كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ عَمَلُ سَنَةٍ أَجْرُ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا).(٣)

٢) قراءة سورة الكهف :

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ :

(١) أخرجه البخاري برقم: ٩٩٨
(٢) أخرجه البخاري برقم :١١٧٨
(٣) أخرجه أبو داود برقم :٣٤٥،والترمذي برقم:٤٩٦ وأحمد :٨/٤ وابن ماجة برقم: ١٠٧٨ والحديث صحيح

(مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ فِي يومِ الْجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتينِ). [١]

٣) صيام الاثنين والخميس :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

(تُعْرَضُ الأَعْمَالُ يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ فَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ). [٢]

٤) صلاة الاستخارة :

عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُنَا الاسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا كَالسُّورَةِ مِنَ الْقُرْآنِ:

(إِذَا هَمَّ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلا أَقْدِرُ وَتَعْلَمُ وَلا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي أَوْ قَالَ فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ فَاقْدُرْهُ لِي وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي أَوْ قَالَ فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ). [٣]

٥) صلة الرحم :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

(إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ فَقَالَتْ هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ مِنَ الْقَطِيعَةِ قَالَ نَعَمْ أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ قَالَتْ بَلَى قَالَ فَذَاكِ لَكِ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا). [٤]

---

(١) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة برقم :٩٥٢-٩٥٤ والبيهقي :٣/٢٤٩، والحاكم: ٢/٣٦٨، والدارمي :٢/ ٤٥٤ والحديث حسن

(٢) أخرجه الترمذي برقم :٧٤٧ والحديث حسن

(٣)أخرجه البخاري برقم :٦٣٨٢

(٤) أخرجه مسلم برقم:٢٥٥٤

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :

(مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ). [١]

٦) عيادة مريض :

عَنْ عَلِيٍّ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

(مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا غُدْوَةً إِلاَّ صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِيَ وَإِنْ عَادَهُ عَشِيَّةً إِلاَّ صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ). [٢]

٧) زيارة أخ له في الله :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ:

(أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ أَيْنَ تُرِيدُ قَالَ أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ قَالَ هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا قَالَ لا غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ ﷺ قَالَ فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ). [٣]

٨) سماع قراءة للقرآن من شريط :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ :

(اقْرَأْ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ آقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ، قَالَ: نَعَمْ. فَقَرَأْتُ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الآيَةِ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدًا قَالَ حَسْبُكَ الآنَ فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ). [٤]

٩) الترفيه عن الأهل :

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :

---

(١) أخرجه البخاري برقم: ٥٩٨٦

(٢) أخرجه الترمذي برقم :٩٦٩، أبو داود برقم:٣٠٩٩ ،أحمد :١/٩٧، ابن ماجة برقم:١٤٤٢ وهو حسن.

(٣) أخرجه مسلم برقم:٢٥٦٧

(٤) أخرجه البخاري برقم:٥٠٥٠

أنَّهَا كَانَتْ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ قَالَتْ فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ عَلَى رِجْلَيَّ فَلَمَّا حَمَلْتُ اللَّحْمَ سَابَقْتُهُ فَسَبَقَنِي فَقَالَ هَذِهِ بِتِلْكَ السَّبْقَةِ. (١)

١٠) تقليم الأظفار :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ :

(الْفِطْرَةُ خَمْسٌ الْخِتَانُ وَالاسْتِحْدَادُ وَقَصُّ الشَّارِبِ وَتَقْلِيمُ الأَظْفَارِ وَنَتْفُ الآبَاطِ). (٢)

ولم يثبت أيضًا في استحباب قص الظفر يوم الخميس حديث ، وسئل أحمد عنه فقال: يسن في يوم الجمعة قبل الزوال ، وعنه يوم الخميس ، وعنه يتخير ، وهذا هو المعتمد أنّه يستحب كيفما احتاج إليه.

ج) نموذج للشهر الرباني :

١) ختم القرآن :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ :

(صُمْ مِنْ الشَّهْرِ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ قَالَ أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَمَا زَالَ حَتَّى قَالَ صُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا فَقَالَ اقْرَإِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ قَالَ إِنِّي أُطِيقُ أَكْثَرَ فَمَا زَالَ حَتَّى قَالَ فِي ثَلاثٍ). (٣)

٢) صيام ثلاثة أيام من كل شهر :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ أَوْصَانِي خَلِيلِي بِثَلاثٍ لا أَدَعُهُنَّ حَتَّى أَمُوتَ صَوْمِ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ وَصَلاةِ الضُّحَى وَنَوْمٍ عَلَى وِتْـــرٍ. (٤)

٣) زيارة القبور :

عَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

(١) أخرجه أبو داود برقم:٢٥٧٨ ،وابن ماجة برقم:١٩٧٩ وهو صحيح.
(٢) أخرجه البخاري برقم:٥٨٩١
(٣) أخرجه البخاري برقم:١٩٧٨
(٤) أخرجه البخاري برقم :١١٧٨

(نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا). (١)

٤) الترغيب في الصلاة في الفلاة، والخروج للمسير في الأرض :

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

(الصَّلاةُ فِي جَمَاعَةٍ تَعْدِلُ خَمْسًا وَعِشْرِينَ صَلاةً فَإِذَا صَلاهَا فِي فَلاةٍ فَأَتَمَّ رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا بَلَغَتْ خَمْسِينَ صَلاةً قَالَ أَبُو دَاوُد قَالَ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ فِي هَذَا الْحَدِيثِ صَلاةُ الرَّجُلِ فِي الْفَلاةِ تُضَاعَفُ عَلَى صَلاتِهِ فِي الْجَمَاعَةِ). (٢)

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

(يَعْجَبُ رَبُّكُمْ مِنْ رَاعِي غَنَمٍ فِي رَأْسِ شَظِيَّةٍ بِجَبَلٍ يُؤَذِّنُ بِالصَّلاةِ وَيُصَلِّي فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا يُؤَذِّنُ وَيُقِيمُ الصَّلاةَ يَخَافُ مِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي وَأَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ). (٣)

٥) إدراك تكبيرة الإحرام أربعين يومًا :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

(مَنْ صَلَّى لِلَّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فِي جَمَاعَةٍ يُدْرِكُ التَّكْبِيرَةَ الأُولَى كُتِبَتْ لَهُ بَرَاءَتَانِ بَرَاءَةٌ مِنْ النَّارِ وَبَرَاءَةٌ مِنْ النِّفَاقِ). (٤)

٦) سنن الفطرة والنظافة البدنية العامة :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ:

(وُقِّتَ لَنَا فِي قَصِّ الشَّارِبِ وَتَقْلِيمِ الأَظْفَارِ وَنَتْفِ الإِبِطِ وَحَلْقِ الْعَانَةِ أَنْ لا نَتْــرُكَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً). (٥)

(١) أخرجه مسلم برقم:٩٧٧
(٢) أخرجه أبو داود برقم: ٥٦٠، وابن ماجة برقم:٧٨٨ ،والحاكم :٢٠٨/١ وهو صحيح.
(٣) أخرجه أبو داود برقم:١٢٠٣، والنسائي :٢٠/٢ والحديث صحيح.
(٤) أخرجه الترمذي برقم:٢٤١ وهو حسن
(٥) أخرجه مسلم برقم:٢٥٨

د) نموذج للسنة الربانية :

١) صيام رمضان :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

(مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ). (١)

٢) التراويح:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :

(مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ). (٢)

٣) قيام ليلة القدر :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

(مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ). (٣)

٤) زكاة الفطر :

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ -رضي الله عنهما- قَالَ :

(فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنْ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ مَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنْ الصَّدَقَاتِ). (٤)

عَنْ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ:

(فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ عَلَى الْعَبْدِ وَالْحُرِّ وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ

(١) أخرجه البخاري برقم:١٩٠١
(٢) أخرجه البخاري برقم:٢٠٠٩
(٣) أخرجه البخاري برقم:١٩٠١
(٤) أخرجه أبو داود برقم:١٦٠٩ ،وابن ماجة برقم:١٨٢٧ ،والحاكم:١/٤٠٩ وهو حسن.

النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ). (١)

٥) صيام ست من شوال :

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

(مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ). (٢)

٦) صيام عرفة :

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ ﷺ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

(وَصِيَامُ عَرَفَةَ إِنِّي أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ). (٣)

٧) صيام عاشوراء :

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ ﷺ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

(... وَصَوْمُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ إِنِّي أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ). (٤)

٨) الصيام في شعبان :

عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قَالَتْ :

(لَمْ يَكُنْ النَّبِيُّ ﷺ يَصُومُ شَهْرًا أَكْثَرَ مِنْ شَعْبَانَ فَإِنَّهُ كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ كُلَّهُ وَكَانَ يَقُولُ خُذُوا مِنْ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا وَأَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مَا دُووِمَ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلَّتْ وَكَانَ إِذَا صَلَّى صَلَاةً دَاوَمَ عَلَيْهَا). (٥)

٩) الاعتكاف :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ

(١) أخرجه البخاري برقم:١٥٠٤
(٢) أخرجه مسلم برقم:١١٦٤
(٣) أخرجه مسلم برقم:١١٦٢ ،وأبو داود برقم:٢٤٢٥ ،والترمذي برقم:٧٤٩
(٤) أخرجه مسلم برقم:١١٦٢ ،وأبو داود برقم:٢٤٢٥ ،والترمذي برقم:٧٤٩
(٥) أخرجه البخاري برقم:١٩٧٠

(كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ). [١]

١٠) الزكاة :

عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

(بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَصَوْمِ رَمَضَانَ). [٢]

١١) العمرة :

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ -رضي الله عنهما- قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

(عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَعْدِلُ حَجَّةً). [٣]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :

(الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ). [٤]

١٢) الأضحية :

عن أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيَّ كَيْفَ كَانَتْ الضَّحَايَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: (كَانَ الرَّجُلُ يُضَحِّي بِالشَّاةِ عَنْهُ وَعَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ فَيَأْكُلُونَ وَيُطْعِمُونَ حَتَّى تَبَاهَى النَّاسُ فَصَارَتْ كَمَا تَــرَى). [٥]

١٣) كفالة يتيم :

عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

(أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى). [٦]

---

(١) أخرجه البخاري برقم:٢٠٢٥

(٢) أخرجه البخاري برقم:٨

(٣) أخرجه البخاري برقم:١٧٨٢ ومسلم برقم:١٢٥٦وابن ماجة برقم:٢٩٩٤

(٤) أخرجه البخاري برقم:١٧٧٢

(٥) أخرجه الترمذي برقم:١٥٠٥ وهو صحيح

(٦) أخرجه البخاري برقم:٦٠٠٥

هـ) نموذج للعمر الرباني :

١) الحج :

عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:

(مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ). [١]

٢) صلاة التسابيح :

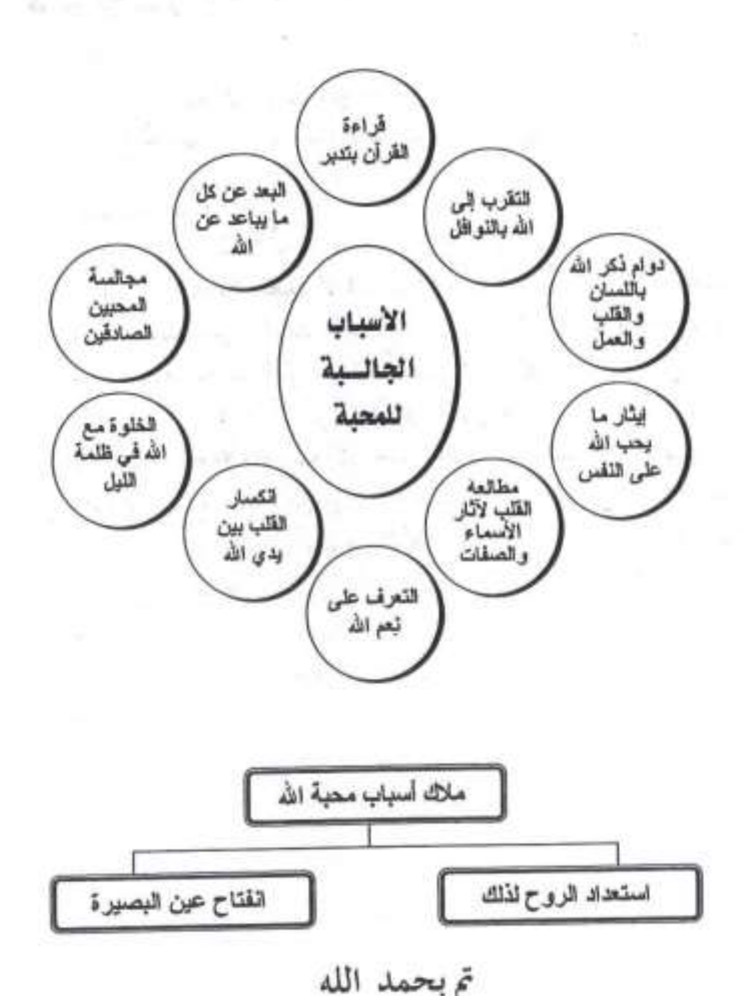
عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِلْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ﵁:

(يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّاهُ أَلَا أُعْطِيكَ أَلَا أَمْنَحُكَ أَلَا أَحْبُوكَ أَلَا أَفْعَلُ بِكَ عَشْرَ خِصَالٍ إِذَا أَنْتَ فَعَلْتَ ذَلِكَ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ ذَنْبَكَ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ قَدِيمَهُ وَحَدِيثَهُ خَطَأَهُ وَعَمْدَهُ صَغِيرَهُ وَكَبِيرَهُ سِرَّهُ وَعَلَانِيَتَهُ عَشْرَ خِصَالٍ أَنْ تُصَلِّيَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ تَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَسُورَةً فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ الْقِرَاءَةِ فِي أَوَّلِ رَكْعَةٍ وَأَنْتَ قَائِمٌ قُلْتَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً ثُمَّ تَــرْكَعُ فَتَقُولُهَا وَأَنْتَ رَاكِعٌ عَشْرًا ثُمَّ تَــرْفَعُ رَأْسَكَ مِنْ الرُّكُوعِ فَتَقُولُهَا عَشْرًا ثُمَّ تَهْوِي سَاجِدًا فَتَقُولُهَا وَأَنْتَ سَاجِدٌ عَشْرًا ثُمَّ تَــرْفَعُ رَأْسَكَ مِنْ السُّجُودِ فَتَقُولُهَا عَشْرًا ثُمَّ تَسْجُدُ فَتَقُولُهَا عَشْرًا ثُمَّ تَــرْفَعُ رَأْسَكَ فَتَقُولُهَا عَشْرًا فَذَلِكَ خَمْسٌ وَسَبْعُونَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ تَفْعَلُ ذَلِكَ فِي أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تُصَلِّيَهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّةً فَافْعَلْ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّةً فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِي كُلِّ شَهْرٍ مَرَّةً فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِي عُمُرِكَ مَرَّةً). [٢]

---

(١) أخرجه البخاري برقم:١٥٢١

(٢) أخرجه أبو داود برقم:١٢٩٧وابن ماجة برقم:١٣٨٧ والحاكم:٣٨٧/١ وهو صحيح.



تم بحمد الله

كلمات في وداع الشيخ إبراهيم العلي - رحمه الله -

علم الشيخ إبراهيم العلي

الحديث عن الشيخ الحبيب العالم الداعية إبراهيم العلي لا يمل، لأن أعمال الشيخ الصالحة كثيرة، ومناقبه عديدة، ومواقفه منوعة، ومجالات علمه متشعبة، يعتـــرف بذلك محبوه، ويشهد به تلامذته الكثيرون، وقد أجمع الصالحون على الاعتـــراف بعلمه وفكره، وهمته وعزيمته، وجده واجتهاده، ودعوته وجهاده.

كان الشيخ -رحمه الله- حريصاً على وقته، يعرف قيمته وأهميته، ولذلك يحسن توظيفه لما فيه الخير، ويضن به أن ينفقه فيما لا نفع فيه. ولذلك وفقه الله تعالى للانتفاع بوقته، والاستفادة منه فتعلم وعلم، واستفاد وأفاد. وإذا جلس للعلم والبحث والدراسة والتأليف والمراجعة والتنقيب نسي نفسه وطعامه وشرابه، بل نسي الساعات التي تمر به، ونسي الزمان من حوله، واستغرق استغراقاً تاماً فيما هو فيه من علم وبحث، وقد يبقى جالساً على مكتبه ساعات عديدة من الليل أو النهار، وكأنها دقائق معدودة، فيفاجأ بأن الوقت قد انتهى، ولا يخرجه من هذه الجلسة العلمية إلا صوت الأذان للصلاة.

إنّ العلم يحتاج إلى نفس مؤمنة، ذات همة عالية، تصبر على البحث والتنقيب، وتقبل على العلم بكامل كيانها، وتتفرغ له تفرغاً تاماً، ولا تنشغل عنه بتوافه الاهتمامات والجلسات والمجادلات. وهكذا كانت نفسية الشيخ رحمه الله.

كان الناظر إليه يعجب له؛ لانصرافه عما يتنافس فيه المتنافسون من بعض حملة الشهادات العلمية والألقاب الدعوية والمراكز (التنظيمية) من (التـــزاحم) على المراكز والوظائف والأعمال والمناصب والوجاهات، والتقاتل عليها، والاختلاف من اجلها، وإجازة ارتكاب المحرمات من اجلها كالغيبة والنميمة والتجريح والاتهام، وإحلال الكره مكان الحب، والشقاق محل الأخوة.. وكان الشيخ -رحمه الله- ينظر إلى هؤلاء المتـــزاحمين بأسى وإشفاق، ويدعو لهم بالشفاء مما هم فيه، ويقول: الحمد لله الذي عافانا مما ابتلاهم به! ويقول: الحمد لله أنهم لا يزاحموننا فيما عندنا، ونحن لا نـــزاحمهم فيما عندهم!

ويصدق فيه وفيهم قول الشاعر:

رضـينا قسـمة الجـبار فيـنا ... لـنا علـم وللجهـال مـال

إذا طلب منه المتـزاحمون مشاركتهم في (معاركهم) رفض، وتـرك الميدان لهم، وآثر الانسحاب الآمن إلى علمه وبحثه ودعوته.. أما إذا طلب منه إخوانه درساً أو تعليماً، أو اشتـراكاً في دورة إنْ نادوه، سارع بتلبية الطلب، متقرباً إلى الله تعالى به، واستعلى على ما كان يعانيه من أمراض وأوجاع وآلام.

ولهذا لم يكن للشيخ -رحمه الله- حضور في مؤتمرات أو ندوات أو حوارات أو جلسات هنا أو هناك تدار فيها المعارك والتكتلات والكولسات، لكنك تـراه متألقاً مبدعاً في الدروس والندوات والدورات والمؤلفات، ولهذا يمكن أنْ تطلق عليه لقب (العالم العامل) وأنت مطمئن.

ألقى عدة دروس دورية متسلسلة في شرح بعض الكتب، منها ذلك الدرس الذي كان يشرح فيه صحيح الإمام مسلم في بيته والذي وصل فيه إلى مرحلة متقدمة، والدرس الثاني الذي كان يشرح فيه كتابه (صحيح السيرة النبوية)، والدرس الثالث الذي يشرح فيه (رسالة المستـرشدين) للمحاسبي، وكانت مادة (التـزكية) في الدورات الشرعية في مركز حراء القرآني له، يجذب الرجال والنساء إليها، بما يقدمه لهم فيها.

وإنّ عناوين مؤلفاته وموضوعاتها تدلك على حسن اهتماماته -رحمه الله- حيث كتب في السيرة وفي التـزكية وفي تـراجم الرجال ومواقفهم وفي الجهاد والمجاهدين والاستشهاد والشهداء.

اتفقت معه على أنْ تصدر دراستين متكاملتين في فضح اليهود والتعريف بخطرهم والتحذير منهم: الأولى بعنوان: (حديث القرآن عن اليهود) أقوم أنا بإعدادها، والثانية بعنوان: (حديث الرسول ﷺ عن اليهود) يقوم هو بإعدادها، ليتعرف المسلمون على ما قاله القرآن والسنة عن هؤلاء الأعداء.

وكان يمازحني ويقول لي: يقرر حاخامات اليهود أنّ من تعمق في دينهم فلا بد أنْ يقتل! فأنا وأنت عرضة لذلك! وقد شرع في إعداد مادة دراسته، لكن الله الحكيم اختاره إليه رحمه الله!! وكم من (مشروعات) الأبحاث والكتب خلفها، تنتظر همم الباحثين والعلماء العاملين لبحثها ولإكمالها!!

د. صلاح عبد الفتاح الخالدي

الحبيب الشيخ إبراهيم العلي

أخبرنا رسول الله ﷺ أنّ الله تعالى لا ينـزع العلم نزعاً من بين الناس، ولكنه ينتـزعه بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم يتخذ الناس رؤوساً جهلاء، فيفتون بغير علم، فيضلون ويُضلون! وهذا معناه أن وجود العلماء الربانيين العاملين في الأمة خير وبركة وعافية لها، وفقدهم خسارة كبيرة لها.. وإنّ إيجاد العالم الرباني في الأمة ليس بالأمر السهل، وفقد هذا العالم الرباني كبير، لأنه ليس من اليسير الإتيان ببديل له، يحل محله، ويسد فراغه، ويقوم بما كان يقوم به!!

ولقد فقدت البلاد قبل أيام عالماً من علمائها الربانيين العاملين، حيث انتقل إلى رحمة الله تعالى بعد صلاة مغرب يوم الخميس ١٤٢٥/٥/٢٧هـ الموافق ٢٠٠٤/٧/١٥م فضيلة الشيخ إبراهيم محمد العلي -رحمه الله-، ورضي الله تعالى عنه وأرضاه.

وما إنْ علم محبوه بإدخاله المستشفى الإسلامي حتى توافدوا عليه ينظرون إليه مع أنه في غيبوبة، ويدعون الله تعالى له، وما أن فاضت روحه إلى بارئها حتى انخرطوا في البكاء، البكاء الصادق، المتـرجم عن الحب الصادق، ولا يبكي الرجال بصدق إلا من أحبوه بصدق.

ولقد كان تشييع جنازته -رحمه الله- مهيباً، شارك فيها المؤمنون من إخوان الشيخ وأحبابه، ودل ذلك على منـزلته ومرتبته وفضله عند الله تعالى إن شاء الله تعالى ولا نـزكيه على الله تعالى.

أحب الشيخ إبراهيم العلي الله سبحانه وتعالى، فأحبه الله تعالى، وحببه إلى الصالحين من عباده، كما أخبرنا رسول الله ﷺ، أنه إذا أحب الله تعالى عبداً نادى جبريل، فقال له: إني أحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في أهل السماء: إن الله تعالى يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض، فيحبه الصالحون في الأرض. وقد أجمع الصالحون في هذه البلاد على محبة هذا العالم الرباني، لأنه كان يحب الصالحين، فبادلوه حباً بحب، ووداً بود..

كان من أحب الأحباب إلى قلوبنا، وكان شقيق أرواحنا، عشنا معه سنوات وسنوات، وأنسنا معه بجلسات وجولات ورحلات، وأمضينا معه أسعد الأوقات وأجمل

الساعات.. ولهذا كان مصابنا فيه كبيراً، وحزننا على فراقه متواصلاً!! لكنه الرضا بقدر الله تعالى، والصبر والاحتساب إلى الله تعالى.. فإنّ القلب ليخشع، وإنّ العين لتدمع، وإنّا لفراقك يا (إبراهيم) لمحزونون، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، فإنا لله، وإنا إليه راجعون.. اللهم أجرنا في مصيبتنا في فقده، واخلفنا خيراً منها. هكذا علمنا رسول الله ﷺ.

كان قلب الشيخ إبراهيم -رحمه الله- كبيراً جداً بعاطفته ووده وحبه، مع أنّه كان قلباً عليلاً مريضاً، حيث أجرى عمليتين لقلبه.. وكان قلبه قوياً في التحمل والصبر، مع أنّ عضلة قلبه كانت ضعيفة في النبض والضخ!!

وسع الشيخ إخوانه وأحبابه الكثيرين، وأسكنهم في قلبه، ولم يضق بهم قلبه على كثرتهم، ولم يزدحموا فيه، وكان كل واحد سعيداً مسروراً عندما يلتقي الشيخ، فيفيض عليه من صدق محبته وعواطفه ومشاعره.

كان الشيخ كريماً فياضاً في المودة والمحبة والأخوة، في وقت أصبحت فيه هذه المشاعر عملة صعبة نادرة، وصار آخرون بخلاء بها، لا يعاملونك بود أو حب أو أخوة أو ابتسامة أو اهتمام إلاّ إذا دفعت لهم ثمن ذلك غالياً، أو وجدوا عندك مصلحتهم الخاصة!

كان الشيخ وفياً وفاءً عجيباً، لا يجحد فضلاً لأحد، ولا يفجع محباً في حبه، ولا يرد مقبلاً عليه، ولا يصد راغباً في الاتصال به.. والذي يعجبك في الشيخ أنه كان عف اللسان لا يتكلم إلا بخير، لا يشتم أو يسب أو يلعن، ولا يجرح أو يجهل، ولا يأكل لحوم إخوانه.. في الوقت الذي انتشر فيه هذا المرض الفتاك بين كثيرين من العاملين.

حرص الشيخ -رحمه الله- على نشر العلم بمختلف الأساليب والوسائل، في الدروس والخطب، وفي الندوات والمحاضرات، وفي الدورات واللقاءات، وفي الصحف والمجلات، وفي الكتب والمؤلفات، وتخرج على يديه كثيرون من طلبة العلم الصادقين، من الإخوان والأخوات.. وكان رجلاً صادقًا مبرورًا إنْ شاء الله تعالى، وكان شوكة في حلوق الكافرين من اليهود والصليبيين، وشوكة في حلوق الظالمين، الذين يحاربون هذا الدين ودعاته العاملين.

ماذا نقول في الشيخ؟ مهما قلنا فيه فلن نوفيه بعض حقه. لذلك نحتسبه عند الله تعالى، ونرجو له جنة الله تعالى!

د. صلاح عبد الفتاح الخالدي

وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون

الشيخ إبراهيم العلي عليه شآبيب الرحمة وسحائب الرضوان، عملة نادرة، وطراز فريد، وطيف من أوائل القرون من السلف الصالح علماً وفضلاً وتقوى وربانية ونوراً وورعاً وزهداً وتواضعاً وصبراً وجلداً ومثابرة وذكراً ونكراً ونبلاً وتجرداً وتفانياً..

كان الرجل يعيش في غير زمانه، يقضي نهاره وليله جداً وعملاً دؤوباً، أخبرني هو نفسه أنه يقرأ في اليوم الواحد ما يربو على ثلاثمائة صفحة عدا التأليف والتصنيف والترتيب.. وعدا المحاضرات والدروس التي لم تنقطع قط في منزله المتواضع، ومكتبته العامرة.

إني أجد من الوفاء ما أسطّر بحروف من نور تلك المآثر وأزيد على ذلك ما رأيته من كرامات الشيخ، ودلائل حسن خاتمته. فبعد استشهاد الشيخ المجاهد أحمد ياسين اشتد المرض بشيخنا الجليل فذهبنا على عجل لزيارته، وطاب اللقاء، فحدثنا أنه رأى في منامه -وكان الشيخ صاحب رؤى صالحة- أنّه كان في قصر مهيب، في داخل القصر كراس من لؤلؤ، في مقدمة القصر منصة مهيبة.. خلفها ثلاثة كراسٍ عظيمة منسوجة من الدُّر والياقوت، على الكرسي الأيمن يجلس الشهيد د.عبدالله عزام -رحمه الله- وقد علاه الوقار. يقول الشيخ إبراهيم فأخذت أهرول في داخل القصر لأجلس إلى جانب د.عبدالله عزام، فقال لي: يا شيخ إبراهيم الدور ليس لك الآن؟! الدور للشيخ أحمد ياسين! لم يأت دورك بعد!! وبقي الكرسيّ الثالث فارغاً!! يقول الشيخ وإذا بأحد أبنائي يوقظني من اغفاءتي ويقول: أبي، أبي.. لقد استشهد الشيخ أحمد ياسين!!

لقد ذكر لي الشيخ هذه الرؤيا مباشرة، وأنا أنظر إلى عينيه اللتين أضناهما البحث والتنقيب.. وعرفت من حينها، من لحظتها، أن الشيخ على موعد مع الموت، بل على موعد مع البشرى العظيمة جنباً إلى جنب مع شهيدين كريمين وداعيتين مناضلين كُتب لهما القبول د.عبدالله عزام والشيخ أحمد ياسين، فيا لها من بشرى لطالما انتظرها الشيخ وتمناها.. كيف لا والشيخ كان معبراً للرؤى من الطراز الأول!

كان الشيخ نجماً فوق العادة.. زينة المجالس.. وسلوة النفوس، ومغاطيس القلوب متى حلّ أو ارتحل.. كنّا نشهد هذا في مركز حراء العامر، تراه يجلس على كرسي التدريس يعطي عطاء عجيباً وعلماً غزيراً كالغيث المنهمر على الأرض الظمأى، يمتع الأذهان، ويرقق الأفئدة، ويُدمع العيون. تـرى الطلبة وهم أمامه وحوله، كأن على رؤوسهم الطير، لا يكادون يلتفتون يمنة ولا يسرة، قد اشرأبت أعناقهم أمام فضيلة الشيخ، قد أجمعوا جميعاً على فضله وورعه وتقواه وغزارة علمه.

وشيخنا الجليل عاش هذا الحب حياً وميتاً، فقبل ساعات من موته، توافد أهل العلم والفضل والصلاح؛ كي يحظوا بالقرب منه، حتى صعدت روحه الطاهرة إلى بارئها، ويا لها من لحظات عصيبة وصعبة على قلوب المحبين، انفجرت معها العيون بالدموع، وأطرق الجميع رؤوسهم مسلمين أمرهم لله ربّ العالمين.

والتف الأحباب -وجلهم من أهل العلم والصلاح- من جديد فقصدوا مسجد الشيخ مكبرين، والتأم الجمع وغصت جنبات المسجد، بل ازدحم جبل الجوفة كله بأحباب الشيخ، والذين سعوا جاهدين لنيل فضل صلاة الجنازة، وبعد أنْ كبر فضيلة أستاذنا الدكتور صلاح الخالدي التكبيرة الثالثة بصوت متهدج اختلط بالبكاء والخشوع، ضجت باحات المسجد وساحاته بالبكاء والتوجع والتأوه، وسمعت تمتمات الدعاء الحارّ اللحوح الصادق الممزوج بالدموع لفضيلة شيخنا.. فيا له من موقف مهيب جعل من جماهير المصلين قلباً واحداً وجسداً واحداً فتداعى سائر الأعضاء بالسهر والحمى!!

وانطلقت الجنازة الطيبة. وبالرغم من ضيق الأماكن والطرقات في ذلك الجبل إلا أنها وصلت على عجل! وكأنها قد حملت على جناح طائر، وتدافع الشباب إلى الحافلة يطمع كل واحد منه أنْ ينال الأجر ويحظى بالقرب، حتى حُمل الشيخ إلى روضته الجديدة العتيقة كي يرتاح بعد عناء طويل وكد ونصب..

رحمك الله يا أبا محمد، كنت العالم الرباني العامل، وكنت النقي التقي الخفي، نحسبك كذلك ولا نـزكي على الله تعالى أحداً.

د.أحمد سليمان الرقب

كلمات وداع الشيخ

إبراهيم العلي(١)

رحلت أيها الشيخ الجليل المهيب.. قضيت عمرك لله بين صفحات الكتب سائلاً ومجيبًا.. عرفتْك تـراجم الرجال.. فكنت سيد الرجال.. أنسَتْ بك كتب الحديث.. البخاري ومسلم وأحمد والتـرمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجه وعبد الرزاق والطبراني وغيرها الكثير.. فأسرتك بأنسها وأناسيها.. وكانت لك أبًا وأمًّا وحـوارًا وحبورًا وطعامًا وشرابًا ولباسًا ووقارًا وتاجًا..

أما شروحها الفتح والنووي وهداية الساري والملهم وعون المعبود.. وغيرها.. فكانت لك السلوى والحلوى.. وكنت في أفيائها تتسامى وتتحلى.. فأسرتْك هي كذلك.. وعاشت معك وانتقلت إلى روضات الجنات بعد روضات العلم والفتوحات.

وأبت كتب السيرة الابتعاد فغارت من أخواتها.. وغارت في شغاف قلبك.. فجمعت شاردها ووردها وألِفَها وياءها.. وبيّنت صحيحها من سقيمها.. ونلت شرف الذبّ عن حياضها والكتاب عن صاحبها وسيّد ساداتها وبدر بدورها، وصدّيقها وفاروقها ومشاهدها وشواهدها وشهيدها وشاهدها.. فيا له من شرف دونه الثريّا!!.

أما الأرض المقدسة.. أما القدس.. أما فلسطين.. فأبت هي كذلك أن لا يكون لها من قلبك وجيب ومن قلمك الدافئ لآلامها نصيب.. فجمعت سير الشهداء من أبنائها النجيب تلو النجيب.. ففاح عطرها وتضوّع مسكها.. وتبارى في قراءتها وتنسّم عبيرها الشباب والشيّاب.. فألهبت عندهم الحماس.. وركبوا متن الخطوب.. ومضوا على الدرب.. فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلاً! وبادرت كتب التهذيب والتـزكية والرّقة.. فملكت جنانه بلطائفها وقطائفها ومواعظها.. فأصبح -لله درّه- هو كتابًا من كتبها.. عاش في أكنافها وغاص في أعماق بحارها.. فالتقط درّها ولآلائها..

(١) د. أحمد سليمان الرقب- مجلة الفرقان: العدد الرابع والثلاثون -رجب/شعبان ١٤٢٥هـ-أيلول/تشرين الأول ٢٠٠٤م -- ص٢٥.

فقلّدته وسام فخارها وألبسته تاج وقارها، وأهدته كتابًا نفيسًا من نفائسها سمّاه (رياض الأنس في بيان أصول تـــزكية النفس) ختم به حلقة من حلقات الحياة، راجعه قبل موته بساعات معدودات.. فيا لها من خاتمة حسناء عزّ نظيرها إلا عند السادات الأُول من أهل العلم والفضل ممن ختم لهم بخاتمة الإحسان ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢-٦٤].

د. أحمد الرقب

إبراهيم العلي

لست أدري إنْ كان يحق لي أنْ أكتب عن الشيخ ومعرفتي به لا تتجاوز ساعة قبل ثمان وأربعين ساعة من وفاته -رحمه الله-، فلقد عرفته قبل من خلال كتبه فأعجبت به ولم أره، وقد زاد إعجابي به وهو يتناول حياة شيخ الإسلام ابن تيمية تناولاً شاملاً لتفاصيل حياته دالاً على زهده في الدنيا وعبادته وخوفه وتقواه منه سبحانه، ودالاً على جهاده وصبره وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، فأنبأته عن ذلك فقال فيما قاله: لا ينبغي الفصل بين علم شيخ الإسلام وجهاده.

وهكذا تناولنا أطراف الحديث والشيخ لين الجانب، خفيف الروح، يظهر على ملامح وجهه البشر، وهو يجالد ضعفاً يخفي عن جلسائه آيات التعب، وأشعرني صاحبي بذلك فطلبنا إليه السكينة، ولكنه بدا متماسكاً، ونحن لا نعلم ما وراء الأكمة، فهذا والله من حسن الضيافة وكرم المحتد فهذه واحدة.

ثم سألته وكأنّ الشيخ بدأ الكتابة في مرحلة متأخرة، فذكر -رحمه الله- أنّ كتاب (صحيح السيرة النبوية) كان قد كتبه وجمعه في سنين أثناء دروسه، ولم يقصد طباعتها، وكان يعيرها لإخوانه، ثم يردونها إليه، وهذا فيه ما فيه من طيب نفس، وخلق قويم، وإخلاص لله، وحب للعمل، ونشره فهذه ثانية حتى استعارها منه الدكتور عمر الأشقر -حفظه الله- ثم اتصل به ليأخذ كتابه. ففاجأ الشيخ بأنّه أعدّ للصف تمهيداً لطباعته، فاستعظم الأمر، وكأنه استهان بأوراقه أنْ تطبع وتتداول، فأخبره الدكتور بأنّه راجعه ودفعه لمن يراجعه أيضاً وطبع الكتاب سنة ١٩٩٤ وهذه ثالثة.

وبعدُ تذاكرنا عرضاً دون قصد مع الشيخ إخلاص النية لله وأثرها في انتشار الكتب، وضربت على ذلك مثلاً كتاب (رياض الصالحين) للإمام النووي، وكيف كتب الله تعالى له القبول في الأرض، فذكر الشيخ زهد العلامة ابن عثيمين -رحمه الله- ونفقته على طلبة العلم ثم قال: طُبع كتاب من كتب الشيخ ابن عثيمين اكثر من نصف مليون نسخة، وتساءل كم سيكون ربح الشيخ منها لو اخذ حقوقاً للطبع؟ لكنه تـــركها لوجه الله سبحانه وتعالى، ويبدو حبه -رحمه الله- للعلم وتعلقه بالعلماء واضحاً، كما اسأله

سبحانه أنْ يجعل لكتابه (صحيح السيرة النبوية) قبولاً في الأرض بعد مماته كما لاقى رواجاً بين الناس في حياته إذ كان يطبع سنوياً وهذه رابعة.

ثم عرج بنا الحديث عن الدعوة والدعاة، وللدعوة كما لا يخفى شجون، وفي القلب على هذه الأمة هموم، فكان محل نقده على الأفكار وترفع -رحمه الله- عن ذكر الأسماء وهذا لمسته وذاكرني به صاحبي بعدُ، فهذه خامسة.

وأما السادسة ولست أنساها أبدًا ذلك الحشد الذي توافد من كل جانب يوم مسجده للصلاة عليه يذكرني بقول الإمام أحمد -رحمه الله-: (قولوا لأهل البدع بيننا وبينكم الجنائز) فهكذا هم العلماء العاملون والدعاة المخلصون تقلهم هممهم ويسطع في الناس نجمهم، فسيستأنس بهم فيشهدون طوعاً وهذه بشرى عاجلة المؤمن، ونحن شهداء الله تعالى في الأرض كما في الحديث الشريف، منظر مهيب وموكب بدت عليه الهيبة والوقار، يهمس محدثي في أذني: يا ليتني كنت مكانه. قلت: والله لكأنك تقرأ ما في نفسي، فهذه سادسة.

لا أدري بعد كل هذا أيحق لي أنْ أكتب عنك يا أبا محمد، فهذه ست خصال لمستها فيك عرضاً والله لو رمت عشراً من مجلسنا هذا لكتبت. فرحمك الله تعالى يا شيخ، نحسبك صالحاً ولا نـزكي على الله تعالى أحدًا، والله لا أحد في هذا الموطن أبلغ أثرًا وأعظم عزاء من قوله صلوات الله تعالى وسلامه عليه إنّ العين لتدمع وإنّ القلب ليحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون، وها هو اسمك يوافق نص حديث رسول الله وأرجو أنْ تكون لك هذه سابعة وما ذلك على الله بعزيز.

أيمن رمزي شديد

كلمات في رثاء أمير الدعاة

الشيخ إبراهيم العلي - رحمه الله -

دعني أبوح أبا محمد خاطراً ... فالذكريات وخيرها أشجاهُ
بالرغم من كل الدروب تغلقت ... ثبتت على الأرض التقى رجلاهُ
ورمى وراء الظهر كل مطية ... كيما يفوز محققًا مسعاه
لم يقصد الدنيا وبعض حطامها ... لكن مقصده العظيم الله
هو في الحقيقة لم يتم مستمتعًا ... متباهياً بين الذين تباهوا
لا لم يغض الطرف يطلب راحة ... أو أنْ يعيش متابعًا هواه
لكنها همم الرجال أبت له ... إلا الصعود وإنْ علا بمداه
فسعى إلى طلب الكتاب وسنة ... للمصطفى أحيا بها لياله
ومعلمًا لفظ الكتاب وحبّه ... آياته نطقت بها شفتاه
وذكرًا بالصيد من أعلامنا ... ذاكم أبو بكر وذا عُمَراه
الصابرين على المصائب قدوة ... والمرشدين لكل قوم تاهوا
وجردًا للسيف يدحض شبهة ... قد حاكها حول الرسول عداه
وموضحًا أحكام بيت نبينا ... ومفصل الأحكام حول نساه
والآن راحتك الكبيرة أن ترى ... تسعى لنيل النبع من أعلاه
ذكرتني أيوب يحمل جرحه ... وهو النبي بقول واصبراه
كم واجهتك مصاعب ومتاعب ... فأريتني جلداً على لأواه
ترجمت معنى الصبر فينا واقعًا ... وتركت عمرك منهجًا نقراه
وأريتنا معنى الرضا ومحبة ... لله جل الله فوق علاه
مازلت تمزح والمزاح سجية ... في أصل طبعك يرتضيه الله
لكنه مزح يزيل جراحنا ... وتراكب الشرع الحنيف رؤاه
أين البخاري كي يارك جمعنا ... وهو المحدث هاجراً مأواه
بل أين مسلم والنسائي كلهم ... قد حث في أثر الرسول خطاه
دعني أقول ودمعتي في مقلتي ... يا من ثبت همة أواه
هذي المنابر والمحارب كلها ... بالشوق يأخذ دمعها مجراه
شوق الحبيب مودعًا لحبيبه ... أو شوق يعقوب لبعد فتاه
إنْ فاتنا في الأرض يوم لقائنا ... فالموعد الجنات تحت رضاه
يوم تعانق بالبشاشة بعضنا ... في ظل عرش ربنا سواه
لتلقنا بسعادة أبدية ... مثل التقي ملفعًا بتقاه

إبراهيم تيلخ (أبو معاذ)

فهرس المحتويات

﴿ كتب المؤلف ﴾

الرقم	التاليف
١.	صفحات مضيئة من عبادة السلف.
٢.	علي بن المديني شيخ الإمام البخاري.
٣.	حذيفة بن اليمان – أمين سر رسول الله –.
٤.	شيخ الإسلام ابن تيمية رجل الإصلاح والدعوة.
٥.	صحيح السيرة النبوية.
٦.	الأحاديث الصحيحة من أخبار وقصص الأنبياء عليه السلام.
٧.	الأرض المقدسة بين الماضي والحاضر والمستقبل (دراسة حديثية تحليلية).
٨.	من نبوءات الرسول (حديث الخلافة والأمراء).
٩.	صفحات مضيئة من حياة السابقين "١-٢".
١٠.	صور من أدب السلوك الاجتماعي في الإسلام.
١١.	من نبوءات الرسول (حديث سنين الخداع).
١٢.	تفسير سورة الأنعام (بالمشاركة).
١٣.	إسلامية فلسطين في الكتاب والسنة.
١٤.	عشاق الحور وطلاب دار السرور (من أعلام الاستشهاد يين).
١٥.	صحيح أسباب النزول (دراسة حديثية).
١٦.	محمد ناصر الدين الألباني العلامة المحدث والداعية السلفي/ علماء ومفكرون ومعاصرون .
١٧.	الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين شيخ الفقهاء وعلم زهاد العصر علماء ومفكرون ومعاصرون .
١٨.	رياض الأنس في أصول تزكية النفس.

الرقم	التحقيق
١.	نور اليقين في سيرة سيد المرسلين.
٢.	كتاب الرؤية للإمام الدارقطني (بالمشاركة).
٣.	كتاب مختصر قيام الليل للمروزي (بالمشاركة).
٤.	كتاب مختصر قيام رمضان للإمام المروزي (بالمشاركة).
٥.	كتاب مختصر صلاة الوتر للإمام المروزي (بالمشاركة).
٦.	ثلاث رسائل في الجهاد لشيخ الإسلام ابن تيمية (بالمشاركة).
٧.	رسالتان في حياة الأنبياء للبيهقي والسيوطي (بالمشاركة).
٨.	تخريج أحاديث تفسير الطبري (تقريب وتهذيب "١-٧").
٩.	تخريج أحاديث تفسير ابن كثير ترتيب وتهذيب للدكتور صلاح الخالدي.
١٠.	تخريج أحاديث السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي.
١١.	فقه السيرة لمحمد الغزالي (تعليق وتخريج واستدراك).
١٢.	تخريج أحاديث تفسير يحيى بن سلام البصري.
١٣.	فتح الملهم في شرح صحيح الإمام مسلم لشبير أحمد العثماني وتلميذه محمد تقي العثماني (ضبط وتعليق وتخريج أحاديث الشرح "١-١٢").

رياض الأنس في بيان أصول تزكية النفس

المملكة الأردنية الهاشمية
من منشورات
جمعية المحافظة على القرآن الكريم
مركز حراء القرآني

العنوان: جبل عمان - الدوار الثاني - شارع الخطيب
هاتف: ٤٦٣١٧٧٥ ٦ ٩٦٢+ / ٤٦٤٥٦٣٨ ٦ ٩٦٢+
ص.ب: (٣٠٦٩) الرمز البريدي (١١١٨١) عمان - الأردن
حسابنا لدى البنك الإسلامي الأردني - الشميساني (٤١٧٧١)
www.hoffaz.org
e-mail: hoffaz@hoffaz.org